

منشورات الجامعة المصرية

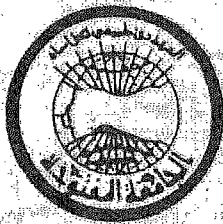
الكافي

في علوم البلاغة العربية

المعاني - البيان - البيع

تأليف

الدكتور عيسى علي العاكوب . ٢ . علي سعد الشنوي



1993

الكتاب الأول
(المعاني)



Bibliotheca Alexandrina

الكافى

في علوم البلاغة العربية
المعاني - البيان - البديع

تأليف

د. عيسى على العاكوب أ. على سعد الشتيوى

الجامعة المفتوحة

1993

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية	
رقم التمسك	٥١٦٠٠٠
رقم التمسك	١٢٢٢٧



General Organization of the Al-Azhar Library
الهيئة العامة لكتبة الأزهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الهادي الأمين. اللهم بك نستعين، وبك نستعين، وعليك نتوكل.

أما بعد، فإنه ليس في مقدور أي مثقف أن ينكر ما للدرس البلاغي العربي من أهمية في إدراك بنية الكلام العربي، والأسس التي ينهض عليها إنشاء نماذج الممتازة. ولا نذيع سرّاً حين نذهب إلى القول إنّه توافر لهذا الدرس - عبر ما يربو على ثمانية قرون - ذهنيّات موهوبة وضعت نصب أعينها أن تتبين تلك الأسرار التي تجعل ضرباً من الكلام مقدماً مرموقاً موموقاً. إذ تدلّ البدايات التي قيض لنا أن نعرفها في مسيرة الحياة العقلية للإنسان العربي على أن هذا الإنسان كان راقياً عقلياً ووجدانياً منذ أن استخفّته تلك الصوّر الكلامية الرفيعة التي انطوى عليها شعر العرب وخطابهم وحكمهم وأسجاعهم قبل الإسلام. وحين بزغ فجر الإسلام كان العربي يعيش في صحرائه في متحف لروائع الفن الأدبي العربي. وهي روائع أبدعتها قرائح أساطين أمثال امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وعنقرة وابيد وقسّ بن ساعدة وسواهم. ويشاء الحكيم الخبير أن يكون إعجاز أخرى الرسائل إعجازاً بيانياً، وقف أمامه العربي مشدوهاً مبهوراً، ينطق باسمه الوليد بن المغيرة حين يقول عن

الذكر الحكيم : «إِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يُعْلَى عَلَيْهِ». وشهادة العدو بالفضل لا ترد في محكمة تبين الحقيقة الناصعة وتلمس الطريقة النافعة. وطبيعي أن يضاعف التنزيل إحساس العربي المسلم بالجمال الذي لا يعدله جمال وبالروعة التي تجوز فوق الخيال. ونسمح لأنفسنا بأن نزعم أن أسلوب الذكر الحكيم شكل بدءاً من منتصف القرن الأول الهجري أفاقاً جمالياً عالياً أسهم - مع عوامل آخر - في إنكفاء الذهنية العربية الإسلامية في وجهتين:

- الأولى وجهة إبداعية فنية تمثلت في توقي إلى محاكاة نماذج البيان العالي في الذكر الحكيم، وهو توقي وجد تعبيره في محاولات نسبت إلى ابن المقفع وغيره ممن قيل إنهم حاولوا مضاهاة البيان القرآني. وأياً كان القول في صحة هذه المحاولات فإن ما هو حقيقة لا يدانيها الشك أن الأفق الجمالي القرآني كان ماثلاً في الذهنية العربية على مدى عدة قرون، وقد عمل في صورة الحافز المنشط على الارتقاء بنماذج البيان الغربي جملة.

- الثانية وجهة درسية جعلت همها في محاولة الإجابة عن هذا السؤال : ما الذي يجعل بعض صور الكلام خيراً من بعض، ومن ثم : ما هذا الذي يجعل أسلوب القرآن الكريم «يعلو ولا يعلى عليه»؟

وقد نصيب في القول إن السؤال عن ماهية البلاغة قد بدأ في أواخر القرن الهجري الأول ومطلع القرن الثاني. ثم إنه بين الجاحظ (ت 255 هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) تطور درس البيان العربي تطوراً كبيراً، أحتل فيه عبد القاهر عليا درجات السلم. وقد ألف - في جملة ما ألف - كتابين في صميم الدرس البلاغي المتميز : دلائل الإعجاز، أسرار

البلاغة والحق أن عبد القاهر كان، حتى وقت تأليفه الكتابين، خيراً من تلمس أسس البيان العربي، وحدد جماليات الفن الأدبي عند العرب في دلالات التراكيب وفي التصوير البياني المتمثل في التشبيه والمجاز والكناية. ثم جاء بعده عالم آخر لا يقل عنه، هو أبو يعقوب يوسف السكاكي (ت 626 هـ) الذي خصّ الدرس البلاغي العربي بشطرٍ من كتابة القيم «مفتاح العلوم». ويتمثل إسهامه في تهذيب مسائل البلاغة وتركيب أبوابها وفق عقلية منطقية تتسم بقدر كبير من التعمق والتقصي، وإن ضاعف ذلك الابتعاد عن النص والإغراق في التجديد. وظلّ من جاء بعده يدور في فلكه ويعشو إلى ضوء ناره.

ومهما يكن، فإنّ ضرورة إلمام دارس العربية بقواعد البلاغة العربية تتجلى في عدّة أمور :

1 - أن الإلمام بهذه القواعد يمكّن الدارس من إدراك حقيقة التفوق الذي تخطى به العربية بين اللغات جميعاً. ذلك أن جمهرة العرب والمسلمين يقولون بهذا التفوق، لكنّ رأيهم هذا محكوم بنظرة عاطفية مبعثها احترام كتاب الله وأحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام التي صيغت بهذه اللغة الكريمة لكنّ قليلين هم الذين يدركون حقاً جمال العربية وأسرارها وقدرتها التعبيرية العالية، ولعلّ نفرأ محدوداً من المتحدّثين بالعربية اليوم يدركون أنّ العربية تعبرُ من خلال الصياغة والتراكيب إلى جانب تعبيرها من خلال الدلالات اللغوية للمفردات، وهي تنفرد بهذا بين لغات الأرض، فيما نعلم.

2 - أن الإلمام بهذه القواعد يساعد المسلم، أو الدارس جملةً، على فهم

كتاب الله سبحانه وإدراك شيماء من الجمال والجلال في أساليبه. وما هذا بالمطلب الهين^١ فإنه من هذه النقطة أنطلق ركب الحق على هذه الأرض، ومن هذه الومضة أشرقت الأرض بنور ربها، ومن هذه الرحمة استظلت الإنسانية بعدالة السماء، فالعرب الذين غيروا وجه الدنيا في قليل من السنين كان قد ازدهام قبل ذلك البيان القرآني الذي كان يأتيهم به محمد عليه الصلاة والسلام، فإذا بهم يغدون فرسان النهار رهبان الليل؛ وما ذلك إلا لأن العربي فهم النص القرآني فهماً خاصاً جعله مستيقناً تماماً أن هذا الكلام ليس في طوق البشر، وأنه من عند قيوم السموات والأرض لا محالة، وأن الأوامر والنواهي التي ينطوى عليها ينبغي أن تنفذ عليها ينبغي أن تنفذ بأقصى قدر من الدقة. ولا نخال ذلك يغيب عن دارس لأسلوب الذكر الحكيم مقارن بين صورته المكيّة وصورته المدنيّة، ففي استطاعنا القول دون حرج إن التنزيل المكيّ خاصة صاغ نفوس المسلمين الأوائل صياغةً جديدةً بعد أن اقتلع منها نوازع الشرك والوثنيّة، وأعدّها لتلقّي التنزيل المدني في أسلوبه الهاديء الرزين الجامع بين وداعة الإيمان وبرد اليقين.

3 - أن الإمام بهذه القواعد يمكن المدرّس أو الباحث من توصيل ما يريد توصيله من فكر إلى الآخرين، وكذا إدراك حقيقة ما يريده الآخرون فيما يحاضرون ويؤلفون. وقد نكون غير مخطئين إن نحن قلنا إننا نستخدم في لغتنا المحكيّة معظم القواعد البلاغية دون قصد إلى ذلك، لكننا حين نشرع في المحاضرة والتأليف نجد صعوبة بالغة في ذلك؛

لانشغالنا بضرورة أن يأتي كلامنا فصيحاً؛ ممّا هو على قدر كبير من الصعوبة بالنسبة إلى معظمنا .

4 - أن الإلمام بهذه القواعد يبصّر جمهرة العرب والمسلمين بقيمة هذه اللغة. وحين يعرفون هذه القيمة يلزمون هذه اللغة ويعضّون عليها بالنواجذ وفق قول المصطفى عليه الصلاة والسلام : «يا بن عبّاس، عرفتَ فالزم». وحين يلزمون جميعاً هذه اللغة ويؤثّون لها ما لها من حقوق عليهم يكونون قد قوّوا أصرة من أقوى الأواصر تشدّ بنيانهم وتسدّ كيّانهم، وهي أصرة اللغة الواحدة الأثيرة إلى القلوب، التي شاء سبحانه أن تكون لغة خطابه للبشر.

وقد هيأ الله - سبحانه - أن نُعدّ هذا الكتاب لدارسي اللغة العربية من طلبة أقسام اللغة العربية في الجامعات ومن سواهم ممن ينشدون تعرفَ البيان العربيّ والوقوفَ على أسرارهِ. وراعينا أمراً نراه على قدر كبير من الأهمية، وهو إيضاحُ القاعدة البلاغية وإبانة الأساس الذي قامت عليه أو استتبّطت منه، وأكثرنا من الشواهد والأمثلة التي تنتصر للقاعدة وتشدّ أزرها. وآثرنا أن تكون الشواهدُ موزعةً بين الذكر الحكيم وروائع الشعر العربيّ. وعمدنا في الأعمّ الأغلب إلى تلخيص القضية البلاغية المعروضة بعد تفصيل القول فيها ممّا يساعد على التّحصيل. وختمنا كلّ مبحث بطائفةٍ لا بأس بها من الأسئلة تمثلُ مادّة البحث المقدّمة، وأثبتنا إجابات هذه الأسئلة على الترتيب الذي جاءت عليه الأسئلة نفسها. ولدينا يقين من أن مثل هذا المسلك سيجعل الدارس أقدرَ على التمكن من إدراك المعلومة المقدّمة وأجرأ على ممارسة القاعدة في تضاعف ما ينشئ من الكلام،

وواقع الحال أنّ الدّارس كان ماثلاً أمامنا عند إثبات كلّ معلومة نسوقها في هذا الكتاب، فهو الهدف الأول والهدف الأخير.

ونستطيع أن نقول مطمئنّين إنّ هذا الكتاب قد أتى على كلّ مباحث ما عُرف في عصرنا بـ «علوم البلاغة العربية»؛ ومن هنا جاءت تسميتنا إيّاه : «الكافي في علوم البلاغة العربية».

وقد ضمّنا الكتاب مقدّمةً عن دلالة كلّ من الفصاحة والبلاغة جعلناها بمثابة التمهيد لعرض قضايا البلاغة العربية. وجعلنا الكتاب نفسه في ثلاثة أقسام، أطلقنا على كلّ منها اسم «كتاب»؛ ومن هنا كنت أمام الكتاب الأول في علم المعاني، والكتاب الثاني في علم البيان، والكتاب الثالث في علم البديع، وفي مباحث خاصة كان لنا إسهام واضح المعالم في الحديث عن جماليّات كلّ محسّن معنويّ ولفظيّ، مما لا يظفر به كتاب آخر، فيما نعلم.

وقد حرصنا على أن تقدّم للدارس مفصّلاً لعناصر المادّة المقدّمة في كلّ مبحث قبل البدء بالمبحث نفسه، ممّا يمكن أن يسمّى فهرساً داخلياً، فضلاً عن الفهرس الشامل في نهاية الكتاب.

وإن بقيت لنا من حكمة نقولها هنا فهي أنّ هذا الكتاب جاء ثمرة ألفةٍ وتآخ استمرّاً أربع حجج كئنا فيها ندرّس علوم العربية في قسم اللغة العربية في جامعة الجبل الغربي (الزنتان)، وكان هاجسنا واحداً، يشهد الله، وهو خدمة لغة القرآن الكريم ورفع راية البيان العربيّ. وإن ما ننشده نشدان البدويّ لصالته هو أن يفيد محبّو العربية من هذا الجهد المتواضع، «وما ذلك على الله بعزيز».

موجز تاريخ التأليف البلاغي عند العرب :

عُرِفَت الأحكامُ الجماليةُ على إبداعات الشعراء ومدى إصابتهم الأغراض التي يقصدون إليها في القول، قبل الإسلام بغير يسير من الزمان. فإن الأخبار تذكر أن النابغة الذبياني كانت تُضربُ له قبةٌ آدم في سوق عكاظ، فتأتيه الشعراء، فتعرض عليه أشعارها، فيُصدر عليها أحكامه التي تصور الدرجة التي بلغها تجويدُ الشاعر. وحديثه مع الأعشى وحسان والخنساء مشهور متداول. وأياً كان حظُّ أمثال هذه الروايات من الصحة ففيها إشارة إلى أن الرعيل الأول من العلماء الذين رَووا أشعار العرب في جاهليتها كانوا على شبه يقين من أنه كان بين عرب الجاهلية من ينظر في الأشعار ويفعل ملكته النقدية في تمييز جيدها من رديئها. وإن لم يتجاوز ذلك الانطباعات الذوقية الأولية التي يعوزها في معظم الأحوال التعليل والتفسير. وليس لنا طبعاً أن نطلب من القوم ما لا ينتظر من أمثالهم.

وما نخاله صحيحاً كلُّ الصحة أن العرب الذين حلَّ التنزيل بين ظهرانيهم أدركوا قدرأ هائلاً من جماليات البيان العالي في أسلوب القرآن الكريم، وهو ذلك القدر الذي يجعل منهم بصرأ بموالج الكلام ومخارجه، ومدركين بعض مناسبات التراكيب للأحوال التي تُقال فيها.

ومنذ مطلع النصف الثاني من القرن الهجري الأول تقريباً يلحظ الدارسُ إندياج دائرة الأحكام الجمالية على روائع الشعر العربي. إذ يخبرنا المؤرخون عما يشبه «المنتديات الأدبية» أو المجالس التي تضم في جنباتها عدداً من جهابذة الفن الشعري وأساطين البيان. وما حديث

اجتماع جرير والفرزدق وكثيرٍ وجميل ونُصيب في ضيافة السيدة سكينة بنت الحسين بن علي في المدينة وحكمها على نماذج من أشعارهم بالحديث المرجم. وكذا الشأن في الأحكام التي أصدرها ابن أبي عتيق، ناقد الحجان، على أشعار عمر بن أبي ربيعة وسواه.

وبدأ من آخر القرن الهجري الأول تقريباً كنت تلحظ التفاتَ أنظار العلماء قبل كل شيء إلى تبين مزية القرآن الكريم على كل قول، والبحث عن مصدر الخالصة والروعة في أي الذكر الحكيم؛ حتى تطور ذلك فيما بعد إلى الاستدلال على ماهية الإعجاز البياني في كتاب الله سبحانه. وطبيعي أن يعمل ذلك كله على توجيه الأذهان إلى معرفة الخاصيات الأسلوبية لأنواع الكلام، وتغيير الدلالات تبعاً لأنواع المقال، والمزايا التي تنفرد بها الصور الكلامية المختلفة. وكان من ذلك كله بدايات ما يشكل اليوم «علوم البلاغة العربية». وإليك بعض النقاط المضيئة في الطريق الذي سلكه البحث البلاغي العربي حتى آل إلى صورته التي هو عليها اليوم :

- في القرنين الثاني والثالث الهجريين برز في ساحة البحث البلاغي ثلاثة أساتيد أغنوا هذا البحث بمؤلفات على قدر كبير من الأهمية. وهؤلاء هم :

1 - أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى (ت 209 هـ) :

وهو لغوي بصرى، تتلمذ على يونس بن جيب شيخ سيدييه، وتلمذ عليه نفر من علماء العربية الكبار كأبي عبيد القاسم بن سلام وأبي حاتم والمازني.

ويُكْمَلُ جهده في البلاغة العربية في مصنفه المسمى «مجاز القرآن»،

الذي عرض فيه طرائق تأدية المعاني في القرآن الكريم، أو ما يسمى «الأساليب». والمجازُ عنده أعمّ كثيراً مما تفهمه منه اليوم.

2 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ) :

وهو رأسٌ من رؤوس الاعتزال، وصاحب قلم سيّال أثرى المكتبة العربية بأنفس ما انتبأه به. والجاحظ عبقريةٌ عربية تركت من المؤلفات الجَمُّ الغفير. وينطوي كتابه الرائع «البيان والتبيين» على ما بُعد أصولاً ممتازة لعلم البلاغة. فقد ضمّنه حديثاً عن الفصاحة والبلاغة والطبع والصنعة ونماذج من البيان العالي في كلام العرب الفصحاء وأشعارهم وخطبهم وأسجاعهم إلى نبذ من كلام الأعراب.. وكان في تضاعيفه مدافعاً ممتازاً عن بلاغة العرب وبيانهم. ويُنسب إليه أيضاً كتابٌ في «نظم القرآن» لم يُظفر به إلى اليوم، فيما نعلم. ويوحى العنوان بانتساب هذا المصنّف إلى فئة الكتب المهمة بطرائق التعبير، كما لا تخلو كتبه الأخر من حديث عن البيان وآلاته.

3 - أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل (ت 296 هـ) :

تتلمذ على شيخي المدرستين : المبردّ وثعلب، واحتلّ في الشعر منزلاً علياً، وكان من أدباء عصره الذين تجتلبهم الأعين شرقاً وغرباً.

ألف كتاب «البديع»، وجمع فيه سبعة عشر نوعاً بديعياً. وقال في مفتتحه : «وما جمع قبلي فنونُ البديع أحدٌ».

- في القرن الرابع الهجري

نهض بأعباء الدرس البلاغي ثلاثة أعلام أيضاً، وهم :

1 - قدامة بن جعفر (ت 337 هـ) :

وهو مؤلف كتاب «نقد الشعر»، الذي عرض فيه حده للشعر، وأسباب تقديمه، والنوع المستحسنة لكل من اللفظ والوزن والقافية، وخص الترصيع بعناية خاصة. ثم عرض للمعاني التي يدل عليها الشعر والمستجاد في كل معنى. وأضاف إلى ما ذكر ابن المعتز من أنواع البديع ثلاثة عشر نوعاً هي : التقسيم، والترصيع، والمقابلات، والتفسير، والمساواة، والإشارة، وائتلاف اللفظ مع الوزن، والتمثيل، والتوشيح، والإيغال، وائتلاف المعنى مع الوزن، وائتلاف القافية، والإرداف.

أما كتابه «جواهر الألفاظ» فقد جمع فيه ألفاظاً وعبارات مترادفة مع تساوقها في الوزن أو القافية، أو في الاثنين معاً. وذكر في مقدمته طائفة من الأنواع البديعية.

ويُنسب إليه كتاب ثالث هو «فقد النثر»، وقد عرض فيه لكثير من الأنواع.

2 - أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الشهير بالقاضي الجرجاني

(ت 366 هـ) :

شاعر مبدع، وناقد بصير، ألف في نقد الشعر كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه». وهو من الكتب القيّمة في باب، وقصد من تأليفه الحد من غلواء الهجوم على المتنبي من جانب ناقد شعره. وقد عرض لأخطاء

فحول شعراء الجاهلية وأثبت بعض النماذج المستجادة لديه من أشعار العرب. وركز اهتمامه على شواهد الاستعارة الحسنة والقبیحة، وعرض لضروب من الجناس والتقسيم، ومثل لكل منها، وأوضح كثيراً من محاسن الشعر وعيوبه، ووقف عند التشبيه، وعرض بعض نماذجه الممتازة، وأنهى الكتاب بالحديث عن السرقات الشعرية.

3 - أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت 395 هـ) :

وهو مؤلف كتاب «الصناعتين» أي صناعة المنثور وصناعة المنظوم. وقد ضمن كتابه حديثاً عن البلاغة والاختلاف في المراد منها. وجعل الكتاب أبواباً تتناول فيها : تمييز جيد الكلام من رديئه، ومعرفة صناعة الكلام، وحسن السبك وجودة الرصف، والإيجاز والإطناب، والسرقات الشعرية، والتشبيه، والسجع والازدواج. وفي مجال البديع أضاف إلى ما أتى به سابقوه سبعة أنواع هي : التشطير، والمجاورة، والتطريز، والمضاعفة، والاستشهاد، والتلطف، والمشتق.

- في القرن الخامس وفي أواخر الرابع يصادفنا أربعة علماء كان لهم فضل كبير على الدرس البلاغي، وهؤلاء هم :

1 - القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (ت 403 هـ) :

وهو مؤلف كتاب «إعجاز القرآن» الذي قصد منه أن يبين جوانب الإعجاز البياني في كتاب الله سبحانه. وعرض، فيما يتصل بالبلاغة، للاستعارة، وحسن التشبيه، والفلو، والمائلة، والتجنيس، والمقابلة، والموازنة، والمساراة، والإشارة، والإيغال، والتوشيح، والتكافؤ، والكناية، والتعريض، والعكس، والتبديل، والاعتراض، والرجوع، والتذييل،

والاستطراد، والتكرار. وذكر لكل نوع من هذه الأنواع شواهد وأمثلة.

2 - أبو الحسن محمد بن الطاهر المعروف بالشريف الرضي (ت 406 هـ):

ألف فيما ينتسب إلى العلوم البلاغة كتابين رائعين هما : «تلخيص البيان عن مجازات القرآن» و«المجازات النبوية». وقد جمع في الأخير طائفة من كلام المصطفى عليه الصلاة والسلام مما لم تسبق إليه. ويدير حديثه فيه حول الدلالة الوضعية للفظ، ثم الدلالة المجازية التي أكسبه إياها الاستعمال اللاحق.

3 - أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) :

ألف كتاب «العمدة في محاسن الشعر وأدابه». وقد ضمنه طائفة من الآراء في معاني الشعر ومحاسنه وأدابه. وعرض لفضل الشعر، ومن رفعه الشعر ومن وضعه، ومن قضى له ومن قضى عليه، وشفاعات الشعراء، واعتداد القبائل بشعرائها، والقال والطيرة في الشعر. وخص بأبواب مستقلة كلام البلاغة، والإيجاز، والبيان، والنظم، والبدیع، والمجاز، والتمثيل والتشبيه، والإشارة وأنواعها، والتتبع، والتجنيس، والتصدير، والمطابقة، والمقابلة، والموازنة، والتقسيم... الخ.

4 - الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ):

صنّف في البلاغة كتابين من أجود ما كتب في الموضوع إلى اليوم، وهما:

«دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة». وإليه يعود الفضل في تفصيل كثير من المباحث فيما يُعرف اليوم باسم «علم المعاني» و«علم البيان»، على نحو

لا تجد نظيراً له فيه. وعن صنيع الجرجاني في أسرار البلاغة يقول المستشرق هلموت ريتز محقق الكتاب في مقدمته القيمه له باللغة الانجليزية: «وهكذا فإن الكتاب رائعة الأدب العربي، لا من حيث مضمونه وتحليله العميق للإبداع الشعري فحسب، بل من حيث أسلوبه أيضاً».

والحق أن ما أتى به الشيخ عبد القاهر في الدلائل والأسرار خليقاً بأن يجعل منه واضح أساس البنيان لعلمي المعاني والبيان.

– وفي القرن السادس جار الزمان بنايعة عصره الذي أضاف إلى البلاغة العربية ما يزدان به جيدها إلى اليوم. وذلك هو جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538 هـ).

والزمخشري هو صاحب تفسير القرآن الكريم المسمى بـ «الكشاف»، ومؤلف كتاب «أساس البلاغة». ويُعدّ الكشاف خير مصدر لدراسة أسرار العربية وأساليبها في الحقيقة، والمجاز، والاستعارة، والتشبيه، بل يعدّ كشافاً في الدرس البلاغي التطبيقي.

أما كتابه الثاني «أساس البلاغة» فقد انفرد في نوعه، وعمد فيه الزمخشري إلى موادّ اللغة العربية واحدة فواحدة، يوضح في كلّ مادة الاستعمالات الحقيقية لها ثم يبيّن تطورها الدلالي بطريق المجاز. وقد استحق الزمخشري أن يقال فيه وفي السكاكي: «لولا الأعرجان لجُهلّت بلاغة القرآن».

– في القرن السابع يتقدّم لخدمة البلاغة العربية عالمان كبيران أسهما في تطوّر الدرس البلاغي على نحو واضح، وهما أبو يعقوب يوسف السكاكي (ت 626 هـ) وضياء الدين بن الأثير الجزري (ت 637 هـ).

أما السكاكي فقد كان متأثراً بالدرس الفلسفي الذي شبَّ على تلقّيه وأولع به كثيراً فترك مياسم واضحة في كلِّ ما ترك من مؤلِّفات. وكان مأخوذاً بضرورة أن يكون التعريف الذي يقدمه لأية قضية جامعاً مانعاً، كما يقول أهل الاستدلال.

ومهما قيل في شأن الاتجاه المنطقي المسرف في تناوله للبلاغة، فإنه يظلّ - بأهلية تامّة - صاحب السبِّق إلى دراسة علوم البلاغة بوصفها مادة علمية لها أصول وقواعد وضوابط. وقد أسدى للبلاغة ما ظلت مدينة له به إلى اليوم : حين حدّد الأنواع وضبطها على نحو دقيق، وأرجع كلِّ فرع إلى أصله مما لا يبقي زيادةً لمستزيد. وقد جاء إسهامه الممتاز هذا في تضاعيف كتابه «مفتاح العلوم» الذي أودعه خلاصة رائعة لعلم الصرف، وعلم النحو، وعلوم البلاغة الثلاثة (المعاني والبيان والبديع)، وعلم الاستدلال (المنظن)، وعلم العروض والقافية.

وإن أخذ على الرجل شيءٌ فهو أنّه مال إلى التّجريد ونهى نسبياً عن النصوص الحيّة الممثّلة للقواعد؛ ممّا جعل الدارسين في العصور التالية يأنسون في أسلوبه أثارةً من جفاف المنطق وبرودة التعقيد.

وأما ضياء الدين بن الأثير، فقد أُلّف فيما له صلة بالبلاغة كتابه المشهور «المثّل السائر في أدب الكاتب والشاعر» وكتاباً آخر هو «الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور». وقد تضمّن «المثّل السائر» مقدّمة ومقالتين، انطوت المقدّمة على حديث عن أصول البيان، وتضمّنت المقالتان الحديث عن فروع البيان، وقد خصّص الأولى للصناعة اللفظية والثانية للصناعة المعنوية. أمّا «الجامع الكبير» فقد انطوى على كثير من

المباحث البلاغية. وقد سمى ضياء الدين مباحث البلاغة جميعاً «علم البيان».

– وفي القرن الثامن شهد تاريخُ البحث البلاغي انعطافاً نحو الشرح والتعليق والإيضاح، يجعل بعض مصنفات السابقين أساساً يُبنى عليه ويضاف إليه. وفي طليعة مَنْ نهج هذا المنهج في التأليف البلاغي في هذا القرن الإمام جلال الدين قاضي القضاة محمد بن عبد الرحمن المعروف بالخطيب القزويني (ت 739 هـ). وقد بدا له أن التأليف بين طريقتي عبد القاهر في «الدلائل» و«الأسرار» والسكاكي في «المفتاح» يمكن أن يفيد الدرس البلاغي كثيراً. وهكذا باشر عمله بتلخيص القسم الثالث من «مفتاح العلوم» للسكاكي، وضمّنه ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد ورتبه على نحو يجعله أقرب تناولاً. وأغنى ذلك بكثير من الفوائد التي انطوت عليها كتبُ القوم. وسمّى ملخصه «تلخيص المفتاح»، وعُرف اختصاراً بـ «التلخيص». وبعد الانتهاء من التلخيص رأى أنه بالغ في الاختصار حتى كادت الفائدة المرجوة تذهب، فوضع كتاباً آخر أطلق عليه اسم «الإيضاح». ومما قاله في مقدمته: «أما بعد، فهذا كتابٌ في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بالإيضاح، وجعلته على ترتيب مختصري الذي سمّيته تلخيص المفتاح، وبسطت فيه القول؛ ليكون كالشرح له، فأوضحت مواضعه المشكّلة، وفصّلت معانيه المجملة، وعمدت إلى ما خلا عنه المختصر مما تضمّنه مفتاح العلوم، وإلى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وإلى ما تيسر النظر فيه من كلام غيرهما،

تمهيد في معني الفصاحة والبلاغة :

لا غنى لدارس البلاغة العربية عن الإلمام بمفهوم كل من الفصاحة
والبلاغة؛ لأنّ الكلام المتحقّق بهاتين الصفتين صنفٌ ممتازٌ من الكلام،
والمتكلم المتحلّي بهاتين الخلتين ظافراً بشرفٍ لا يدانيه شرف. ومن هنا قال
المصطفى عليه الصلاة والسلام : «أنا أفصحُ العربِ بيديّ أني من قريش». **الفصاحة :**

أما الفصاحة - لغةً - فتدلّ على جملة معانٍ، تدور جميعاً في فلك
البيان والوضوح؛ إذ تقول العرب : يومٌ فصيحٌ ومُفصِحٌ، أي لا غيم فيه
ولا قَرٌّ. وأفصحَ اللَّبَنُ، أي ذهبَت رَغْوَتُهُ أو انقطع اللَّبَأُ عنه. وأفصح الصُّبْحُ:
استبان. وأفصحَ الرجلُ : بيّن. وفي سياق الحديث عن الكلام والمتكلم
يقولون : الفصاحة : البيان. واللفظُ الفصيحُ : ما يدرك حُسْنَهُ بالسمع.
وفصحُ الأعجميُّ : تكلم بالعربية وفهم عنه، أو كان عربياً فازداد فصاحةً.

ويستفاد من الدلالة اللغوية في الأمثلة السابقة أنّ الفصاحة تعني :
الانكشافَ والظهورَ والوضوحَ في الأشياء. أمّا في الصنعة الكلامية فتعني
انكشافَ دلالة الكلام، وظهورَ حُسْنِهِ لمتلقيه.

وعند البلاغيين يوصف بصفة البلاغة ثلاثة أشياء :

الكلمة والكلام والمتكلم.

فيقال : كلمةٌ فصيحةٌ، وكلامٌ فصيحٌ، وكاتبٌ فصيحٌ، وشاعرٌ فصيحٌ.
وإليك تفصيل القول في كلّ منها :

فصاحة الكلمة :

تعني فصاحة الكلمة عند البلاغيين براعتها من خمسة أشياء يعدونها عيوباً :

أولاً - تنافر الحروف : وهو وصف في الكلمة ينشأ عنه ثقل الكلمة على اللسان وعسر النطق بها. وغالباً ما يكون مبعث ذلك تقارب مخارج حروف الكلمة. على أن التنافر ضربان :

(أ) شديد يصعب معه النطق بالكلمة، كالألفاظ «الظش» بمعنى الموضع الخشن، و«الهعخع» وهي كلمة جاءت في قول قول أحد الأعراب وقد سئل عن ناقته فقال : «تركثها ترعى الهعخع». وقد تكون كلمة «الهعخع» مخترعة للتدليل على ثقل بعض نماذج الكلم. فقد ذهب بعضهم إلى القول إن هذه الكلمة «معاياة»، ولا أصل لها.

(ب) خفيف لا يانس الناطق بالكلمة المنطوية عليه صعوبة كبيرة في نطقها، كلفظ «مستشزرات» في قول امرئ القيس يصف شعر حبيبته :

غداثره مستشزرات إلى العلا مفضل العِقاص في مثنى ومرسل
«مستشزرات» أي مرفوعات، يصف الشاعر شعر ابنة عمه بالغزارة فيذكر أن غداثره مشدودة على الرأس، وأن مجموع الشعر منه عِقاص أو غداثر، ومنه مثنى (مفتول)، ومنه مرسل دون فتل، وأن العِقاص تغيب في الأخيرين. ومراد الشاعر على الجملة : وفور شعرها، وجمال وضعه. وقد

لاحظ بعض الدارسين أن في صوت كلمة «مستشزرات» تصويراً دقيقاً لمعناها؛ أي إن التفشّي الذي نلحظه في صوت الشين وانتشار الهواء وامتلاء الفم عند النطق به توحى بانتشار الشّعْر وتشعيبه وذهابه في كلّ جهة.

ثانياً - الغرابية : وهي أن تكون الكلمة حوشية غير ظاهرة المعنى.
ومصدر الغرابية أمران :

(أ) عدم تداول الكلمة في كلام العرب الفصحاء؛ مما يقضي التّقيب عن معناها في معاجم اللغة. وقد تسعف المعاجم ببيان معنى الكلمة الغربية، كالذي نجده في كلمتي «تَكَأْتُمْ» و«افرنّقوا» اللتين جاءتا في قول عيسى بن عمر النّحوي، وقد سقط عن دابّته، فاجتمع عليه النّاس فقال: «مَا لَكُمْ تَكَأْتُمْ عَلِيَّ كَتَكَأْتُمْ عَلِيَّ ذِي جَنَّةٍ، افرنّقوا عني». ومعنى تَكَأْتُمْ «اجتمعتم» ومعنى «افرنّقوا» انصرفوا. وكالذي نجده في كلمة «رَخَاخ» في قول العرب : «نحنُ في رَخَاخٍ من العيش» أي : رَغِدٍ وهناءة. وربما لا تسعف المعاجم ببيان معنى الكلمة الموسومة بهذه الصفة، كما في كلمة «جَحَلْنَج» التي جاءت في قول أعرابي :

- مِنْ طَمْحَةٍ صَبِيرُهَا جَحَلْنَج -

ويبدو أنه لم يعثر على معنى لهذه الكلمة حتى الآن.

(ب) صعوبة إدراك المراد منها في السياق الذي ترد فيه، مثل كلمة «مسرجاً» في قول العجاج :

أيامَ أبدأتُ واضحاً مقلِّجاً أغرُّ براقاً وطرفاً أدعجاً
ومقلِّةً وحاجباً مُزجَّجاً وفاحمياً ومرسناً مُسرَّجاً

فقد وصف الشاعر حاجبَ محبوبته بأنه مدققٌ طويل، وشعرها بأنه حالِكٌ كالفحم، وأنفها «المُرسن» بأنه «مُسرَّج». ويصعب على المتلقِّي أن يدرك بدقة ما يريد الشاعر بهذه الصفة «مُسرَّج». وهذه الصعوبة جعلت المفسرين القدماء يذهبون إلى التأويل : فقال فريق إنَّ الشاعر شبه أنفَ محبوبته في الدقة والاستواء بنوع من السيوف يُعرف بـ «السُرِّيحي»؛ نسبةً إلى حدَّاد مشهور يسمَّى «سُرِّيحا». وذهب فريق آخر إلى أنَّه شبه أنفها في البريق واللمعان بالسُّراج. ومهما يكن، فإنَّ الكلمة غير ظاهرة المعنى؛ وهي من ثمَّ غريبة مفتقرة إلى صفة الفصاحة.

ثالثاً - مخالفة الوَضْع : وهي أن تكون الكلمة مخالفة لاستعمال الواضع الأول سواء أكانت مخالفة للقياس الصرفي أ لا. ومما جاء مخالفاً للوضع والقياس معاً كلمة «بُوقَات» في قول المتنبي يمدح سيف الدولة الحمداني :

فإنَّ يكُ بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ ففي الناسِ «بُوقَاتٌ» لها وطبولُ
و«بُوقَات» في البيت جمع «بُوق» بمعنى المزمار. وعلى الجملة فكلمة «بُوقَات» هنا غير فصيحة؛ لمخالفتها ما ثبت عن واضع الألفاظ للمعاني ومخالفتها القياس الصرفي؛ إذ يقضي كلُّ منهما بأن تجمع على «أبواق». ومثلها كلمة «حنَّات» جمع «إحنة» في قول الطُّرِّمَاح :
وأكرهُ أن يعيبَ عليَّ قومي هجايَ الأرذلينَ نوي «الحنَّات»

أراد بالحنات الأحقاد. لكن هذه الكلمة غير فصيحة؛ لمخالفتها ما ثبت عن الواضع ومخالفتها القياس الصرفي؛ إذ يقضي كلُّ منهما بأن تُجمع على «إحن».

وتظلّ الكلمة غير فصيحة عندما توافق القياس، ولكنها تخالف ما ثبت عن الواضع، كالفعل «يأبى» مضارع «أبى»؛ إذ هو فصيح لمخالفته ما ثبت عن الواضع، حيث الثابت عنه «يأبى» بفتح الباء لا بكسرها، هذا رغم موافقته للقياس الصرفي.

رابعاً - الكراهة في السَّمْع : وهي أن يكون بنية الكلمة من أصوات يشكّل التثامها صيغة لفظية تأنفها الأنواق وتمجها الأسماع، مثل كلمة «النُّقَاخ» (أي الماء العذب) في قول الشاعر :

وأحمق ممَّنْ يكرعُ الماءَ قال لي : دَعِ الخمرَ ، واشربْ مِنْ نُّقَاخِ مبرِّدٍ
ومثل كلمة «الجريشي» (أي النفس) في قول المتنبي يمدح سيف الدولة :
مباركُ الاسمِ أغرُّ اللَّقَبِ كَرِيمُ «الجريشي» شريفُ النَّسَبِ
فكلمتا «النُّقَاخ» و«الجريشي» مما لا يستسيغه الذوق.

خامساً - الابتذال : وهو أن تكون الكلمة سوقية أبلاها التكرارُ ولاكتها الألسنُ حتى مجّها الذوق وعافها الطبع السليم. ومن ذلك الفعل «تَفَرَّعَنَ» في قول أبي تمام:

جَلَيْتَ والموتُ مُبْدٍ حُرٌّ صفحتِهِ وقد تَفَرَّعَنَ في أفعالِهِ الأجلُ
فالفعل «تَفَرَّعَنَ» المشتق من اسم «فِرْعَوْن» من ألفاظ العامة؛ إذ من عاداتهم أن يقولوا : «تَفَرَّعَنَ فلانٌ». ومن ذلك أيضاً كلمة «قابري» في قول

أبي تمام :

قد قلتُ لَمَاحٍ في صدِّهِ : اعطِفْ على عبدِكَ يا قابري
يقول ابن سنان الخفاجي : «قابري من ألفاظ عوام النساء
وأشباههن».

ومعنى قابري : قاتلي ومدخلى القبر.

وجملة القول أن فصاحة الكلمة تعني كما يقول بعضهم :

أن تكون لينة سهلة النطق تتجاوز أصواتها تجاوزاً هادئاً تتجاوب فيه
وتتلاقى أنغامها، وأن تكون مألوفة جرت على الألسنة ورنّت أصدائها في
محاقل الشعر والأدب، وأن تكون واردة على قواعد تصريف الكلمات.

فصاحة الكلام :

يريد البلاغيون بفصاحة الكلام أمرين :

1 - فصاحة مفرداته؛ بسلامتها من عيوب الكلمة التي تقدم ذكرها.

2 - تألف هذه المفردات فيما بينها وتساوقها وسهولة إدراك العقل
معانيها.

ويرون أن ذلك مشروط ببراعة الكلام من ستة عيوب :

أولاً - تنافر المفردات داخل السياق : وهو وصف في كلمات التركيب
الواحد، ينشأ عنه تعثر اللسان في النطق به؛ لصعوبة تدفق كلماته على
اللسان مجتمعاً. ومصدره : إما تجاور كلمات متقاربة الحروف، وإما تكرار
كلمة واحدة. وقد تبين البلاغيون أن تنافر المفردات على ضربين :

(أ) شديد الثقل، كعجز هذا البيت :

وقبرٌ حربٌ بمكانٍ قفرٌ وليس قرباً قبرٍ حربٍ قبرٌ
فكلمات الشطر الثاني متنافرة تماماً، حتى إنَّ اللسان ليجهد في النطق
بها.

ومثله قول الشاعر :

- في رَفَعِ عَرَشِ الشَّرْعِ مِثْلَكَ يَشْرَعُ -

(ب) خفيف الثقل، كصر هذا البيت لأبي تمامٍ يعتذر لممدوحه :

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورى معي وإذا مألَمْتُهُ لمتُّه وحدي
قوله : « أمدحهُ أمدحهُ » يثقل على اللسان النطق به.

ثانياً - ضعف التأليف : وهو أن يكون تركيب الكلام مخالفاً للمشهور
من قوائين النحو. ومن ذلك وصلُّ الضميرين، وتقديم غير الأعراف منهما
على الأعراف، كما في قول المتنبي :

خَلَّتِ البِلَادُ مِنَ الغَزَالَةِ لِيَأْهَا «فَأَعَاضَنَهَاكَ» اللَّهُ كِي لَا تَحْزَنَا

الغزاة : الشمس. أراد : خلت البلاد من الشمس ليلاً فعوضها الله عن
الشمس بك، لكي لا تحزن. وقوله في عجز البيت «أعاضهاك» مخالفاً
للمشهور من قوائين النحو، التي تقضي بالفصل بين الضميرين في مثل
هذه الحال. ومن ثمَّ هذا الكلام غير فصيح لضعف التأليف فيه.

ومن ضعف التأليف الإتيان بالضمير قبل ذكر مرجعه لفظاً ورتبةً

وحكماً، كما في قول حسان بن ثابت يرثي مطعم بن عديّ :
وَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَخَذَ الدَّهْرَ وَاحِدًا مِنْ النَّاسِ أَبْقَى مَجْدُهُ الدَّهْرَ مَطْعَمًا
ففي عجز البيت أتى الشاعر بالضمير (الهاء في مجده) قبل ذكر
مرجعه «مطعماً». وهكذا فعجز البيت غير فصيح لضعف التأليف فيه.

ثالثاً - التعقيد اللفظي : وهو أن يكون الكلام غير ظاهر الدلالة على
المعنى المراد منه لعدم ترتيب ألفاظه على ترتيب معانيه. ومبعث ذلك في
الكلام تقديم أو تأخير أو حذف، أو غير ذلك مما ينشأ عنه صعوبة فهم
المراد. وهو على ضربين :

(أ) شديد، كالذي يتراعى في قول الفرزدق يمدح إبراهيم المخزومي
خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حيّ أبوه يقاربه
كلّ الذي أراد الشاعر أن يقوله هو : ليس مثل هذا الممدوح في الناس
في الناس حيّ يقاربه في الفضائل إلا ملكاً هو ابن أخت هذا الممدوح.
ومصدر خفاء دلالة البيت عدم ترتيب الألفاظ وفق ترتيب المعاني في
الذهن؛ وذلك بسبب :

- (أ) وجود فاصل كبير بين البدل «حيّ» والبدل منه «مثله».
- (ب) تقديم المستثنى «مملكاً» على المستثنى منه «حيّ».
- (ج) الفصل بين المبتدأ والخبر «أبو أمه - أبوه» بـ «حيّ»
- (د) الفصل بين الصفة «حيّ» والموصوف «يقاربه» بـ «أبوه».

ويذهب نفر من الباحثين إلى أن الفرزدق - الشاعر الفحل الخبير
بطبائع اللغة وعوائد التراكيب - إنما قصد إلى هذا التعقيد تهكماً بالمدح
والممدوح. وعداً الفرزدق لبني أمية معروف.

ومن صورهِ أيضاً قول الشاعر يصف داراً بالية :
فأصبحتُ بعدَ خطِّ بهجتها كأنَّ قفراً رسومها قَلَمًا
والترتيب الصحيح على هذا النحو : فأصبحت بعد بهجتها قفراً كأنَّ
قلماً خطَّ رسوقها.

(ب) خفيف، كالذي يرسم لك ملامحه قول المتنبى :
جَفَخْتُ وَهَمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهَا بِهِمْ شِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغْرَ دَلَائِلُ
أراد : جفخت (افتخرت) بهم شيم دلائل على الحسب الأغر، وهم لا
يجفخون بها. وواضح أنه فصل بين الفعل «جفخت» والفاعل «شيم» بجملة
«وهم لا يجفخون بها»، وفصل بين الموصوف «شيم» والصفة «دلائل» بالجار
والمجرور، وبين الفعل «جفخت» والجار والمجرور المتعلقين به «بهم» بالجملة
«وهم لا يجفخون بها».

ومثله قول الفرزدق :
إلى ملكٍ ما أمُّهُ من محاربٍ أبوه، ولا كانت كليباً تصاهرة
وأصل هذا التركيب : إلى ملك أبوه ما أمُّهُ من محاربٍ
ونخلص من هذا إلى القول : التعقيد اللفظي هو عدم وضوح دلالة
الكلام لخلل في نظمه، والتراكيب التي تنطوي عليه غير فصيحة؛ لكونها لا
تشف عن معانيها.

رابعاً - التعقيد المعنوي : وهو أن يكون الكلام ففي الدلالة على المراد لتعثر انتقال الذهن من المعنى اللغوي للكلمة إلى المعنى الكنائي المقصود. والمثال التقليدي لذلك بيت العباس بن الأحنف :

سأطلبُ بُعدَ الدَّارِ عنكم لتقربوا وتسكبُ عيناَيَ الدموعَ لتجمدا
يشير الشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى أن معنى البيت : «إني اليوم
أطيبُ نفساً بالبعد والفراق، وأوطنها على مقاساة الأحزان والأشواق،
وأترجَعُ غُصَصَها وأحملُ لأجلها حزناً يُفيضُ الدموعَ من عيني؛ لآتسببُ
بذلك إلى وصلِ يدوم ومسرّة لا تزول، فإِ الصبر مفتاحُ الفرج، ولكلّ بداية
نهاية، ومع كلِّ عسرٍ يُسرّاً». ومعنى التحمل في سبيل الوصول أمرٌ معروف.
عند العرب حتى قال عروة بن الورد:

تقول سليمي لو أقمّت بأرضينا ولم تدرِ أني للمقام أطوف

وإلى اليوم تقول العامة «كلّما جعت أكلت طيباً». وفي عجز البيت كنايةتان
: كنى بسكبِ الدموع الكآبة والحزن الناشئين عن فراق الأحبة، وهي كناية
واضحة وصحيحة؛ لأنّ العادة كذلك. ثم كنى بجمود العين عن الفرح
والسرور الناشئين عن دوام اللقاء، وهذه الكناية غامضة وغير صحيحة؛ لأنّه
لا يُنتقل من المعنى اللغوي لجمود العين - أي شحّها بالدموع عند إرادة
البكاء - إلى المعنى الكنائي وهو السرور الناشئ عن اللقاء. والمحصلة أنّّه
أراد التعبير بجمود العين عن معنى السرور فأخطأ السبيل لأنّ العرب
تستخدم جمود العين لتعبّر عن عدم بكائها وسكبها للدمع عندما يريد منها
صاحبها ذلك، ولا تعبّر بجمود العين عن السرور كما فعل ابن الأحنف.
وعند العرب تعبيران جميلان عن حالين للعين عند إرادة البكاء على عزيز :

أن تنهلّ الدموع عند إرادة البكاء ويسمّون هذا «الإسعاد»؛ كأنهم يشيرون إلى مساعدة العين وإسعافها بالدمع المطلوب. أن لا تنهلّ الدموع وتنضب مع إرادة الإنسان ذلك ويسمّون هذا «الجمود». ولذلك قالت الخنساء :

أعينيّ جوداً ولا تجمُدُ ألا تبيكيانِ لصخّرِ الندي ؟

وجملة القول أن التعقيد المعنويّ هو خفاء دلالة الكلام على المراد منه؛ لخلل مبعثه عدم قدرة الذهن على الربط بين الدلالة اللغوية والدلالة الكنائية المرادة من العبارة.

خامساً - كثرة التكرار، ومثالها قول المتنبي :

وتُسعدني في غمرةٍ بعدَ غمرةٍ تبُوحُ لها منها عليها شواهدُ

وصف فرسه بسلاسة العدو وسهولته حتى كأنّا تعوم في الماء. ولها :
جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. و«منها» حالٌ من شواهد
و«عليها» جار ومجرور متعلقان بـ«شواهد»، و«شواهد» مبتدأ مؤخر.

والشاهد في عجز البيت، حيث أخلّ تكرار الضمير بفصاحة شطر

البيت. ومثل هذا قول الشاعر :

إنّي وأسطارٍ سَطْرَيْنَ سَطْرًا لقائلٌ : با نَضْرُ نصرًا نصرًا

وواضح أن تكرار مادة لغوية واحدة في كلّ شطر من أشطار البيت

يحرمه صفة الفصاحة.

سادساً - تتابع الإضافات، ومثاله قول ابن بابك يخاطب حمامةً :

حمامة جَرَعِي حَوْمَةَ الجَنْدَلِ اسْجَعِي فانتِ بِمِرايِ من سعادٍ ومسمَعِ

يسأل الشاعر حماسة هذا الموضع أن تسجع وتطرب إعجاباً بمحبوبته
وسروراً بها؛ لأنها في هذا الموضع الذي تراها فيه سعاد وتسمع صوتها.

والشاهد في صدر البيت، حيث أضاف حماسة إلى «جرعى» (وهي
أرض ذات رمل عديمة النبات)، وأضاف «جرعى» إلى حومة (معظم
الشيء)، و«حومة» إلى «الجدل» (الأرض ذات الحجارة). ومثل هذه
الإضافات المتتابعة مغلّ بفصاحة الكلام.

وجملة القول أن فصاحة الكلام تعني :

فصاحة مفرداته وسلامته من تنافر كلماته مجتمعة ومن ضعف
التأليف وتعقيد الألفاظ والمعاني، ونأيه عن كثرة التكرار وتلاحق
الإضافات.

فصاحة المتكلم :

يعرف الخطيب القزويني فصاحة المتكلم بأنها:

مَلَكَةٌ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلِيّ التَّعْبِيرِ عَنِ الْمَقْصُودِ بِلَفْظٍ فَصِيحٍ.

ويعني ذلك أن يكون المتكلم قادراً دائماً دائماً على التعبير عما يشاء من
الأفكار والمقاصد في الوقت الذي يشاء، بالألفاظ فصيحة. ويفهم من
السياقات التي تخلع فيها العرب هذه الصفة على المتكلم أن الفصيح
عندهم هو ذلك المتكلم القادر على التصرف في فنون الكلام
متى شاء ذلك وبأداء لغوي فصيح.

وقال إن الفصاحة تقتضي أمرين أساسيين: صفاء في الذهن يدرك
المناسبة بين الفكر، ثم يسراً في تشكيل هذه الفكر في قوالب كلامية تشف

عن هذه الفكر وتبين عنها خير إبانة؛ فقولنا فصيحة يعني أنها مبيّنة.

البلاغة:

البلاغة - لغة - بلوغُ الرجل بعبارته كنهَ ضميره، تقول: بلغَ عبدُ الحميد أي: صار قادراً على التعبير عما يريد. وتخلع العربُ صفة البلاغة على اثنين: الكلام، والمتكلم. فتقول: هذا كلامٌ بليغٌ وغايةً في البلاغة، كما تقول: هذا متكلمٌ بليغ، ولم يُسمع عن العرب وصفها الكلمة الواحدة بالبلاغة.

وهناك تفصيل القول في بلاغة الكلام وبلاغة المتكلم:

بلاغة الكلام :

يقول الخطيب القزويني:

البلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته.

وفي التعريف ثلاثة أشياء تستدعي التحديد وهي: الحال، ومقتضى الحال، مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

(أ) الحال :

يراعي البليغ في كلامه طبيعة من يسوق حديثه إليه والظرف المحيط به الجو النفسي الذي يعيش تحت وطأته. ونحسّ نحن المتحدثين العاديين بأثر ذلك في كلامنا؛ إذ نعدّ كلامنا دائماً على نحوٍ يناسب فيه الإطار الذي يقال فيه. ويأخذ كلامنا صوراً مختلفة تبعاً لطبيعة من نتكلم معهم؛ فكلامنا مع الوالدَيْن غير كلامنا مع الأشقاء، وكلامنا مع معلّمينا غير كلامنا مع زملائنا، وكلامنا مع الذكيّ اللماح من زملائنا نكتفي فيه بالإشارة السريعة، ومع متوسط الذكاء نعمد إلى الشرح والتبسيط، ونمعن في ذلك

حين يُملَى علينا أن نحدّث من لم يؤتَ خطأً من الإدراك السريع. وكثيراً ما نردّد في مواقف الفهم والإفهام: اللبيب يفهم من الإشارة، الحرّ تكيفه الإشارة... الخ. هذه الأوضاع التي نقدّم فيها كلامنا وتؤثّر في صياغتنا إيّاه وفي صبّ في قوالب خاصّة تسمّى «أحوالاً» أو «مقامات» أو سياقات». ويعرّف البلاغيون الحال بأنّه:

الأمر الحامل للمتكلّم علي إيراد كلامه في صورة خاصّة - أو الأمر الداعي لأنّ يعتبر المتكلّم في كلامه خصوصية ما.

(ب) مقتضى الحال :

ويعرّفه البلاغيون بأنّه :

الكلام الكلي الموسوم بطابع خاص

ويعني هذا التعريف أنّ الذين نقّبوا في كلام البلغاء وفي البيان العالي في القرآن الكريم، تبين لهم أنّ للكلام صوراً خاصّة صياغات محدّدة هيئات ثابتة، وأنّ كلّ صورة وصياغة وهيئة تستخدم في حال خاصّة ومقام محدّد إطار معين.

وتبيّن لهم بعد ذلك ترابط متين بين هذه الصور والصياغات والهيئات الكلامية وبين الأحوال المقامات التي تقال فيها، فخلصا من ذلك إلى القول إنّ هذه الأحوال الخاصة والمقامات المحدّدة هي التي اقتضت تلك الصور والصياغات والهيئات الكلامية؛ ومن ثمّ سمّا تلك الصور والصياغات والهيئات مقتضيات كلامية للأحوال؛ لأنّ هذه الأحوال أو المقامات هي التي أملتّها. وإليك التمثيل لذلك :

- الكلام المؤكد بأية طريقة من طرق التأكيد هو مقتضى حال الإنكار عند المتلقي؛ أي إن صورة التأكيد في الكلام هي أمرٌ تقتضيه حال الإنكار عند المتلقي.

- الكلام الموجز المختصر هو مقتضى حال الذكاء عند المتلقي؛ أي إن صورة الاختصار في الكلام هي أمرٌ يستدعيه الذكاء عند المتلقي.

- الكلام المطنب المسهب هو مقتضى حال الغباء وصعوبة الفهم عند المتلقي. وعلى الجملة فالكلام المؤكد، والكلام الموجز، والكلام المطنب، وغير ذلك مما لا حصر له من صور الكلام، هذه جميعاً: مقتضيات أملتها أحوال خاصة وعادات يعرفها المتكلمون عند من يوجهون إليهم كلامهم. وهيئات كلامنا كلها استجابات لتصورنا لحال من نكلمهم، ومن هنا جاءت الحكمة : كلموا الناس على أقدار عقولهم. وشأن البليغ شأن الطبيب الذي يتعرف داء مريضه فيعطيه «قائمة الدواء» المناسبة. وصفوة القول أن مقتضى الحال هو :

كيفية كلامية يعرفها المتكلم، ويعرف الحال التي تقتضيها عند المخاطب، وتبقي في ذهنه في صورة فكرة كاملة وتصور عقلي، حتى إذا جاءت الحال التي تقتضيها أثناء التخاطب أخرج كلامه وفقاً لها. وقاننها العام : لكل كلمة مع صاحبها مقام.

(جـ) مطابقة الكلام للمقتضى :

وهي ظهور كلام المتكلم وفق الصورة التي تقتضيها الحال التي يقال فيها، أي تطبيق المتكلم في كلامه ما تفرضه عليه حال مخاطبة من مقتضى، أي كيفية خاصة.

وإليك مثلاً يجعلك على المحجة الواضحة إن شاء الله :

قال بشّار يذكر جاريته وبابة :

رَبَابَةٌ رَبُّهُ الْبَيْتِ تصبُّ الخُلُّ في الزيتِ
لَهَا عَشْرُ دَجَاجَاتٍ وديك حَسَنُ الصَّوْتِ

وقال مفتخراً

إذا ما غضبنا غضبةً مُضْرِبَةً هتكنَّا حجابَ الشمسِ أو قطرتُ دَمًا
إذا ما أعرنا سيِّداً من قبيلةٍ ذرا منبرٍ صلَّى علينا وسلماً

لن يغيب عنك التباين الواضح بين هذين القولين من حيث البساطة والوضوح وتناول المعاني العادية وإيثار الوزن الأكثر غنائية في خطاب بشّار لجاريته، ومن حيث الجزالة الفخامة والقوة وإيثار الوزن الأكثر رزانة ثقلاً في بيتي الفخر. وإنك لتتساءل بعد هذا : لِمَ هذا الاختلاف بين الكلامين، ما سبب مباينة الصورة الألى للثانية ؟

يقول منطلق البلاغة وقانونها العام : إنَّ كونَ جاريةٍ بشّارِ إنساناً بسيطاً يرضى بالقليل، وتروقه كلمة ثناء محبب أياً كانت صورتها، «حال» أو «مقام» لمخاطب بشّار.

وهذه الحال من السدّاجة والبساطة والابتهاج باليسير تقتضى كلاماً ظاهر المعاني، عاديّ الفِكر، تدركه جارية مثل «ربابة» بيسر فتُسّر له وتبتهج به وهو عندها خير من معلقة من المعلقات. ومن ثمّ فالكلام المبسّط الظاهر المعاني العاديّ الأفكار هو «مقتضى حال» الخطاب الموجّه لإنسانٍ ثقافته محدودة، وإهتمامه لا يتجاوز أفاق خدمة سيده وتلبية مطالبه وإدخال

انسرور إلى قلبه. وهذا المقتضى هو قانون لغويّ يختزنه ذهن المتكلم ولا يستخدمه إلا عند الشرع بالكلام، أي إنه في حالة كمون. أما ظهور كلام بشّار على الصورة التي ظهر عليها في البيتين - أي تنفيذ قانون المقتضى - فهو «مطابقة لمقتضى الحال»، وفي مقابل بيتي ربابة كان التفاخر والتباهي والتعالي «حالاً» في بيتي الفخر، وهي حال تقتضي كلاماً قوياً الألفاظ فخم المعاني حافلاً بصور الكبرياء والقوة والأنفة. ومثل هذه الكيفية للكلام «مقتضى حال» متكلم جائش النفس ثائر الخواطر دواؤه كلام له هذه الكيفية. أما ظهور كلام بشّار على الصرة التي ظهر عليها - أي تطبيقه قانون المقتضى الذي يعرفه جيداً - فهو «مطابقة لمقتضى الحال».

وعليك أن تعلم جيداً أن مقتضى الحال هذا - أو الاعتبار المناسب كما يسمّى أحياناً - يختلف باختلاف الحال وفقاً للقانون البلاغيّ العام : لكلّ مقام مقال ؛ الذي يساوي القول : لكلّ حالٍ مقتضى. ويصبح العكسُ وهو أن تقول : لكلّ كلمة مع صاحبها مقام ؛ الذي يساوي القول : لكلّ مقالٍ حالٍ يقال فيها. فحال الإنكار عند المخاطب مقتضاها الكلام المؤكد، وحال الذكاء عند المخاطب مقتضاها الكلام الموجز، وحال البلاهة والغباوة مقتضاها الكلام المطنّب الموضّح، وحال الاعتذار من المخاطب مقتضاها الكلام المسهب المليء بالمسوِّغات والأعذار التي تسلّ الضغينة، وتحمل على الإعتاب والصفح... وهكذا...

تفاوت مراتب البلاغة :

تتباين درجات البلاغة علوّاً وانحطاطاً. وفي هذا يقول الخطيب القزويني : «ولها طرفان : أعلى وهو حدّ الإعجاز وما يقرب منه، وأسفلٌ وهو ما إذا

غيرَ الكلام عنه إلى ما دونه التحق عند البلغاء بأصوات الحيوانات؛ وبينهما مراتب كثيرة».

مهما يكن، فإن ارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول إنما يكن بمطابقته لمقتضى الحال أو الاعتبار المناسب، وذلك بعد أن يكون أداؤه - لغته - فصيحاً مبيناً خير إبانة ضمن شروط الفصاحة التي عرفتھا..

بين البلاغة والفصاحة :

يذهب البلاغيون إلى أن البلاغة هي تطبيق الكلام علي مقتضى الحال مع فصاحته، وهكذا فشرط الكلام البليغ أن يسلم من العيوب المخلة بفصاحة وفصاحة أجزائه. وينتج على هذا أن البلاغة أعم من الفصاحة؛ إذ كلُّ كلام بليغ فصيح لا محالة، وليس كلَّ كلام فصيح بليغاً، فقد يكون فصيحاً لكنه غير مطابق لمقتضى الحال. وهكذا نبين الاثنين علاقة عموم وخصوص.

بلاغة المتكلم :

بلاغة المتكلم عند البلاغيين - ملكة في النفس يقتدر بها صاحبها على تأليف كلام بليغ : مطابق لمقتضى الحال، وسليم من نواقض الفصاحة، في أي معنى قصده. والملكات عندهم هي الصفات الراسخة التي تحصل بتكرار الشيء.

هذا والمتكلم البليغ أخص من الفصيح؛ لأن المتكلم البليغ من يتحلَّى بملكة الإتيان بالكلام البليغ، قد عرفنا أن الكلام البليغ ينبغي أن يكون فصيحاً، أمّا المتكلم الفصيح فقد يفقد صفة البلاغة بأن يأتي بكلام فصيح

ولكنه غير مطابق لمقتضى الحال. وقد سئل عربيّ : ما هذه البلاغة فيكم؟ فأجاب : «شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا». ويفهم من هذا أن البلاغة تشمل التفكير في المعاني التي تعتمد في الذهن وتهيئتها إعدادها، ثم اختيار القوالب الكلامية التي تصوّر هذه المعاني خيراً تصوير مراعى في صياغتها شرطاً البلاغة الأساسيان : مطابقة مقتضى الحال، والفصاحة. ويصف البحتري بلاغة محمد بن عبد الملك الزيات فيقول :

ومعانٍ لو فصلتُها القافي هجنتُ شِعْرَ جَرَوْلٍ لبيدِ
حُزْنَ مستعملِ الكلامِ اختياراً وتجنّبِ ظلمةِ التعقيدِ
وركّبِ اللفظِ القريبِ فأدرِكْ — نَبْ بهِ غايةَ المرادِ البعيدِ

الأمران اللذان يتولّف عليهما حصول البلاغة :

الأول - تشكيل المعنى المراد بصورة أداء كلامي مناسب للحال التي يقال فيها، حتى لا يؤدّي المعنى المراد بلفظ فصيح غير مطابق لمقتضى الحال بأداء لغوي غير فصيح.

والسؤال الحاسم هو : كيف يتأتّى لنا تجنّب العيوب المخلّة بالفصاحة وتحقيق شروط البلاغة؟

كان الأجداد يكتسبون الفصاحة والبلاغة بالعيش بين ظهراي الفصحاء الأبياء في مجتمع يقيم كبير وزن لمن يسوّي كلامه وينفي عنه أقداء الرطانة والهجنة. وهم من ثمّ يرضعونها مع حليب أمهاتهم يتنفّسونها مع أنسام صحرائهم. أمّا اليوم وقد بعد بنا العهد عن صفاء اللغة وضجّت مجتمعاتنا بالرطانة، فثمة وسائل تمكّنتنا من تنمية ملكة الفصاحة والبلاغة

عندنا وتحاشي العيوب التي تزري بمنطقنا. وإليك بيان ذلك :

- 1 - الغرابة - ونتجنبها بالاطلاع على علم متن اللغة وتتبع الكتب المتداولة والإحاطة بمعاني المفردات المأثوسة. وبذلك يكون في مقدرنا إدراك ما هو غريب حوشي واجب نفيه من كلامنا.
- 2 - المخالفة - ونتجنبها بالإحاطة بما ثبت عن الواضع في معاجم اللغة، وبمعرفة علم التصريف الذي تكفلت قواعده بإيضاح صيغ المفردات طرائق استعمالها.
- 3 - ضعف التأليف والتفقيد اللفظي - ونتجنبهما بالإلمام بقواعد علم النحو؛ إذ شأنه بيان طرق استعمال المركبات على النحو الصحيح.
- 4 - التناثر - ويدرك بالذوق السليم المقوى بالمران والدربة؛ فهو الذي يتحسس ما في الألفاظ المفردة والتراكيب من صور التناثر أو التآلف.
- 5 - الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد بالصورة اللفظية المناسبة، وممكننا منه دراسة «علم المعاني» وفهم مقاصده وتوجيهاته.
- 6 - التعقيد المعنوي - نتعرفه بدراسة «علم البيان»؛ فمن استوعب مفردات هذا العلم استبان السبيل المثلى لعرض المعاني واضحة بيّنة لا تشكو تعقيداً ولا عوجاً ولا أمناً .
- 7 - خلوّ الكلام من المحسنات والجماليات التي تخلع عليه فخامة ورواء تزيده طلاوة وبهاء - ويعرف بدراسة «علم البديع»، فمن ألمّ بمباحثه عرف وجوه تحسين اللفظ والمعنى كما ستعرف ذلك إن شاء الله.

علوم البلاغة :

تعرف العلوم الثلاثة الأخيرة - التي أشرنا إليها قبل قليل - بأنها «علوم البلاغة» ويسمّيها كثيرون «علم البيان»، كما يسمّيها بعضهم «علم البديع». وهناك فريق من الدارسين يسمّي العلم الذي يَحْتَرِزُ به عن الخطأ في تأدية المعنى المراد «علم المعاني» ويسمّي البيان والبديع «علم البيان».

أمّا نحن فقد أثّرنا التسمية المشهورة لمجموع هذه العلوم، وهي «علوم البلاغة» وبدأ لنا أن نسمّي كتابنا :

الكافي في علوم البلاغة العربية - المعاني - البيان - البديع

تفاوُلًا بأن يكون - إن شاء الله - كافيًا لطالب العلم وراغب الغنم. وسيأتيك حديث هذه العلوم مرتبة هكذا : علم المعاني - علم البيان - علم البديع.

أسئلة واجاباتها فصاحة الكلمة

- حدّد ما أخلّ بفصاحة الكلمات المضمّوعة بين قوسين في الأبيات
والعبارات الآتية :

- 1 - وما أرضى لمقلّتهِ بحُكمٍ إذا انتبهتْ توهمه (ابتشاكاً) (١)
- 2 - لم يلقها إلا بشكّةٍ باسلٍ يخشى الحوادث حازمٍ (مستعدِّدٍ
- 3 - إن بنيّ للنّام زهده مالي في صدورهم من (مؤدّده)
- 4 - يوم (عصّب) (٢) و(هلوف) (٣) ملا السجّسج (٤) طلاً
- 5 - قد قلت لنا (اطلخم) (٥) الاموانبعثت عشواتك اغبسا (دهاريسا) (٦)
- 6 - لا نسب اليوم ولا خلة (اتسع) الفتق على الراقع
- 7 - كتب بعض أمراء بغداد رقعةً طرحها في المسجد الجامع حين مرضت
أمه فقال: صين امرؤ ورعي دعا لا امرأة (انقلحة) (٨)، (مقسنة) (٩)؛
فقد منيت بأكل الطرموق (١٠) فأصابها من أجله (الاستمصال) (١١) أن
يمن الله عليها (بالطرموق) (١٢) د (البرغشاش) (١٣).

(١) الابتشاك: الكذب والخلط في كل شيء (٢،٢) عصّب وهلوف: شديد البرد في الاثنين.
(٤) السجّسج: الأرض التي ليست بسهولة لا صلبة. (٥) اطلخم: أشدّ وعظم.
(٦) الغبّس: جمع أغبس وغبساء: الشديد الظلام. (٧) الدهاريس: جمع دهريس بمعنى الداهية.
(٨) إنقلحة: يبس جلدها على عظمها. (٩) مقسنة: بيّرة وعاسية. (١٠) الطرموق: الخفّاش.
(١١) الاستمصال: الإسهال. (١٢) الإطرموق: التماثل للشفاء (١٣) كسابقة.

8 - فأيقنت أنني عند ذلك ثائرٌ غداً أقنذ، أو هالكٌ في (الهالكِ)
9 - قال امرؤ القيس :

«ربَّ جَفْنَةٍ (مُتَعَجَّرَةٍ) (١٤) وطعنةٍ (مُسْتَحْفَرَةٍ) (١٥)، وخطبةٍ مستحضرةٍ،
وقصيدةٍ محبِّرةٍ، تبقى غداً بأنقرة.»

10 - وأحمق ممن يكرعُ الماءَ قال لي دَعِ الخمرَ أشربُ من (نَقَاحِ) (١٦) مبرِّدٍ

الإجاءات :

- 1 - كلمة «الابتشاك» غير فصيحة لغرابتها؛ إذ هي قليلة الاستعمال.
- 2 - كلمة «مُسْتَعْدِدٌ» غير فصيحة لمخالفتها القياس؛ فالقياس أن تكون «مستعدٌ».
- 3 - كلمة «مَوَدَّةٌ» غير فصيحة لمخالفتها القياس؛ فالقياس أن تكن «مودَّةٌ» بالإدغام.
- 4 - عَصَبَصَبٌ وهَلُوفٌ غير فصيحتين لغرابتهما؛ إذ هما قليلتا الاستعمال.
- 5 - كلمة «اطلخَمٌ» غير فصيحة؛ لغرابتها غلظها في السمع. ومثلها «دهاريس».
- 6 - كلمة «إتسع» غير فصيحة لمخالفتها القياس؛ إذ القياس «أتسع» بهمزة وصل

(١٤) صفة للجفنة بمعنى السائله. (١٥) مسحنفرة : النافذة بسرعة. (١٦) عذب.

أسئلة واجاباتها حول فصاحة الكلام :

- حدد ما أخلّ بفصاحة الكلام فيما يأتي :

- 1- نكنّ مثلَ مَنْ يا ذنْبُ يصطحبانِ تعالَ فإنْ عامدتنِي لا تخوننِي
- 2- كادَ لو ساعدَ المقدورَ ينتصِرُ لما رأى طالبوهُ مصعباً ذُعروا
- 3- كُنّا وكنتَ ولكنْ ذاكَ لم يكن لو كنتَ كنتَ كنتَ السُّرُكنتَ كما
- 4- أدوا إليه الكَيْلَ كيلاً بصاعِ لما عصى أصحابهُ مصعباً
- 5- لئليّ عندَ مثلهمُ مُقامَ ولمْ أرَ مثلَ جيرانِي ومثلي
- 6- وعافَ عافي العُرفِ عرفانهُ وازورَ مَنْ كانَ له زائراً
- 7- وأبوكَ والتقلانَ أنتَ محمدُ أتى يكونَ أباً البرايا آدمُ
- 8- يرضى المعاشرُ منك إلا بالرضَا والمجدُ لا يرضى بأن ترضى بأن
- 9- مِنْ أنّها عمَلُ السيّوفِ عواملُ ولذا اسمُ أغطية العيون جفونها
- 10- زهيراً على ماجرٍ مِنْ كلِّ جانبِ ألا ليتَ شعري هلْ يلومَن قومهُ

الإجابات :

- 1 - في البيت تعقيد لفظي؛ إذ إن التقدير : نكنّ يا ذنْبُ مثلَ مَنْ يصطحبانِ.
- 2 - في البيت ضعف التاليف؛ لأنّ الهاء في «طالبوه» تعدد على مصعب وهو متأخر لفظاً ورتبةً.

- 3 - في البيت تنافر الكلمات، الناشيء عن تكرار لفظ «كنت».
- 4 - في البيت ضعف التأليف؛ لأنّ الهاء في «أصحابه» تعود على مصعب المتأخر لفظاً ورتبةً
- 5 - في البيت تنافر في الكلمات؛ مصدره تكرار لفظ «مثل».
- 6 - في البيت تنافر في الكلمات؛ مصدره التكرار. ومعنى هذا البيت : انصرف عنه من كان يزوره، وكره طالب معرفته معرفته.
- 7 - في البيت تعقيد لفظي، ناشيء عن الفصل بين المبتدأ والخبر وهما : أبوك آدم، وتقديم الخبر على المبتدأ والثقلان أنت؛ وتقدير الكلام : كيف يكون آدمُ أبا البرايا وأبوك محمد والثقلان أنت؟
- 8 - في البيت تنافر في الكلمات؛ مصدره تكرار لفظ «ترضى».
- 9 - في البيت تعقيد لفظي؛ إذ إنّ تقدير الكلام هكذا : لأنّ العيون عوامدُ عمل السيوف سميت أعطيتها جفنًا.
- 10 - في البيت ضعف التأليف؛ لأنّ الهاء في «قومه» تعود متأخر لفظاً ورتبةً.

مقدمة في تعريف علم المعاني ومباحثه :

- تعريف علم المعاني :

يقول السكاكي في تعريف هذا العلم :

هو تتبع خواص تراكييب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره .

وعرفه الخطيب القزويني بالقول :

هو علم تُعرّف به أحوال اللَّظ العربيّ التي بها يطابق مقتضى الحال.

وليس ثمة تباين بين التعريفين فيما يبدو لنا. وفي مقدورنا تبسيط التعبير عن دلالتها المشتركة بالقول إن علم المعاني هو العلم الذي يعرفنا صياغة العبارة صياغةً تناسب تماماً المقام الذي تقال فيه، وتعبّر تعبيراً دقيقاً عن القصد الذي نبتغيه. ذلك أن « مهارة الأديب، ونبوغ الشاعر، وعبقرية اللغة، كلّ هذا يكمن فيما بين الكلم من ترابط وصلات، فحذق الأديب الشاعر يظهر في مقدرته الفائقة على صياغة كلم اللغة صياغة بصيرة واعية، تصف كلّ خاطرة من خواطر نفسه، وتُفصح عن كل فكرة تومض في كيانه، أو شعور يختلج في مطاويه، وعبقرية اللغة تكمن في مرونتها، وطواعيتها وإفادتها دقيق المعاني، بوجوه وفنون الصياغة، فتصف بهيئة الكلمة وتشير بخصوصية التركيب »

« د. محمد أبو موسى : دلالات التراكييب »

وعلى نحو أوضح نقول: إنَّ علم المعاني هو الذي يقول لنا - مثلاً - إنَّ تنكير الخبر في الجملة الإسمية يناسب حالاً خاصة ومقاماً متميزاً، وتعريفه يناسب حالاً أخرى، وإنَّ «إذا» تستخدم في الشرط عند كون المتكلم متأكداً من حصول الشرط و«إن» تستخدم عند كونه غير متأكد. فقانوناه الأساسيان :

لكلِّ مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبها مقام.

- مباحث علم المعاني :

يبحث علمُ المعاني في أحوال اللفظ، أو صياغاته التي يكون فيها مستجيباً لمقتضى الحال. وغنيُّ عن الذكر أن «علم النحو» يدرس أحوال اللفظ من تنكير وتعريف، وتقديم وتأخير، وحذف وذكر ... الخ. لكنَّه يدرسها من وجهة مغايرة لما عليه الأمر في علم المعاني، فهو يتبين جواز التقديم وامتناعه ووجوبه، وجواز الحذف وامتناعه ووجوبه، ويتكلم على التعريف التنكير التأكيد وعدمه، لكنها لا يعالجها من حيث إنها تلبي مطلباً فنياً يقتضيه المقام وتستدعيه الحال، فقد تكفل بذلك علم المعاني .

ويتناول علمُ المعاني ثمانية مباحث هي :

- أحوال الإسناد الخبري.

- أحوال المسند إليه .

- أحوال المسند .

- أحوال متعلقات الفعل .

المبحث الأول - أحوال الإسناد الخبري

ويتضمن :

- طرفا الكلام : المسند إليه والمسند .
- النسبة بين هذين الطرفين .
- تقسيم الكلام تبعاً للنسبة على خبر وإنشاء .
- الفروق الأساسية بين الخبر والإنشاء .
- احتمال الخبر للصدق والكذب .
- الخبر الصادق والخبر الكاذب .
- الإسناد الخبري « تعريفه » .
- صور طرفي الإسناد .
- مواضع المسند إليه والمسند في سياق الجملة العربية .
- قصد المخبر في إلقاء الخبر .
- خروج الخبر عن غرضيه الأساسيين .
- أحوال متلقي الخبر .
- أحوال متلقي الخبر تحدد صيغ الخبر الملقى إليه : المقال .
- إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر .
- مؤكّدات الخبر .

طرفا الكلام : المسند إليه والمسند :

يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني : « مختصر كل أمر أنه لا يكون كلاماً من جزء واحد، وأنه لا بد من مسند إليه ومسندٍ ».

هذه حقيقة الحقائق التي يعيها كل عاقل؛ فلكل كلام تام طرفان : المسند إليه والمسند. تقول : محمد صادق فيكون « محمد » مسنداً إليه و«صادق» مسنداً. وتقول : «جاء الصيف» فيكون «الصيف» مسنداً إليه، و«جاء» مسنداً. وتقول : «اقرأ يا محمد» فيكون «الفاعل الضمير المستتر أنت» مسنداً إليه، و«اقرأ» مسنداً. هذا ويسمى البلاغيون المثبت له «مسنداً إليه» أو محدثاً عنه، ويسمى المثبت «مسنداً» أو «حديثاً» .

- النسبة بين الطرفين :

في الأمثلة المتقدمة لا بد من وجود رابط يربط بين طرفي الكلام التام. وهذا الرابط يسمى «النسبة»؛ أي نسبة شيء إلى آخر. ففي المثال الأول نسبنا الصدق إلى محمد، وفي المثال الثاني نسبنا المجيء إلى الصيف، في المثال الثالث نسبنا القراءة إلى محمد على جهة طلبنا قيامه بها. النسبة هي : تعلق أحد الطرفين بالآخر على سبيل الحكم به عليه ايجاباً أو سلباً، أو على سبيل الطلب .

وإذا أدركنا هذا نقول إن هذه النسبة على ثلاثة أنواع من حيث الجهة التي توجد فيها :

1 - النسبة الكلامية - وهي تعلق أحد الطرفين بالآخر تعلقاً نفهمه من الصيغة الكلامية، أو هي مؤدى الكلام أو معنى الكلام .

2 - النسبة الذهنية - وهي تعلق أحد الطرفين بالآخر تعلقاً يقوم في ذهن المتكلم، أو هي التصور الذهني للمتكلم حول تعلق أحد الطرفين بالآخر .

3 - النسبة الخارجية - وهي تعلق أحد الطرفين بالآخر تعلقاً قائماً في الخارج .

بيان ذلك أن قولنا :

« الشجرة مزهرة »

يتضمن ثلاثة أنواع النسبة المشار إليها، وهي :

- نسبة كلامية تتمثل في معنى إزدهار الشجرة، أو نسبة الإزدهار إلى الشجرة التي فهمناها من هذا القول أو الجملة .

- نسبة ذهنية تتمثل في تصور إزدهار الشجرة، أو نسبة الإزدهار إلى الشجرة، تلك النسبة القائمة في ذهن المتكلم أو تصوّره .

- نسبة خارجية تتمثل في ازدهار الشجرة الحادث في الواقع العياني المشاهد .

- تقسيم الكلام تبعاً للنسبة إلى خبر وإنشاء :

الكلام تبعاً لنسبته نوعان :

الأول - ما له نسبة خارجية أو صورة واقعية يمكن أن يتعرفها الآخرون؛ أي ذلك الكلام الذي له واقع يحاكيه، ويصوره، ويتحدث عنه؛ ويسمى هذا الكلام «خبراً»؛ لأن المتكلم في هذا اللضرب من الكلام يخبر بشيء له وجود خارجي.

الثاني - ما ليس له نسبة خارجية أو صورة واقعية يمكن أن يتعرفها الآخرون؛ أي ذلك الكلام الذي لا واقع له يحاكيه. ويسمى هذا الكلام «إنشاداً» لأن المتكلم يبتدئه ابتداءً، أو ينشئ معناه بلفظ من عنده، ولا يصور فيه شيئاً له وجود خارجي. وابتغاء مزيد إيضاح إليك القول في :

الفروق الأساسية بين الخبر والإنشاء :

1 - الخبر قول يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه صيغة كلامية تحكي نسبةً حاصلة في الواقع أو غير حاصلة. فقول المتكلم: «الشجرة مزهرة» يحتمل أن يكون صدقاً، وذلك حين تكون الشجرة المعنية مزهرة حقيقة في الواقع المعين. ويحتمل أن يكون كذباً، وذلك حين تكون الشجرة المعنية غير مزهرة في الواقع المعين. وكلّ الأخبار تحتمل الصدق والكذب لذاتها، كقولنا: السماء صافية، والليل مقلمة، والوطن عزيز، وجاء الحق، وزهق الباطل، واتحد العرب.

أما الإنشاء فتقول لا يحتمل الصدق والكذب لذاته؛ لأنه صيغة كلامية لا تحكي نسبة خارجية، بل هو إنشاء معني بلفظ يقاربه في الوجود.. فقولنا: «ادرس يا أحمد» إنشاء، يعني: طلبت الدراسة منه. هو لا يحتمل الصدق الكذب؛ لأنه ليس له نسبة خارجية تطابقه أو لا تطابقه.

2 - حصول معنى الخبر لا يتوقف على النطق به؛ فمعنى قولك: «أحمدُ ناجحٌ» - وهو نسبة النجاح إلى أحمد - حاصلٌ سواء نطقتَ بهذا الخبر أم لم تنطق به. أما حصول معنى الإنشاء فمتوقف على النطق به؛ فمعنى قولك: «ادرس يا أحمد» - وهو طلب حصول الدراسة منه - متوقفٌ على النطق بهذا الطلب .

3 - مدلول الخبر يراد به أن يكون حكاية عن أمرٍ حاصل في الواقع، أو يراد منه مطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية. فقولنا: « السماء صافية» خبرٌ يراد منه أن يحكي أمراً حاصلًا في الواقع هو صفاء السماء.

أما مدلول الإنشاء فيراد به إيجاد أمرٍ لم يحصل، أو إنشاء معنى بلفظ يقاربه في الوجود. فقولك: «هل رأيت أحمد؟» إنشاء لا يراد منه حكاية لرؤية حاصلة منك لأحمد، بل المراد به طلب إحداث مدلوله؛ أي الاستفهام عن الرؤية: هل حصلت منك لأحمد. وعلى الجملة نقول:

الإجابات :

- 1 - الطرفان هنا هما : محمدٌ ورسولُ الله. وتعلُّق الرسالة بمحمد - عليه الصلاة والسلام - هو النسبة. وهذا التعلُّق، تبعاً لفهمه من الكلام، نسبةٌ كلاميةٌ؛ وتبعاً لقيامه في ذهن المتكلم نسبة ذهنية، وتبعاً لحصوله في الخارج نسبةً خارجيةً.
- 2 - الطرفان هما : محمد، عليه الصلاة والسلام، والأبوة. وتعلُّق الأبوة بمحمد - عليه الصلاة والسلام - من حيث سلَّبها عنه هو النسبة. وهو تبعاً لفهمه من الكلام نسبة كلامية، وتبعاً لحضوره في الذهن نسبة ذهنية، وتبعاً لحصوله في الخارج نسبة خارجية.
- 3 - الطرفان هما : التكلُّم الفاعل الضمير المستتر «أنت». وتعلُّق التكلُّم بالفاعل من حيث طلبه منه هو النسبة. وهو تبعاً لفهمه من الكلام نسبة كلامية، وتبعاً لقيامه في ذهن المتكلم نسبة ذهنية، وتبعاً لقيامه في نفس المتكلم نسبة خارجية.
- 4 - الطرفان هما : لا تنه، الفاعل الضمير المستتر «أنت». وتعلُّق النهي بالفاعل من حيث طلب عدم حصوله منه هو النسبة. وهذا التعلُّق تبعاً لفهمه من الكلام نسبة كلامية، وتبعاً لحضوره في ذهن المتكلم نسبة ذهنية وتبعاً لقيامه في نفس المتكلم واتصافها به نسبة خارجية .
- 5 - الطرفان هما : أتاك، وحديث الغاشية، وتعلُّق الإتيان بحديث

الفاشية من حيث طلب فهم حصوله منه هو النسبة. وهو تبعاً لفهمه من الكلام نسبة كلامية، وتبعاً لحضوره في ذهن المتكلم نسبة ذهنية، وتبعاً لقيامه في نفس المتكلم واتصافها به نسبة خارجية.

6 - الطرفان هما : الشباب ويعود، وتعلق العودة بالشباب من حيث طلب حصولها على جهة التمني هو النسبة. وهو تبعاً لفهمه من الكلام نسبة كلامية، وتبعاً لحضوره في ذهن المتكلم نسبة ذهنية، وتبعاً لقيامه في نفس المتكلم نسبة خارجية .

أسئلة وإجاباتها حول الجمل الخبرية والإنشائية :

- حدد في العبارات الآتية الجمل الخبرية الجمل الإنشائية، مع بيان المسند إليه المسند في كل منها :

لا تكن صليبا فتكسر. إن للشباب نشوة. إن الشباب جنون برؤه الكبر. لا يغلب من كان الله معه. لا تصاحب الأشرار. صبوا جميلاً. شتان ما بين زيد وأخيه. أحسن إلى الناس. هل قابلت صديقك ؟. الصبر جميل .

الإجابات :

- لا تكن صليبا فتكسر: هذه الجملة إنشائية، المسند إليه فيها اسم كان الضمير المستتر «أنت»، والمسند خبر كان «صليبا» .

- إن للشباب نشوة : هذه الجملة خبرية، المسند إليه فيها اسم إن المؤخر

«نشوة» والمسند خبرها «متعلق الجار» .

- إن الشباب جنونٌ برؤهُ الكِبَرُ : هاتان الجملتان خبريتان، المسند إليه

فيهما هو «الشباب - برؤهُ» ، والمسند هو «جنونٌ - الكِبَرُ» .

- لا يُغَلَبُ مَنْ كانَ اللهُ معه : جملة خبرية، المسند إليه فيها نائب الفاعل

«مَنْ»، والمسند هو الفعل «يغلب».

- لا تصاحب الأشرارك جملة إنشائية، المسند إليه فيها ضمير الفاعل

«أنت»، المسند هو الفعل «تصاحب».

- صبراً جميلاً: جملة إنشائية، المسند إليه فيها الضمير المستتر في

صبراً وتقديره «أنت»، والمسند «صبراً».

- شتآن مابين زيدٍ وأخيه : جملة خبرية، المسند إليه فيها الفاعل وهو لفظ

«مآ» والمسند «شتآن».

- أحسن إلى الناس : جملة إنشائية، المسند إليه فيها الضمير المستتر

في أحسن «أنت»، والمسند «أحسن».

- هل قابلتَ صديقك : جملة إنشائية، المسند إليه فيها التاء في «قابلتَ»،

والمسند «قابل» .

- الصبرُ جميلٌ : جملة خبرية، المسند إليه فيها المبتدأ «الصبر»، والمسند

هو الخبر «جميل».

احتمال الخبر للصدق والكذب :

في تمييزنا «الخبر» بأنه قولٌ يحتمل الصدق والكذب لا بدّ من الانتباه إلى أن هذا الاحتمال يُنظر فيه إلى «الجملة الخبرية نفسها» بصرف النظر عمّن قالها وعن الواقع؛ ولذا يضع البلاغيون قيد «لذاته» عند تعريف الخبر. ومبعث هذا التنبيه أننا حين ننظر إلى المُخبر أو إلى الواقع تكون بعض الأخبار صدقاً لا محالة وبعضها كذباً لا محالة. فأخبار الله تعالى، وأخبار رسله، والبيهيات المقررة نحو: السماء فوقنا، والأرض تحتنا، والحليب أبيض.. هذه جميعاً أخبار صادقة لا تحتمل كذباً البتة. عكس هذا أخبار المتنبئين في دعوى النبوة وأقوالنا المخالفة للقانون الثابت كقولنا: الجهل نافع، والعلم ضارٌّ، والأرض ثابتة؛ فهذه جميعاً أخبار كاذبة لا تحتمل صدقاً البتة. ومختصر القول أن احتمال الصدق والكذب في الأخبار يُنظر فيه إلى الكلام نفسه بقطع النظر عن خصوص المخبر أو خصوص الخبر .

الخبر الصادق والخبر الكاذب :

أسلفنا أن الكلام الخبري نسبةً كلاميةً ونسبةً خارجيةً، وأن نسب الخبر حاكيةً لأمرٍ حاصلٍ خارجاً. ونتقدّم من هاتين المقدمتين إلى القول :

إذا طبقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية كان الخبر صادقاً، كما إذا كانت الشجرة مزهرةً حقيقةً في قولنا «الشجرة مزهرة» .

وإذا لم تطابق النسبة الكلامية النسبة الخارجية كان الخبر كاذباً، كما
إذا كانت الشجرة غير مزهرة حقيقة في مثالنا السابق. وجملته القول
أن :

صدق الخبر مطابقتة للواقع الذي يحاكيه

وصدق الخبر عدم مطابقتة للواقع الذي يحاكيه

وهذا رأي الجمهور، وهو المرجح، وفي المسألة آراء لانشاء الخوض
فيها

الإسناد الخبري :

يعرف البلاغيون الإسناد الخبري بأنه :

ضمُّ كلمة أو مايجري مجراها إلى أخرى أو مايجري مجراها، بحيث
يفيد الحكم أن مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفي عنه .

كأن تقول: «المتنبي شاعر» و«ابن المقفع ليس بشاعر». ففي المثال
الأول إسناد خبريٍّ ضممت فيه كلمة «شاعر» إلى كلمة أخرى هي
«المتنبي». وحكمك هذا أفاد أن مفهوم «الشاعرية» ثابت لـ «المتنبي». وفي
المثال الثاني إسناد خبريٍّ ضممت فيه كلمة «ليس بشاعر» إلى كلمة
أخرى هي «ابن المقفع». وحكمك هذا أفاد أن مفهوم الشاعرية «منفيٌّ
عن «ابن المقفع».

بقي أن نشير إلى أن الكلمة المضموم إليها أو المحكوم عليها أو المخبر عنها تسمى «مسنداً إليه». والكلمة المضمومة أو المحكوم بها أو المخبر بها تسمى «مسنداً». والنسبة بينهما تسمى «إسناداً». ولا يختلف مدلول الإسناد عن مدلول «النسبة».

أما مايجري مجرى الكلمة - مما جاء في تعريف الإسناد قبل قليل - فيعني الجملة الواقعة موقع المفرد أو المؤولة بمفرد .

صُور طرفي الإسناد :

يأخذ طرفا الإسناد أربع صور :

- 1 - أن يكونا مفردين، كقولهم في المثل : «الحقُّ أبلجُّ والباطلُ لَجَلجُّ»، وقولهم: «أن الآوانُ»، و«قضي الأمر».
- 2 - أن يكونا جملتين، مثل: «لا إلهَ إلاَّ اللهُ ينجو صاحبها من النار».
- 3 - أن يكون المسند إليه مفرداً حقيقة المسند جملةً، كقولهم في المثل: «يَدَاكَ أَوْكَتَا، وفوكَ تَفَخَّ».
- 4 - أن يكون المسند إليه جملةً والمسندُ مفرداً حقيقةً، كقولك: «عاش الوطن شعارُنَا على الزَمَنِ».

مواضع المسند إليه والمسند في سياق الجملة :

أسلفنا أن المسند إليه المسند هما ركنا الجملة الأساسيان. ونقول ههنا إن لهما مواضع يحتلّانها في سياق الجملة العربية. وهما مفصل القول :

أولاً - مواضع المسند إليه وهي :

- 1 - فاعل الفعل التام أو شبهه، كقولك: «طلع البدرُ المضيءُ نورهُ»، فكلّ من «البدر» و«نورهُ» مسندٌ إليه؛ لأنّ الأوّل فاعل الفعل التام «طلع»، والثاني فاعل شبه الفعل التام «المضيء»، وهو اسم فاعل.
- 2 - نائب الفعل، كلفظ «الأمر» و«الأمور» في قوله سبحانه: «وقضى الأمرُ وإلى الله ترجعُ الأمور».
- 3 - المبتدأ الذي ذكّر خبره، كلفظ «الحق» و«الباطل» في قولك: «الحقُ فائقُ والباطلُ زاهقٌ».
- 4 - ما أصله المبتدأ، كأسماء الأدوات الناسخة، مثل لفظ الجلالة «الله» في قوله سبحانه: «وكان اللهُ عليمًا حكيمًا»، وكهذا اللفظ في قوله سبحانه: «إنّ اللهَ كانَ لطيفاً خبيراً»، والمفعول الأول لظنّ وأخواتها، منه لفظ «الساعة» في قوله سبحانه: «وما أظنُّ الساعةَ قائمةً» والمفعول الثاني ل«أرى» وأخواتها، ومنه لفظ «الحق» في قولك: «أريتُكُ الحقُّ واضحاً».

ثانياً: مواضع المسند، وهي:

1 - الفعل التام كلفظ «جاء» في قوله سبحانه: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ».

2 - اسم الفعل، كقولك: «هيهاتَ الحياةُ الهانئةُ»، و«شَتَانُ مَا بَيْنَ بَاطِلِهِمْ وَحَقِّكَ»، و«إِيهَ يَا أَحْمَدُ».

3 - المبتدأ المكتفي بمرفوعه عن الخبر، كلفظ «راغبٌ» في قوله سبحانه: «أُرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ»، ولفظ «مُهَانٌ» في قولك: «مَامُهَانٌ أَخُوهُ كَرِيمٌ».

4 - خبر المبتدأ، كلفظ «داحضة» في قوله سبحانه: «حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ».

5 - ما أصله خبرُ المبتدأ، كأخبار الأدوات الناسخة، مثل لفظ «أمة» في قوله سبحانه: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً»، ولفظ «واقع» في قوله سبحانه: «إِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ»، وكالمفعول الثاني لظنِّ وأخواتها، مثل «عَمْرًا مَجْتَهِدًا»، والمفعول الثالث لـ «أرى» وأخواتها، مثل «واضحاً» في قولك: «أرَيْتَكَ الْحَقُّ وَاضِحًا».

6 - المصدر النائب عن فعل الأمر، كلفظ «صَبْرًا» في قولك: «صَبْرًا عَلَى نَوَائِبِ الدَّهْرِ»، ولفظ «ضريباً»، في قولك: «ضريباً العدو».

تصدُّ المخبرِ من إلقاء الخبر :

يقول السكاكي : «إن حكم العقل حال إطلاق اللسان هو أن يُفرغ المتكلم في قالب الإفادة ما ينطق به تحاشياً عن وصمة اللأغية، فإذا اندفع في الكلام مخبراً لزم أن يكون قصده في حكمه بالمسند للمسند إليه في خبره ذاك إفادته للمخاطب». ومهما يكن، فإنَّ المخبرِ يقصد بإلقائه الخبرَ على مخاطبة واحدٍ من أمرين :

الأول - إعلام المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية حين يكون جاهلاً به. ويُسمى هذا الحكمُ الذي يُقصد إعلام المخاطب به «فائدة الخبر». كأن تقول لمن يجهل نجاح أخيه: «نجح أخوك». فأنت هنا تقصد إعلامه بالحكم الذي تضمنه الخبر، وهو «نجاح أخيه». وكان تقول لمن يجهل زمان قدومك: «قدمت البارحة». وكلُّ خبرٍ قصدت أن تنفد فيه مخاطبتك بحكم يجهلك تكون قد قصدت فيه إفادته «فائدة الخبر». وسمى هذا الحكم «فائدة الخبر»؛ لأنه المقصود بالخبر والمستفاد منه.

الثاني - إعلام المخاطب أنَّ المخبر عالمٌ بالحكم الذي دلَّت عليه الجملة الخبرية، حين يكون المخاطب عالماً بالحكم ولكنه يجهل أنَّ المتكلم يعلمه أيضاً. كقولك لمن حفظ القرآن الكريم: «قد حفظت القرآن الكريم». وكان تقول لمن حقَّق نجاحاً كبيراً في سباق الدراجات: «حققت اليوم نجاحاً كبيراً». وكقولك لمن أجهد نفسه في عمل ما «أجهدت نفسك». وأنت في هذه الأمثلة جميعاً تقصد إفادته أنك عالمٌ بالحكم، وهو «حفظه

القرآن الكريم»، و«تحقيقه نجاحاً كبيراً»، و«إجهاد نفسه». ويسمى علمُ المخبر بالحكم «لازم الفائدة»: لأنَّ كلَّ من أفدته حكماً لزم أن تفيده أنك عالمٌ به أيضاً.

خروج الخبر عن الفرضين السابقين :

يحدث ألا يكون قصدُ المخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمَّنته الجملة الخبرية ولا إفادته علم المتكلم بهذا الحكم، بل يكون مراد المخبر غرضاً آخر يتبيَّن من سياق الكلام، تدلُّ عليه القرائن. على أن أهمَّ الاغراض التي يخرج إليها الخبر :

1 - الاسترحام والاستعطاف. كقوله سبحانه: «إني لما أنزلت إلى من خير فقير».

2 - تحريك الهمة إلى أمرٍ يجب تحصيله. كقول القائل: «من سعى رعى ومن لزم المنام رأى الأحلام».

3 - إظهار الضعف، كما في قوله سبحانه حكاية عن زكريا عليه السلام: «ربُّ إني وهنَّ العظمُ مني واشتعلَّ الرأسُ شيباً».

4 - إظهار التحسُّر على شيء محبوب، كما في قوله سبحانه حكاية عن امرأة عمران: «ربُّ إني وضعتها أنثى». فأمَّ مريم لا تريد الإعلام بمضمون الخبر ولا بلازمه؛ لأنها تخاطب الباريء - سبحانه - وهو تعالى عليمٌ بكلِّ شيء؛ وإنما تريد التعبير عن تحسُّرها لخيبة رجائها

في ولادة ولدٍ تهبه لبيت المقدس.

5 - الفرح بمقبل الشمامة بمدبر، كما في قوله سبحانه: «جاء الحق وزهق الباطل».

6 - التوبيخ، كقولك لمسلم تاركٍ للصلاة: «الصلاة عماد الدين». فانت لا تريد إعلامه بمضمون هذا الخبر، وهو كون الصلاة أساس الدين، فهو يعرف ذلك، بل تقصد تقريره على تركه ما هو خليق بأن يتمسك به.

7 - التذكير بين المراتب من التفاوت، كقوله سبحانه: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله». ومثله قولي من قصيدة أتذكر فيها بلدي «الرقّة»:

ليس كل البلدان خلقاً سواً مثلما ما الزمان خلق وحيداً

8 - التحذير، كقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق».

9 - الفخر، كقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «إن الله اصطفاني من قريش».

10 - المدح، كقول الفرزدق في مدح عليّ زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما:

يغضي حياءً ويغضي من مهابته فما يكلم إلا وهو يبتسم

11 - الحضّ على الصّبر، كقولك لمن لم يحقّق ماأراده: «الخيرُ فيما اختاره الله». و«أنت شابٌّ في أوّل عمرك».

12 - إظهار العجز، كقولهم: «العينُ بصيرةٌ، واليدُ قصيرةٌ». و«اللهُ غالبٌ».

13 - التّهديد، كقولهم: «أنا وراعيك والزّمن طويلٌ». و«يأتي الامتحان».

والصّحيح أنّ الأغراض التي يخرج إليها الخبر كثيرة كثيرة بالغة، المرجع في إدراكها الذوق الحساس المميّز المدرك لمجيء الصيغة الخبرية في غير إرادة إفادة مضمون الخبر أو لازمه.

أحوال متلقّي الخبر (المخاطب) :

اللغة وسيلتنا المثلى للاتصال بالآخرين وإعلامهم بما نريد التّعبير عنه من مقاصد الكلام المختلفة. في التواصل الكلامي هناك دائماً ثلاثة عناصر أساسية:

المُرسل - الرّسالة - المتلقّي

أمّا المرسل فهو منشئ الكلام أو المعبرُ بالكلام الذي يرمي إلى إعلام المتلقي بما يريد.

وأمّا الرّسالة فهي المادة الكلامية التي يوجّهها المرسل إلى المتلقي. قد

تبييناً أن قصد المخبر أحد أمرين: إفادة المتلقي (المخاطب) مضمون الجملة الخبرية «فائدة الخبر» أو لازم هذا المضمون «لازم فائدة الخبر». الرسالة أداة توصيل هذا القصد.

وأما المتلقي (المخاطب) فهو من يقصد المرسل توجيه الرسالة إليه. هذا المتلقي ينبغي أن يفكر فيه المرسل قبل أن يوجه كلامه إليه ويتبين موقفه إزاء مضمون الخبر الذي يلقيه إليه، ثم يصوغ خبره الموجه إليه صياغة دقيقة، على نحو يكون فيه مكيفاً بكيفية مخصوصة، كما يقول السكاكي، مناسبة لموقفه العقلي إزاء الخبر الذي يلقيه إليه. إذ لكل مقام مقال، أو لكل حال من أحوال المتلقي مقال مكيف بكيفية مخصوصة من جانب المرسل.

وقد تبين البلاغيون أن المتلقي (المخاطب) إزاء الخبر الذي يلقيه إليه واحد من ثلاثة :

- 1- أن يكن خالي الذهن تماماً من الخبر غير متردد فيه ولا منكر له.
 - 2- أن يكون دارياً للخبر متردداً فيه، طالباً الوصول إلى اليقين فيه.
 - 3- أن يكون منكراً للخبر المراد إلقاؤه إليه معتقداً عكس ما تلقى إليه.
- وهذه - على الحقيقة - صور لذهن متلقي الخبر يتصور المرسل أو المتكلم أن متلقيه على واحدة منها، وهو يستشف ذلك استشفافاً أو يتراعى له من مقدمات أو قرائن أحوال.

أحوال متلقي الخبر محدّد صيغ الخبر الملقى إليه - أي : «لكلّ مقام صيغة مقال»

تبيناً في تعريف علم المعاني - عند السكاكي - أنه عبارة عن تتبّع خواصّ تراكيي البلغاء في الإفادة والاستحسان. وقد دلّ تتبّع تراكيي البلغاء وتراكيي البيان العالي في كتاب الله سبحانه على أن بعض التراكيي أكثر إفادة وأكثر قبولاً عند المتلقين في مقامات خاصة وأحوال محدّدة. ويقول قانون علم المعاني إن إفادة الكلام (بلاغته) وجماليّته تتوقفاً على مناسبته للمقام الذي يقال فيه أو لحال متلقيه. ومادامت أحوال المتلقي ثلاثاً فإن صيغ الخبر الملقى إليه ثلاث أيضاً؛ وتختار له الصيغة المناسبة لحاله. وإليك توضيح الأمر :

1- المتلقي الخالي الذهن من الخبر الذي لم يسمع به قبل يُلقى عليه الخبر خالياً من أدوات التأكيد؛ لعدم حاجته إلى التأكيد، فإن من طبيعة النفس أن تتلقى الأخبار التي لا علم لها بها بالقبول والتصديق. ولذلك قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكّنا

مثال ذلك قولك لمن لا يعلم نجاح أخيه «نجح أخوك». تلقي إليه الخبر هكذا خلواً من التأكيد. ومثله قوله سبحانه: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» وقوله سبحانه : «والفتنة أشد من القتل» ، وقوله

سبحانه: «وَلَهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى» ويسمى هذا الضرب من الخبر «الخبر الابتدائي» لأنه الصيغة اللغوية أو الكيفية اللغوية المخصوصة المطابقة لحال متلقٍ تبده بالخبر ابتداءً.

2 - المتلقي المتردد في الخبر، الذي يطلب الوصول إلى معرفته وتبين حقيقته يستحسن أن يؤكد له الخبر الملقى إليه بأداة تأكيد واحدة، ليُزال التردد من نفسه ويقوى الحكم في ذهنه .

مثال ذلك قولك لمن سمع بنجاح أخيه ولكنه متردد في تصديقه طالبُ تبين حقيقة الأمر: «قد نجح أخوك»؛ تلقي إليه الخبر مؤكداً بمؤكد واحد هو «قد». وقوله سبحانه: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَكَذَكَرُ اللهُ أَكْبَرُ»؛ فالجملة الأولى مؤكدة بـ «إِنَّ» والثانية بـ لام الابتداء». وكذا قوله سبحانه: «قَدْ بَدَأَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ». ويسمى هذا الضرب من الخبر «الخبر الطلبي»؛ لأنه الصيغة اللغوية أو الكيفية اللغوية المخصوصة المطابقة لحال متلقٍ مترددٍ طالبٍ معرفة الحقيقة.

3 - المتلقي المنكر للخبر المراد إلقاؤه إليه، المعتقد خلافه، يجب تأكيد الخبر له تأكيداً يتناسب مع درجة إنكاره له؛ لإزالة هذا الإنكار. وذلك كقولك لمن ترامى إليه نبأ نجاح أخيه، فأنكر هذا النجاح معتقداً رسوب أخيه لسبب من الأسباب: «إِنَّ أَخَاكَ لَنَاجِحٌ»؛ تلقي إليه الخبر مؤكداً بمكدين: «إِنَّ» و«اللام المزحلقة». ومثل ذلك قوله سبحانه: «إِنَّمَا تَوَعَدُونَ لَصَادِقٌ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ»، وقوله سبحانه: «إِنَّ عَذَابَ رِيكٍ لَوَاقِعٌ»، وقوله سبحانه: «أَهْوَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ

لَمَعَكُمْ». ويسمى هذا الضربُ من الخبر «الخبر الإنكاري»؛ لأنه الصيغة اللغوية أو الكيفية اللغوية المخصوصة المطابقة لحال متلقٍ منكرٍ لمضمون الخبر.

ومما يَصوِّرُ لك تحديد أحوال المتلقي لصيغ الخبر الملقاة إليه مارووا من أن أبا إسحاق الكنديّ مضى إلى أبي العباس المبرد يسأله: «إني لأجد في كلام العرب حشوا. فقال أبو العباس: أين وجدت ذلك؟ قال: أجدهم يقولون: «عبدُ الله قائمٌ»، ثم يقولون: «إنَّ عبدَ الله قائمٌ»، ثم يقولون: «إنَّ عبدَ الله لقائمٌ»؛ فالألفاظ مختلفة والمعنى واحد. فأجاب أبو العباس: بل المعاني مختلفة؛ فالأول إخبارٌ عن قيامه، والثاني جوابٌ عن سؤال سائل، والثالث جوابٌ عن إنكار منكر؛ فقد اختلفت الألفاظ لاختلاف المعاني. فما أحرار الكنديّ جواباً».

وهكذا نخلص إلى القانون البلاغي الحاسم الذي يعلن:

يجب أن يأتي الإسنادُ في الجملة الخبرية مطابقاً
لحال المتلقي :

خالياً من التأكيد للمتلقي الخالي الذهن .

مقوّى بمؤكّد واحدٍ للمتلقي المتردد .

مؤكّداً بأكثر من مؤكّدٍ للمتلقي المنكر .

ويسمى البلاغيون إخراج الكلام على الوجوه المذكورة إخراجاً للكلام على مقتضى ظاهر الحال. وقد يخرج الكلام على خلاف هذا المقتضى، كما سيأتيك .

إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر :

ينبغي أن يُعلم أنّ المرسل (المتكلم) قد يصرف النظر عن ظاهر حال المتلقي ويراعي أمراً آخر غير ماظهر له من حال المتلقي لسبب من الأسباب. والأسباب التي يلحظها المتكلم في المتلقي وتجعله يخرج كلامه له على خلاف مقتضى الظاهر أساسها دائماً تصرف المتلقي تصرفاً يخالف مقتضى علمه بالخبر. فإن تردد المتلقي في مضمون الخبر أو إنكاره له يترتب عليه تصرف لائق أو مناسب لكل منهما، أي إنه ينبغي أن يعمل بمقتضى علمه. ولكنه ربما لا يعمل بمقتضى هذا العلم فيلقي إليه المتكلم خبره على خلاف مقتضى حاله؛ أي يعامله على أساس تصرفه لا على أساس علمه. ويقول البلاغيون: إن كمال العلم بمضمون الخبر حصول مقتضاه فإذا لم يحصل، لم يحصل كمال العلم. وخير ما يصر لنا ذلك قول المصطفى عليه الصلاة والسلام لابن عباس: «يا ابن عباس، عرفت ما لزم» فالمعرفة - أو العلم - تقتضي اللزوم أي التنفيذ لمقتضاها، إن لم يعمل العالم بما علم عدّ جاهلاً ويعامل في الخطاب معاملة الجاهل.

ويتخذ إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر صوراً متعددة، إليك القول في أهمها :

1 - تنزيل العالم بفائدة الخبر أو بلازمها، أو بهما معاً، منزلة الجاهل بذلك لعدم عمله بمقتضى علمه، كقولك لطالب يعرف قرب موعد الامتحان ولا يستعدّ لذلك: «الامتحان على الأبواب». عرف ولم يعمل بمقتضى ما عرف فنزلته منزلة من لم يعرف، وألقيت عليه الخبر رغم

معرفته له؛ توبيخاً له وتقبيحاً لمسلكه. وكقولك لمن يعترض على إسرافك في الإنفاق: «المالُ مالي». وكقولك لمن يلومك على البكاء على عزيز: «الدمعُ دمعي والعيونُ عيوني». ومن تنزيل العالم بلازم فائدة الخبر منزلة الجاهل أن صديقاً لك ساعدك في أمر فشكرت له صنيعه، لكن ذلك الصديق المحسن دأب على إخبار الآخرين. بمساعدته إياك. إذ ذاك تقول له: «ساعدتني، أوقع لك بالعشرة». فمقتضى الظاهر الآتلي إليهِ الخبر البتة لعلمه به، ولكنه عندما لم يعمل بمقتضى ما علم أحوك إلى أن تنزله منزلة الجاهل توبيخاً وتقريعاً.

2 - تنزيل خالي الذهن منزلة السائل المتردد، إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى جنس الخبر، كقوله سبحانه: «ما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء». جاء الخبر مؤكداً رغم أنه موجه إلى خالي الذهن الذي لا ينبغي أن يؤكد له الخبر. ومبعث هذا الإخراج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر أنه تقدم فيه ما يلوح لخالي الذهن هذا بالخبر ويوميء له إليه، وهو قوله «وما أبرئ نفسي». ومن ثم صار المتلقي الخالي الذهن يتطلع إلى هذا الخبر تطلع الطالب له المتردد بشأنه المتسائل: لماذا لا يبرئ نفسه، وهل لذلك من سبب؟. ومثله أيضاً قوله سبحانه في خطاب نوح عليه السلام: «ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون». لما أمر الباريء - سبحانه - نبيه أولاً بصنع الفلك، ونهاه ثانياً عن مخاطبته بالشفاعة فيهم، صار نوح - عليه السلام - في مقام السائل المتردد، وإن لم يكن سائلاً متردداً حقيقة، وأخرج له الخبر مؤكداً هكذا: «إنهم مغرقون» على خلاف مقتضى الظاهر. ومنه أيضاً قوله سبحانه: «يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة

شيء عظيم». وقوله سبحانه: «إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا».

3- تنزيل غير المنكر منزلة المنكر إذا لاح عليه شيء من أمارات الإنكار، كقولك لمن يؤذي جاره «إن فلاناً لجارك». فهو عالم بذلك غير منكر له ولكن سلوكه إزاء جاره سلوك المنكر، فخطوب بالكيفية اللغوية المخصوصة المطابقة لحال المنكر. ومنه في الذكر الحكيم قوله سبحانه: «ثم إنكم بعد ذلك لميئون». أكد إثبات الموت تأكديين وإن كان ممأ لا ينكره أحد؛ وذلك لتنزيل المخاطبين منزلة من ينكر الموت إنكاراً شديداً لتماديهم في الغفلة وعدم الإعداد لما بعد الموت؛ ومن ثم أخرج لهم الكلام على خلاف مقتضى الظاهر. وقوله سبحانه: «وأن الساعة آتية لا ريب فيها»، وقوله سبحانه في خطاب المصطفى عليه الصلاة والسلام: «إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء».

ومنه في الشعر قول حَجَل بن نَضْلَةَ القيسي (وهو من أولاد عم شقيق):

جاء شقيق عارضاً رُمَحَه إن بني عمك فيهم رماح
فإن هيئة مجيء شقيق مظهراً شجاعته، قد وضع رمحه عرضاً كفعل من لا يقيم أي وزن لمن هم أمامه من الفرسان، دليل على أنه يعتقد أن لا رمح فيهم، بل كلهم عزل لا سلاح معهم. وجلي أنه لا ينكر حقيقة أن في بني عمه رماحاً، لكن مجيئه على هذه الصورة يوحي بذلك. ومن ثم عومل على أساس منظره لا على أساس مخبره؛ فخطوب مخاطبة المنكر؛ حيث أكد له القول بـ «إن».

وكذا قول طرفة بن العبد :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكا لطول المرض وثنيأه باليد

- 4 - تنزيل المتردد في الخبر منزلة المنكر، كقولك لمن يتردد في مجيء أخيه من السفر، ولكنّه يرجّح عدم مجيئه: «إن أخاك لقدام». ألقيت إليه صورة الخبر التي تلقى إلى المنكر، رغم أنه غير منكر بل متردد فحسب؛ لأنه يرجّح عدم مجيء أخيه، فصار بمنزلة المنكر لمجيئه.
- 5 - تنزيل المنكر منزلة المتردد، كقولك لمن ينكر فضل العلم: «إن العلم تافع». ألقيت إليه صورة الخبر المناسبة للمتردد رغم أنه منكر؛ لأن إنكاره ضعيف يزول بأدنى تأكيد.

6 - تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن حين يكون أمامه من الأدلة ما لو تأمله لترك الإنكار، كقوله سبحانه مخاطباً منكري الوحدانية: «والهكّم إله واحد». ألقيت إلى المنكرين صورة الخبر المناسبة لخالي الذهن (الخلو من التأكيد) لكثرة الأدلة الماثلة أمام المنكرين على هذه الوحدانية، التي لو كان منهم أدنى تأمل لها لعزفوا عن إنكارهم. ومن هذا قوله سبحانه يخاطب المؤمنين والمنكرين: «يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم»، وقوله سبحانه: «لله ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور».

إضافات وفوائد :

- 1 - يعني التوكيد في المقام الذي نحن فيه تمكين الحكم في النفس تقريره وتقويته، على نحو يزيل شك المخاطب فيما تخبره إياه، ويجعله أكثر اطمئناناً إلى ما تلقى عليه. والتوكيد المراد هنا هو توكيد الحكم،

لا توكيد المسند إليه ولا توكيد المسند .

2 - يؤكد الحكم الذي تؤدّيه الجملة الاسمية بـ «إنّ» أو بـ «إنّ اللام»، أو بـ «إنّ واللام والقسم». تقول: «إنّه أخي، وإنّه لأخي، واللّه إنّه لأخي». ويؤكد الحكم الذي تؤدّيه الجملة الفعلية بـ «قد» أو بـ «قد والقسم». تقول: قد أثارني حديثك أمس، ولقد أثارني حديثك أمس.

3 - أشهر أدوات التوكيد هي: إنّ، أنّ، لام الابتداء، نونا التوكيد الثقيلة الخفيفة، القسم، أمّا: حرف الشرط التفضيل، أحرف التنبيه، أحرف الزيادة، ضمير الفصل، تقديم ما هو فاعل في المعنى كقولك: أحمد يدرّس اللغة العربية. السّين وسوف الداخلتان على فعل في مقام وعدٍ أو وعيد، قد التحقيقيّة، تكرير الفغي، إنّما.

4 - الجملة الاسميّة أكّد من الجملة الفعلية؛ فحين يراد الإخبار وحده يؤتّى بالفعلية، وحين يراد التأكيد يُعمد إلى الاسميّة وحدها، أو مع غيرها حسب درجة الحاجة إلى التأكيد.

أسئلة وإجاباتها حول أغراض الخبر:

حدّد غرض الخبر فيما يأتي :

- 1- هنا محاذك العزاء المقدّما فما عبس المحزون حتى تبسّما
- 2- أصبت بسادة كانوا عيوناً بهم نسقى إذا انقطع الغمام
- 3- إلهي، عبدك العاصي أتاك مقرأ بالذنوب وقد دعاكا

4- الباطل مخصوم وإن قضي له، الحق مفلج وإن قضي عليه.

5- أ- أنت نجحت (لمن يعلم ذلك) ب- أخوك نجح (لمن لا يعلم)

ج- «لا يمسه إلا المطهرون»

6- «وماريك بغافل عما يعمل الظالمون».

7- ذهب الشباب فماله من عودةٍ وأتى المشيب فأين منه المهربُ

8- أ- قيمة كلّ امرئ ما يحسن، ب- الجزاء من جنس العمل.

9- ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجر

10- لا يستوي كسلان ونشيط. ب- «كلُّ من عليها فان» ج- الشمسُ

طالعة (تقال للعاشر).

الإجابات:

1- الفرح بالمقبل ونسيان المدبر.

2- التأسف والتحرّز على فقدان أولئك السادة.

3- الخشوع والضعف .

أسئلة وإجاباتها حول نوع الخبر (1)

– حدّد فيما يأتي نوع الخبر، وبين ما جرى من الأخبار على مقتضى الظاهر وما جرى على خلافه، واذكر المؤكّد إن كان موجوداً:
قال سبحانه: «ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب».

1- وإنّي لخلوّ تعتريني مرارةً وإنّي لتراك لما لم أعود
2- وإنّي لمزجاء المطي على الوجي وإنّي لتراك الفراش المهدي
3- وما أبريء أخي، إن ابن آدم خطأ.

4- يا طالب الرزق في الأفاق مجتهداً اقصر عنك قرن الرزق مقسوم
5- إن القمار لرجس (في خطاب مسلم).

6- لا تراوغ في الحق؛ إن المبطل مخذول.

7- ما إن ندمت على سكوتي مرةً ولقد ندمت على الكلام مراراً

8- وإنّي لصبارٌ على ما ينوبني وحسبك أن الله أثنى على الصبر

9- إن شفاعك لقریب إن شاء الله (لمريض تردّد في شفائه)

10- فما الحداثة عن حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشباب والشيب

أسئلة وإجاباتها حول نوع الخبر (2)

- حدد فيما يأتي نوع الخبر، وبين ما جرى من الأخبار على مقتضى ظاهر الحال وما جرى على خلافه، واذكر المؤكد إن كان موجوداً:

- 1- إنَّ الغنيَّ من الرِّجالِ مُكْرَمٌ وتراه يُرجى مالهديه ويرغبُ
- 2- إنَّ الحياةَ لثوبٌ سوفَ نخلعُه وكلُّ ثوبٍ إذا مارثٌ ينخلعُ
- 3- قال سبحانه: «ثمَّ إنَّكم بعدَ ذلكَ لميتون».
- 4- قال سبحانه: «وجعلنا نومكم سباتاً. وجعلنا الليلَ لباساً. وجعلنا النهارَ معاشاً».
- 5- أما دونَ مصرٍ للغني متطلبٌ بلى إنَّ أسبابَ الغنى لكثير
- 6- قال عليه الصلاة والسلام: «إنَّ من البيانِ لَسحراً وإنَّ من الشعرِ لحكمةٌ أو حكماً».
- 7- ألا في سبيلِ المجد ما أنا فاعلٌ عفاً وإقدامٌ وحزمٌ ونائلٌ
- 8- قال سبحانه: «لئن أنجيتنا من هذه لنكوننَّ من الشاكرين».
- 9- وإنِّي لقوالٌ لذي البثِّ مرحباً وأهلاً إذا ماجأء من غير مرصدٍ
- 10- ولقد نصحتك إن قبلت نصيحتي والنصحُ أغلى ما يباعُ ويوهبُ

- الإجابات:

نوع جريان الخبر: علي مقتضى الظاهر أو على خلافه	المؤكدات	نوع النفي	الجملة
جارٍ على غير مقتضى الظاهر بتزويل خالي الذهن منزلة المتردّد	إنّ	طلبيّ ابتدائيّ	1- إنّ النبيّ .. مكرم - وزاه يرحميّ
جارٍ على غير مقتضى ظاهر الحال	إنّ، لام الابتداء	إنكاريّ ابتدائيّ	2- إنّ الحياة لعرب
جارٍ على غير مقتضى ظاهر الحال بتزويل غير المنكر منزلة المنكر	إنّ، لام الابتداء	إنكاريّ	- وكلّ نوبٍ .. يتخلع
جارٍ على غير مقتضى ظاهر الحال بتزويل خالي الذهن منزلة المتردّد	إنّ، اللام	طلبيّ	3- ونمّ إنكم.. لتيونه
جارٍ على غير مقتضى ظاهر الحال، لأنه في خطاب متردّد	إنّ، اللام	إنكاريّ	4- ووجعلنا.. وجعلنا..
جارٍ على غير مقتضى الظاهر بتزويل غير المنكر منزلة المنكر	و	و	5- إنّ أسباب النسي لكثير
و	و	و	6- إنّ من البيان لسحرا
و	و	و	- وأنّ من الشعر لحكمة
يحمل الجريان على المقتضى ومخالفته	ألا	طلبيّ	7- ألا في سبيل الجهد ماأنا فاعل
و	و	و	8- لعنّ أجنبتنا.. لنكوتنّ
و	و	و	9- ولانيّ لقولّ
جارٍ على خلاف مقتضى الظاهر بتزويل خالي الذهن منزلة المنكر	لام القسم- لام التوكيد	إنكاريّ	10- فما الصلوة بهانية
يحمل الجريان على المقتضى والمخالفته.	إنّ، اللام	و	
	لام القسم - - قد		

- الإجابات:

الجملة	نوع النفي	المؤكدات	نوع جريان النفي: علي مقتضى الظاهر أو على خلافه
1- وركم في الفصام وجاءه	ابتدائي	إنّ، لام الابتداء	جارٍ على مقتضى ظاهر الحال.
2- رأيت لطر	إنكاري	إنّ، لام الابتداء	جارٍ على غير مقتضى ظاهر الحال، بتحويل غير المنكر منزلة المنكر
- رأيت لترك	إنكاري	إنّ، لام الابتداء	جارٍ على غير مقتضى ظاهر الحال، بتحويل غير المنكر منزلة المنكر
- رأيت لرجاء	إنكاري	إنّ، لام الابتداء	جارٍ على غير مقتضى ظاهر الحال، بتحويل غير المنكر منزلة المنكر
3- وما أبرئ نفسي، إنّ..	طلبّي	إنّ	جارٍ على غير مقتضى ظاهر الحال، بتحويل غير المنكر منزلة المنكر
4- أقصر عنك؛ فإنّ الرزق..	طلبّي	إنّ	جارٍ على غير مقتضى الظاهر بتحويل العالم بالحق منزلة المنكر
5- إنّ القمطر لرجس (لمسلم)	إنكاري	إنّ، لام الابتداء	جارٍ على مقتضى الظاهر بتحويل الخالي من الزود منزلة المنكر
6- لا تراخ في الحق، إنّ البطل	طلبّي	إنّ	جارٍ على مقتضى الظاهر بتحويل الخالي من الزود منزلة المنكر
7- ما إن ندمت	طلبّي	إنّ الزائدة	جارٍ على غير مقتضى الظاهر بتحويل الخالي من الزود منزلة المنكر
- لقد ندمت	إنكاري	لام القسم - قد	جارٍ على غير مقتضى الظاهر بتحويل الخالي من الزود منزلة المنكر
8- رأيت لصيبر	إنكاري	إنّ، لام الابتداء	جارٍ على غير مقتضى الظاهر بتحويل غير المنكر منزلة المنكر
9- إنّ شفاهك لقريب	إنكاري	إنّ، لام الابتداء	جارٍ على غير مقتضى الظاهر بتحويل غير المنكر منزلة المنكر
10- فما المحادثة بمأنة	طلبّي	الباء الزائدة	جارٍ على غير مقتضى الظاهر بتحويل خالي من الزود منزلة المنكر

حذف المسند إليه:

المسند إليه أحد ركني الجملة الأساسيين، بل هو الركن الأعظم الذي يؤسس عليه أي كلام ذي دلالة، ولما كان مدار حُسن الكلام وقبحه - كما يقول السكاكي - على انطباق تركيبه على مقتضى الحال وعدم انطباقه عليه، أثرت أساليب البلغاء طيَّ ذكر المسند إليه في الأحوال والمقامات التي تقتضي ذلك. وقد نبه عبد القاهر على جمالية الحذف هذه فقال: إنَّه لعجيبُ الأمر شبيهة بالسحر، فإنك ترى به تركَ المذكر أفصحَ من الذكر، والصمتُ عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمُّ ما يكون بياناً إذا لم تُبثَّ». ومهما يكن، فإنك ينبغي أن تكون على ذكر من أن المسند إليه يحذف لأغراض كثيرة، نذكر لك منها:

1- الاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، لدلالة القرينة عليه وعلم السامع به. كأن تقول: «حَضَرَ» تريد «الأمير»، إن كان ثمة قرينة لفظية أو حالية تدلُّ على ذلك، وتقول العرب: «أرسلت»، وعم يريدون «جاء المطر» ولا يذكرون السماء، ولكنهم يقولون هذا إلا إبان سقوط المطر. ومن ثمَّ فإن قرينة الحال هي الدالة على المحذوف، ولدالاتها عليه يكون نكره عبثاً.

2- تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ. ويعني ذلك أنه يُعتمد في تعرف المسند إليه إما على اللفظ وذلك حين يذكر، وإما على العقل وذلك حين يحذف، لكن دلالة العقد أقوى من دلالة اللفظ؛ ولذلك يعمد البلغاء أحياناً إلى حذف المسند إليه لإيهام أن العقل هو الدالُّ عليه. وذلك كما تقول: «استشهد»، وأنت تريد «المجاهد»، إذا كانت هناك قرينة تدلُّ على أن الذي استشهد هو «المجاهد». وكما تقول «طيب»،

وأنت تريد «صديقك»، إذا كانت هناك قرينة تدلّ على أنّ من وصفته
بهذه الصفة هو «الصديق»

3- ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب ضجر أو سامة، كقوله سبحانه :
«فصلت وجهها وقالت عجوز عقيم»، لم تقل : «أنا عجوز»؛ لما تحسّه
من ضيق الصدر وصعوبة إطالة القول لتذكرها ماهي عليه من العقم
والكبر. ومن هذا قول الشاعر:

قال لي " كيف أنت؟ - قلت : عليلٌ سهرٌ دائمٌ وحننٌ طويلٌ

لم يقل الشاعر: أنا عليلٌ وحالي سهر دائمٌ؛ لضيق صدره عن الإطالة
بسبب الهموم التي استولت عليه أو تباريح الهوى التي استبدت به.

4- الحذر من فوات فرصة، كما يقول رجلٌ لصائد : «غزال» يريد «هذا
غزال»؟ حذف المسند إليه «هذا» مخافة فوات الفرصة بإطالة الكلام.
وكقولك لمن يقف على سكة الحديد والقطار قائمٌ: «قطار»؛ أي: « هذا
قطار».

5- اختبار تنبّه السماع إلى المسند إليه عند قيام القرنية الدالة عليه،
كقولك: «نورٌ مستفادٌ من نور الشمس» تريد القمر، وكقولك: «قاهر
الصليبيين» تريد: «صلاح الدين الأيوبي»، وكقولك: «كيدهنٌ عظيم»،
تريد: النساء.

6- إشعار أنّ في تره تطهيراً له عن لسانك أو تطهيراً للسانك عنه والأول
كقولك « رافعُ راية التوحيد» و«هادمُ دعائم الشرك» تريد المصطفى
عليه الصلاة والسلام. وقد حذفته ن لفظك صوتاً له عن لسانك؛ تعظيماً
له، والثاني كقولك: «مخدولٌ مطرود» و«لُعنه الله» تريد «إبليس اللعين»،
وقد حذفته صوتاً للسانك عنه؛ تحقيراً له.

7- تأتي الإنكار وتيسره عند الحاجة، كأن يحضر إليك جماعة بينهم واحد خصم لك، فتقول لشخص آخر يجلس معك: «لئيم خسيس» تريد «الخصم»، حذف المسند إليه ليتيسر لك الإنكار عندما يلومك على سبه؛ إذ تقول: «ماعنيك، بل أردتُ شخصاً آخر».

8- تعين المسند إليه، ويتعين في الحالات الآتية:

أ- ألا يصلح المسند إلا للمسند إليه، كقوله سبحانه: «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال»، «عالم» خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو؛ ولأن هذا الخبر لا يكون إلا لله سبحانه جاء الكلام على الحذف. وفي ذلك قوة دلالة على الوحدانية والجلال. وكقوله سبحانه: «يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها».

ب- أن يكون المسند كاملاً في المسند إليه، كقولك: «دين التوحيد»، تريد الإسلام، و«فيلسوف الشعراء»، تريد المعري، و«هادم الذات»، تريد الموت. حذف المسند إليه في المواضع الثلاثة لتعيينه من خلال اكتمال الصفات المذكورة فيه.

ج- أن يكون المسند إليه معهوداً بين المتكلم والمتلقي، كقوله سبحانه: «واستوت على الجودي» أي السفينة، وهي معهودة في الكلام المتقدم في قوله سبحانه: «واصنع الفلك بأعيننا». وقوله سبحانه: «حتى توارت بالحجاب» أي الشمس.

9- ادعاء تعين المسند إليه، كقول: وهاب الألف، تريد «الأمير». حذف المسند إليه لتعيينه أي تفرده بهذا الفعل ذلك. ومنه قوله سبحانه حكاية عن ملا موسى عليه السلام: «فقالوا ساحر كذاب»؛ أي هذا ساحر كذاب. وهم يريدون بهذا الحذف الزعم أن قولهم «ساحر» لا يفهم منه

حين يُطلق إلا موسى عليه السلام؛ ادَّعَاءٌ لتعيينه بهذه الصفة.

10- تعجيل المسرة بالمسند، كقولك: «دينار» أي هذا دينار. وقولك: «ناجح»،
أي: أنا ناجح.

11- اتباع الاستعمال الوارد على ترك نظائره لقصد إنشاء المدح أو الذم
أو الترحم، كقولهم في المدح: «الحمد لله أهل الحمد» برفع «أهل»؛ أي:
هو أهل الحمد وفي الذم: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» برفع
الرجيم؛ أي: هو الرجيم. وفي الترحم: «اللهم ارحم عبدك المسكين»
برفع «المسكين»؛ أي: هو المسكين. ومنه لإنشاء المدح قول الشعر:

هُمُ حُلُوٌّ مِنَ الشَّرَفِ المَعْلَى وَمِنْ كَرَمِ العَشِيرَةِ حَيْثُ شَاوُوا
بِنَاءُ مَكَارِمٍ وَأَسَاءَةُ كَلَمٍ دِمَائِهِمْ مِنَ الكَلْبِ الشِّفَاءُ
أي: هم ببناء مكارم.

ومنه لإنشاء الذم قول الأقيشر في ابن عم له موسى سألَه فمَنَعَه، فشكاه
إلى القوم وذمّه فوثب إليه ابن عمّه ولطمه:

سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يَلطمُ وجهَهُ وليسَ إلى داعيِ الندى بسريعٍ
حريصٌ على الدنيا مَضِيحٌ لدينهِ وليسَ لما في بيتِهِ بمُضِيحٍ
أي: هو سريعٌ، وهو حريصٌ.

وكثيراً ما يحذمون المبتدأ بعد أن يذكروا الديار والمنازل، فيقولون: ربحُ
كذا وكذا. قال حسان بن ثابت:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاءُ
دياراً من بني الصنحاس قفرٌ تعفيتها الرواسي والسَّمَاءُ

أى: هي ديارٌ

وقال الآخر:

اعتادَ قلبك من ليلى عوائدهُ وهاجَ أهواءك المكنونةَ الطلُّ
ربَّعَ قواءَ أذاعَ المعصراتُ بهِ وكلُّ حيرانٍ سارٍ مأوهُ حَصِلُ
أي: هو بَعُ قواء.

يقول عبد القاهر عن هذا الضرب من حذف المبتدأ:

«ومن المواضع التي يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف، يبدؤون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ.» وعن جمالية الحذف في هذا الموضع والخلابة فيه يقول عبد القاهر:

وعن جمالية الحذف في هذا الموضع والخابة فيه يقول عبد القاهر:

«فتأمل الآن هذه الأبيات كلها [الأبيات التي ورد فيها الحذف] واستقرها واحداً واحداً، وانظره إلى موقعها في نفسك، وإلى ماتجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثم فليت النفس عما تجد وألطفت النظر فيما تحس به، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن خرج به إلى لفظك وقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت، وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد.»

12- إخفاء الأمر عن غير المخاطب نحو قولك: «أقبل» تريد: أقبل علي، مثلاً.

ذكر المسند إليه:

قلنا قبل إن المسند ركن الجملة الأساسي، وإذا كان ذكر أي لفظ دال في الكلام أمراً لأمحيد عنه ابتغاء الإفادة التامة فإن ذكر المسند إليه أمر واجب ولا يحذف ما لم يكن ثمة قرينة تدل عليه عند الحذف. ويلاحظ في أساليب البلغاء ترجيح الذكر في بعض المواضع رغم وجود القرائن الدالة على المسند إليه المحذوف. فمقتضيات الأحوال هي ترجيح الذكر على الحذف رغم وجود القرينة، فلكل منزلة معرضها ولكل مقام مقال. وإليك بعض الأغراض البلاغية التي ترجح ذكر المسند إليه رغم وجود القرينة التي تيسر الحذف:

1- زيادة التقرير والإيضاح، كقوله سبحانه: « أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ». تكرر المسند إليه « أولئك » مع كل حكم، رغم إمكانية الاستغناء عن الذكر في الجملتين اللاحقتين؛ فصدأ إلى تقرير المسند إليه وإيضاحه بذكره وبدلالة القرينة عليه، كمن يمسك بالمجرم الذي طال البحث عنه فيعلن على الأشهاد: هذا الذي قتل، هذا الذي نهب، هذا الذي سلب.. الخ. ومن صورهِ الرائعة في الشعر قول ابن الدُمَيْنَةِ يخاطب صاحِبَتَهُ أُمَيَّةَ:

وَأَنْتِ الَّتِي قَطَعْتَ قَلْبِي حَزَارَةً وَفَرَّقْتَ قَرْحَ الْقَلْبِ فَهُوَ كَلِيمٌ
وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِي دَبْحَ السُّرَى وَجُنُّ الْقَطَابَا لِجَاهَتَيْنِ جُثُومٌ

وأنت التي أحفظت قومي فكلمهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم
ذكر ضمير محبوبته (المسند إليه) في كل بيت، ليزيدها تقريراً
وإيضاحاً، ولينبئ أن هذه التي قطعت قلبه حزاة هي نفسها التي كلفته
دبح السرى، وهي نفسها التي أحفظت قومه عليه، فتكرار «أنت» أفاد
اختصاصها بكل من تقطيع قلبه وتكليفه دبح السرى وإحفاظ قومه عليه.

2- الاحتياط لضعف التعويل على القرينة، كأن تتحدث عن العرب
ويلائهم في نصره الإسلام واتساع رقعة البلاد التي فتحوها... ثم
تقول: «العرب حملة الرسالة»، تذكر المسند إليه «العرب»؛ لأن عهد
المتلقي به قد طال فربما نسيه لو أنك أغفلت ذكره فقلت: «حملة
الرسالة» بحذف المسند إليه.

وهكذا تذكر المسند إليه لضعف القرينة. ومثله أن تتحدث عن «خالد ابن
الوليد» وعزله عن قيادة جيش المسلمين وتولية أبي عبيدة مكانه ثم
تقول: خالد نعم القائد»، بذكر المسند إليه «خالد»، تذكره لضعف تذكر
المتلقي له، إذ ربما ظن الحديث عن أبي عبيدة لو قلت: «نعم القائد»،
هكذا بحذف المسند إليه.

3- التنبيه على غباوة السامع وأنه لا يستغني بالإشارة عن العبارة؛ ابتغاء
وضمه بالبغاء أو لإهانتته وتحقيره، كأن تقول لسامع القرآن يتلى:
«القرآن كلام الله»، وكأن قواك: «قال أحمد كذا» في إجابة من سألك:
ماذا قال أحمد؟

4- التلذذ بذكره، ويكثر ذلك في النسب والرتاء والمديح. فممنه في النسب
قول قيس:

ألا ليت أُنبنى لم تكن لي خلةً ولم تلقني أُنبنى ولم أدر ما هيا
ومنه في الرثاء قول الخنساء:

وإن صخرأ لكافينا وسيدنا وإن صخرأ إذا نشقوا لنخارُ
وإن صخرأ لتاتم الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نارُ
ذكرت اسم صخر «المسند إليه» ثلاث مرّات تلذّذاً بذكره.

ومنه في المديح قول الأخطل يمدح خالد بن أسيد:

ألا أيها الساعي ليدرك خالدأ تناة، وأقصر بعض ما أنت تفعل
فهل أنت، إن مد المدى لك خالدأ مؤازنه أو حامل ما يحمل؟

5- إظهار تعظيمه أو إهانته، الأول كقول أحدهم: حضر سيف الدولة في
إجابة من قال: هل حضر الأمير؟ والثاني كقول أحدهم: جاء المنافق
في إجابة من قال: هل جاء سعيد؟. ذكرنا مسند إليه في الموضوعين
«الأمير» و«المنافق» لإظهار تعظيمه في المثال الأول، وإظهار تحقيره في
المثال الثاني.

6- التبرُّك بذكره، كأن يقول الموحد: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَرَازِقُ كُلِّ حَيٍّ،
نُكِرَ الْمَسْنَدُ إِلَيْهِ «اللَّهُ» رَغْمَ وَجُودِ الْقَرِينَةِ الَّتِي تَمَكَّنَ مِنْ حَذْفِهِ؛ نَبْرَكَأ
بِذِكْرِهِ، وَكَأَنَّ تَقُولَ: «نَبِيَّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَاتِلُ هَذَا الْقَوْلِ»
جَوَاباً لِمَنْ قَالَ: «هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ؟»، تَذَكَرَ الْمَسْنَدُ إِلَيْهِ «نَبِيَّنَا» رَغْمَ وَجُودِ الْقَرِينَةِ الَّتِي تَمَكَّنَ مِنْ
حَذْفِهِ كَمَا يُلَوِّحُ مِنَ السُّؤَالِ: تَبْرَكَأ بِذِكْرِهِ.

7- إظهار التعجّب من المسند إليه، وذلك حين يكون الحكم غريباً، كأن يكون
لك صديق حميم اسمه «عليّ» يقال لك إنّه ذكرك بسوء، فتقول متعجباً:

«عليُّ قال عني كذا؟».

8- الردُّ على المتلقِّي، كأن تقول: «أحمد نجح» ردًّا على من قال: «أحمد رسب».

9- بسطُ الكلام حيث يراد استمرار إصغاء السامع؛ ومن هنا يطيل المحبون الحديث مع أحبِّتهم، وقد قلت في هذا المعنى من قصيدة أخطب فيها مدينة الرقة «جارة الشطِّ»:

جَارَةَ الشَّطِّ، حَدَّثِينَا وَزَيْدِي فَحَدِيثَ العِشَاقِ شَوْقًا يَزِيدُ

ومثال ذلك قوله سبحانه حكاية لكلام موسى عليه السلام: «هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي وليّ فيها مآرب أخرى»، وقد كان السؤال: «وما ذلك بيمينك يا موسى؟». إذا يكفي أن يقال في الإجابة «عصا»؛ لأنّ «ما» للسؤال عن الجنس، ويقول البلاغيون إن ذكر المسند إليه «هي» جاء حبًّا في إطالة الكلام في حضرة الذات الإلهية.

10- التّسجيل على السامع بين يدي القاض حتى لايتأتى له الإنكار، كأن يقول الحاكم لشاهد: هل أقرّ زيدٌ هذا بأنّ عليه لعمر وكذا وكذا؟ - فيقول الشاهد: نعم، زيد هذا أمرٌ بأنّ عليه لعمر وكذا وكذا. يذكر المسند إليه رغم وجود القرينة التي تمكّن من حذفه في السؤال؛ لئلا يجد المشهود عليه سبيلًا إلى الإنكار، كأن يقول للحاكم عند التّسجيل عليه كتابةً: إنّما فهم الشاهد أنّك أشرت إلى غيري، فأجاب بما أجاب، ولذلك لم أنكر ولم أطلب إبداء العذر فيه.

تعريف المسند إليه:

حق المسند إليه أن يأتي معرفاً؛ لأنّه المحكوم عليه، المنسوب إليه، وكلّما

ازداد تعريفاً كان أتمّ دلالةً على المراد. يقول السكاكي: «وأما الحالة التي تقتضي تعريفه فهي إذا كان المقصودُ من الكلام إفادة السامع فائدة يُعتدُّ بمثلها».

والتعريف أضربُ كثيرة ك يكون بالإضمار، وبالعلمية، وبالموصولية، وبالإشارة وبإل المعرفّة، وبالإضافة. وقلّ أن يخلو نوعٌ منها من مقاصد بلاغية. وإليك تفصيل القول في كلّ منها:

1- إيراد المسند إليه ضميراً:

يؤتى بالمسند إليه ضميراً حين يكون الحديث في أحد المقامات الثلاثة الآتية:

أ- مقام التكلّم، حيث يكون المتكّم متحدثاً عن نفسه، وعليه عندئذٍ أن يقول «أنا». ومثال هذا قول المصطفى عليه الصلّاة والسّلام:

أنا النّبِيُّ لا كذِبُ أنا ابنُ عبدِ المطلِبِ

ومنه قول بشّار:

أنا المرعُثُ لأخفى على أحدٍ ذرّتُ بي الشّمسُ للقاصي والدّاني

ب- مقام الخطاب، حين يخاطب المتكّم إنساناً ماثلاً أمامه، وعليه عندئذٍ أن يقول «أنت». ومثاله قوله الشاعر:

يابنّ الأكارم من عدنانٍ قد علموا وتالدِ المجدِ بينَ العمِّ والخالِ

أنتَ الذي تُنزلُ الأيامَ منزلها وتُمسِكُ الأرضَ من خسفٍ وزلزالِ

وحقّ الخطاب - كما يقول السكاكي - أن يكون مع مخاطب مشاهدٍ معيّن؛ لأنّ الخطاب هو الكلام إلى حاضرٍ مشاهد، وهو معيّنٌ لامحالة

بالحضور المشاهدة. لكنّ البلقاء قد يخرجون عن هذا الأصل، ويستعملون ضمير الخطاب في غير مشاهد وفي غير معيّن:

1- يخاطب غير المشاهد حين يكون مستحضراً في القلب حتى كأنّه مائل أمام العين، كقوله سبحانه: «أنتَ مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»، وقوله سبحانه: «أنتَ وليي في الدنيا والآخرة».

ومنه في الشعر قول الشاعر:

جودي بقربكِ أبلغُ كلِّ أمنيّتي أنتِ الحياةُ وأنتِ الكونُ أجمعه

وقولي وأنا في الشقيقة ليبيّا أخاطب سوريا:

أي بلادي، وأنتِ مهوى فؤادي كيف أحيأ والروحُ عني بعيد؟

2- يخاطب غير المعين حيث يراد تعميم الخطاب وتوجيهه إلى كلّ من يتأتى خطابه، كأن تقولك «أنتَ تسأل ونحنُ نجيبُ». لا تقصد بعينه، بل كلّ من يتأتى خطابه؛ تريد أن الاستعداد للإجابة موقر لكلّ من يسأل ولا يختصّ به واحدٌ دون آخر. وقد يرد في مقام التّشهير والعيب كأن تقول: «فلانُ ليئم، إن أكرمتَه أمانك وإن أحسنتَ إليه أساء إليك». يقول السكاكي: «كأنك قلتَ: إن أكرِمَ أو أحسِنَ إليه؛ قصداً إلى أن سوء معاملته لا يختصّ واحداً دون واحد».

ومن خطاب غير المعين لتعميم الخطاب قول الشاعر:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريّمَ ملكتهُ وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمرّدا

وقول زهير بن أبي سلمى:

تراه إذا ماجئته متهللاً كأنك تُعطيهِ الذي أنتَ سائلُهُ

ج - مقام الغيبة، وذلك عندما يكون المسند إليه في ذهن السامع لتقدّم مرجعه. ويأخذ تقدّم المرجع ثلاث صور:

أ- أن يتقدّم لفظاً، كقوله سبحانه: « واصبرِ حَتَّى يَحْكَمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ » فالمسند إليه الضمير «هو» عائد على لفظ الجلالة المتقدّم «اللّه». أو تقديرأ، كقولهم: « نَعَمْ فَتَاةٌ هِنْدٌ؟ » عند الذين يجعلون «هند» مبتدأ مؤخرًا والجملة قبلها خبراً مقدّماً. فالمسند إليه (فاعل نعم الضمير المقدّر بـ «هي») يرجع إلى هند.

وجليّ أن هذا المرجع متقدّم على الضمير لأنه مبتدأ، متأخر لفظاً.

ب- أن يتقدم معنى، حيث يدلّ عليه لفظ سابق من جنسه أو تومى إليه قرينة حال:

- الأول، كقوله سبحانه: « اعدلُوا هو أقرب للتقوى »؛ حيث يرجع المسند إليه الضمير «هو» إلى «العدل» المفهوم من لفظ «اعدلوا». وكقوله سبحانه: « وَإِنْ قَبْلَ لَكُمْ أَرْجَعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ؛ أَي «الرجوع» المفهوم من قوله «ارجعوا».

- الثّاني، كقوله سبحانه: « وَالْأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ »؛ فالمسند إليه (الضمير فاعل ترك المقدّر بـ «هو») يرجع إلى «الميت»، وقد دلّت عليه قرينة حال هي أن المقام لبيان الإرث.

2- إيراد المسند إليه علماً:

العلم هو ما وضع لشيء معين مع ما يلزمه من مشاهدات تميزه عما عداه، على نحو لا يشاركه فيها سواه.

وعليك أن تكون على بيّنة من أن المقامات التي تقتضي مجيئ المسند

إليه علماً كثيرة، نذكر لك منها أهمها:

1- إحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداءً باسم مختص به، ليمتاز عما عداه، كقوله سبحانه: « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ». هو : ضمير الشأن مبتدأ أول. الله: مبتدأ ثانٍ، والجملة خبره. قال الخطيب القزويني: « جاء المسند إليه «الله» علماً؛ لأجل إحضاره في الذهن ابتداءً بجميع مشخصاته التي قام عليها الدليل كالقدرة ونحوها باسم خاص به تعالى». ومنه قوله سبحانه: «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل».

ومنه في الشعر قول الشاعر:

أبوما لكٍ قاصرُ فقره على نفسه ومُشيعُ غناه
وقول الآخر:

الله يعلم ما تركت قتالهم حتى علوا فرسي بأشقر مزيد

2- قصد تعظيم المسند إليه أو إهانته، وذلك في:

أ- الألقاب، كان تقول: « جاء صلاح الدين ووصل ذو الرياستين» في مقام التعظيم، و«رحل عنا أنف الناقة، وفارقنا صخر» في مقام الإهانة.

ب- الأسماء الصالحة لذلك، كقول المصطفى عليه الصلاة والسلام: «أسلم سالمها الله وغفارُ غفر الله لها».

ج- الكنى الصالحة لذلك، كقواك: « أبو الفضل صديقك» في مقام التعظيم، و« أبو الجهل صاحبك» في مقام الإهانة.

3- التفاؤل به، كقواك: جاء سرور، وسلام قادم. تأتي بالمسند إليه علماً في الموضوعين؛ للتفاؤل به.

4-التشاؤم به، كقولك: جاءَ حربٌ، وضرارٌ قادمٌ. تأتي بالمسند إليه علماً في الموضوعين، قصداً إلى التشاؤم.

5- التبرُّك به، كقولك: «اللَّهُ أكرمُني» في جواب مَنْ قال لك: «هل أكرمك الله؟» تأتي بالمسند إليه علماً؛ لقصد التبرُّك بذكر اسمه؛ ألم يقل سبحانه: «ألا بذكرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ».

6- التلذُّذ به - كقول الشاعر:

بِاللَّهِ يَا خَلِيَّاتِ القَاعِ قَلْنَ لَنَا: لِيَلِي مَنكَنٌ، أَمْ لِيَلِي مِنَ البَشَرِ؟

ذكرها الشاعر في عجز البيت مرتين باسمها الظاهر، وكان يمكنه في الثانية أن يقول «هي» لكنّه عدل إلى الاسم الصريح تلذُّذاً بذكر اسمها. وهذه عادة للشعراء يكثرُونَ من ذكر الاسم الصريح لمن أحبوا، وكان ما في القلب تظهره عثرات اللسان. ومن هنا قال المتنبي في تضاعيف مدح لعنصر الدولة:

أَسَامِيَا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً إِنَّمَا لَذَّةُ ذِكْرِنَاهَا

7- التَّسْجِيلُ عَلَى السَّمْعِ تَقْطَعُ سَبِيلَ الإِنْكَارِ عَلَيْهِ إِنْ رَامَ ذَلِكَ. كَانَ سَأَلَ القَاضِي الشَّاهِدَ: « هَلْ ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا؟ » - فِيجِيبُ الشَّاهِدُ: نَعَمْ، ضَرَبَ زَيْدٌ هَذَا عَمْرًا. جَاءَ بِالمَسْنَدِ إِلَيْهِ بِاسْمِهِ الصَّرِيحِ، رَغْمَ إِمْكَانِيَةِ الإِتْيَانِ بِالضَّمِيرِ لِتَقْدَمَ مَرَجَعُهُ؛ لِلتَّسْجِيلِ عَلَى المَتَّهَمِ حَتَّى لَا يَتَنَصَّلَ مِمَّا أَمَرَ بِهِ عَلَيْهِ، فيقول: مَا أَرَادَنِي، بَلْ أَرَادَ شَخْصًا آخَرَ.

8- التَّنْبِيهِ عَلَى غِبَاوَةِ السَّمْعِ وَعَلَى أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ إِلَّا بِصَرِيحِ العِبَارَةِ؛ كَانَ يَسْأَلُكَ زَمِيلُكَ فِي الصَّفِّ: « هَلْ دَاوَمَ أَحْمَدُ اليَوْمَ؟ » - فَتَقُولُ: « نَعَمْ، دَاوَمَ أَحْمَدُ اليَوْمَ ». تَأْتِي بِالمَسْنَدِ إِلَيْهِ عَلْمًا لِتَسْمِ الخَاطِبِ بِالبَلَادَةِ

ويطء الإدراك.

9- الكناية بالعلم عن معنى يصلح للكناية عنه، كقوك « أبو لهب فعل كذا»، تريد كونه جهنمياً. ذلك أن المركب الإضافي في « أبو لهب» - قبل أن يصير علماً - معناه : ملازم النار وملابسها، ويلزم منه أنه «جهنمي»، وأنت حين تأتي بالمسند إليه علماً هكذا « أبو لهب» تريد الانتقال من الملزوم «ملازمته النار» إلى اللازم «كونه جهنمياً»؟ فيكون ما فعلته انتقالاً من الملزوم إلى اللازم؛ أي كناية. ويصلح العلم لهذا المعنى نظراً إلى معناه الوضعي قبل صيرورته علماً على الذات.

3- إيراد المسند إليه اسم إشارة :

يأتي المتكلم بالمسند إليه اسم إشارة طريقاً لإحضار المشار إليه في ذهن السامع، حين يكون المشار إليه حاضراً محسوساً ولكن المتكلم والسامع لا يعرفان اسمه الخاص، ولا يعرفان أيضاً أي محدد آخر من محدداته، كأن تقول لمتلقي كلامك: « أتعيرني هذا» وأنت تشير إلى شيء لا تعرف اسمه ولا رصفاً آخر من أوصافه. وهذه وظيفة اتصالية دنيا لاسم الإشارة، غايتها قدر من الإفهام. ولا يقتصر استخدام المسند إليه اسم إشارة على تعيينه طريقاً لإحضار المشار إليه المجهول الاسم والصفات في ذهن السامع فحسب، بل يستخدم لأغراض بلاغية ولطائف لاتكاد تنضب، كما يقول السكاكي. واليك أهم لطائف الإتيان بالمسند إليه اسم إشارة:

أ- كمال تمييزه وتعيينه، وذلك في موضعين:

أ- في مقام المدح، حيث يكون تمييزه بالإشارة أعون على كمال المدح. كقول الفرزدق في زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب- رضي الله عنهم - عندما ادعى هشام بن عبد الملك أنه لا يعرفه:

هذا الذي تعرفُ البطحاءَ وطائتَهُ والبيتُ يعرفُهُ والحِلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كُلِّهِمْ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلَهُ بجَدِّهِ أنبياءِ اللّهِ قد خُتِمُوا

ب- في مقام اختصاص المسند إليه بحكم بديع مما يقتضي تمييزه بالإتيان به اسم إشارة، كقول ابن الراوندي:

كَمْ عاقلٍ أعيتَ مَذاهِبُهُ وجاهلٍ تلقاهُ مرزوقا
هذا الذي تركَ الأوهامَ حائِرةً وصيرَ العالمَ النحريرَ زنديقا

جاء بالمسند إليه اسم إشارة في البيت الثاني لتمييزه أكمل تمييز؛ لما اقتص به من حكم بديع هو افتقار ذوي العلم واغتناء ذوي الجهل.

2- التعريض بغباوة السامع وأظهار أن الأشياء لا تتميز لديه إلا بالإشارة الحسية إليها، كقول الفرزدق يهجو جريراً ويفتخر عليه:

أولئك أبائي فجنني بمثلهم إذا جمعتنا يا قريا المجمعُ

جاء بالمسند إليه اسم إشارة؛ تعريضاً بغباوة جرير وإشارة إلى أنه غبي بليد لا يدرك إلا المبصر.

3- بيان حال المسند إليه في القرب أو البعد أو التوسط. مثال الأول قول جرير:

هذا ابنُ عمِّي في دمشق خليفَةُ لو شئتُ ساءتكمُ إلي قطيننا

جاء بالمسند إليه «هذا» اسم إشارة؛ لبيان قربه ومن ثم قرب مساعدته

4- تعظيمه بالقرب أو بالبعد. الأول كقوله سبحانه: « إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ». جيء بالمسند إليه اسم إشارة للقريب؛ لتعظيم درجته بتنزيل قربه من النفس وملايسته للروح منزلة قرب المسافة. والثاني كقوله سبحانه حكاية عن امرأة العزيز مشيرةً إلى يوسف عليه السلام: « فذلكن الذي لمتنني فيه ». جيء بالمسند إليه اسم الإشارة الخاص بالبعيد؛ إشارة إلى ارتفاع منزلة يوسف في الحسن، رغم أنه كان حاضراً في المجلس. وكقوله سبحانه: « ذلك الكتاب لاريب فيه »؛ إيماءً إلى أنه في نهاية الكمال والعظمة وبعد الشؤ. ووجه دلالة اسم الإشارة الخاص بالبعيد على التّعظيم هو أنّ العظيم في العادة ينأى عن الناس ويبعد عنهم لعزّته ورفعة شأنه.

5- تحقيره بالقرب أو بالبعد. الأول كقوله سبحانه حكاية لما قال أبو جهل - قاتله الله - مشيراً إلى المصطفى عليه الصلاة والسلام: « أهذا الذي يذكر ألهتكم ». جيء بالمسند إليه اسم إشارة للقريب « هذا »؛ إشارة إلى إهانة المصطفى عليه الصلاة والسلام في زعمه الخبيث. والثاني كقوله سبحانه: « فذلک الذي يدعُ اليتيم ». جيء بالمسند إليه اسم الإشارة الخاص بالبعيد؛ إشارة إلى أنه لا يلتفت إليه ولا يعرض للخاطر حتى إنّه كغير المشاهد البتة: كل ذلك لتحقيره.

6- التنبية على أن المشار إليه المعقّب بأوصاف جدير - من أجل تلك الأوصاف - بما يكر بعد اسم الإشارة، كقوله سبحانه: « أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » بعد قوله سبحانه: « هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ». المشار إليه هنا هو « المتقين »، وقد عقبوا بأوصاف الإيمان بالغيب، وإقام

الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله... وقد أشير إليهم بـ «أولئك» مع أن المقام للضمير لتقدم مرجعه؛ إشارة إلى أنهم أحقأ . بسبب الأوصاف التي خلعتها عليهم - بما يجيء بعد اسم الإشارة من هداية في الدنيا وفلاح في الآخرة.

ومثله في الشعر قول عروة بن الورد:

كضوءِ سراجِ القابسِ المتنورِ	ولكنْ صعلوكاً صفيحاً وجهه
ساحتهم زجرَ المنيعِ المشهورِ	مطلاً على أعدائه يزجرونَ
تشوفُ أهلِ الغائبِ المنتظرِ	وإنْ بعدوا ليامنونَ اقترايةً
حميداً وإنْ يستغنِ يوماً فإجديرِ	فذلكَ إنْ يلُقَ المنيةَ يلقها

ذكر له مجموعة من الخصال الفاضلة، ثم أشار إليه باسم الإشارة الخاص بالبعيد، رغم أن المكان للضمير لتقدم مرجعه «صعلوكاً»؛ تنبيهاً على أنه جدير بما بعد اسم الإشارة من ضروب المكافأة.

إيراد المسند إليه اسماً موصولاً :

يؤتى بالمسند إليه اسماً موصولاً لأغراض بلاغية كثيرة، نذكر لك أهمها:

- 1- عدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة، كقولك: «الذي كان معنا أمس رجل عالم». جيء بالمسند إليه اسماً موصولاً؛ لأن المخاطب لا يعرف من الأحوال المختصة به سوى أنه كان معها أمس.
- 2- استهجان التصريح بالاسم الدال على ذات المسند إليه إن ثبت عرفاً

أنه منفرٌ في معناه أو لفظه:

- فالأول، كقولك: «الذي يخرج من أحد السبيلين ناقضٌ للوضوء»، حيث لم يُستسغَ ذكر ما يخرج من السبيلين لفحوض معناه.

- والثاني، كقولك: «الذي ربّاني أبي»، إن كان اسم الأب قبيحاً مثل «برغوث» أو «جحش» أو «كلب»

3- زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام أي تأكيده وتثبيته، كما في قوله سبحانه: «ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه». لغرض المسوق له الكلام هو تقرير نزاهة سيدنا يوسف عليه السّلام. وكان يمكن الوصول إلي هذا التنزيه بذكر كل من الموصول وامرأة العزيز «زليخاء» لكن الموصول أدل على النّزاهة؛ لأنه التّعبير الذي مكّن من تصوّر تهالكها عليه وملاحقتها إياه؛ إذ هو في بيتها تكلفه ماتشاً، وتلقاه في كل الأوقات ملحةً مطالبة، ورغم ذلك كلّه استعصم، وكلاه الكالي. أوجد ثمة تعبيراً آخر يقوم مقام «التي» في مطابقة مقتضى هذه الحال؟.

4- التّهويل تعظيماً أو تحقيراً. فالأول، كقوله سبحانه: «فغشيهم من اليمّ ماغشيهم»؛ أي غشيهم ماءً غزير يعزّ تقدير كميته. جيء بالمسند إليه اسماً موصولاً؛ لجعله مبهماً، إذ في الإبهام تعظيم وتهويل لا يؤدّيه التّصريح. وكقوله سبحانه: «إذ يغشى السدرة ما يغشى»؛ أي يغشاها أمورٌ عظيمة لا قبل للإفسات بتخيلها. قال الزمخشري: «وقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدّالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتننها النعت ولا يحيط بها الوصف». والثاني كقولهم: «من لم يدِر حقيقة الحال قال ما قال». أي: الجاهل بالشيء يقول في شأنه ما يعنّله.

5- تنبيه المخاطب على خطأ تصوّره أو تصوّر غيره. الأول كقوله سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ». وكقول عبدة بن الطبيب في جملة قصيدة يعظ بها أبناءه..:

إِنَّ الَّذِينَ تَرَوْنَهُمْ إِخْوَانَكُمْ يشفي غليلَ صدورهم أن تُصرعوا
جاء بالمسند إليه اسماً موصولاً؛ لينبّه المخاطبين على خطئهم في
حسبانهم هؤلاء أخوة لهم مخلصين، ولايتأتى له ذلك لو قال إِنَّ الْقَوْمَ
كَذَا....

والثاني كقول عروة بن أذينة:

إِنَّ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلْهًا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوِيَّ لَهَا
جاء بالمسند إليه «التي» اسماً موصولاً للتنبية على خطأ الغائبة في
زعمها أَنَّ فَوَادَهُ مَلْهًا، ولو أَنَّهُ، قال - مثلاً- إِنَّ فَلَانَةَ خُلِقْتَ هَوَاكَ لَمَا تَأْتِي
له هذا التنبية.

6- تمكين الخبر في ذهن المخاطب بالإتيان بصلة غريبة مشوّقة إلى معرفة
الخبر. وذلك كقول المعري:

والذي حارتِ البريةَ فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جمادٍ
معنى البيت: إِنَّ الَّذِي اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي أَمْرٍ بَعَثَهُ وَعُودَتَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ هُوَ
ذَلِكَ الْحَيَوَانَ الْأَدْمِيَّ الَّذِي خَلَقَهُ الْخَالِقُ - سبحانه - مِنْ نَطْفَةٍ أَوْ مِنْ طِينَةِ
أَدَمٍ «وقد جاء بالمسند إليه اسماً موصولاً الذي، وجاء في صلته بأمرٍ
غريب؛ ليوجّه ذهن المتلقّي إلى ماسياتيه من خبر المسند إليه بعد انتظار
وروده عليه.

7- الإيحاء إلى نوع الخبر المحكوم به على المسند إليه، ويكون ذلك حين

تتضمن صلة الموصول ما يدل على نوع الخبر على الجملة؛ بحيث يكون في مقدور المتلقى تحديد نوعه العام بقليل من التأمل. كقوله سبحانه : « إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ». فالإيمان وعمل الصالحات الذي انطوت عليه الصلّة يشير إلى أَنَّ الخبر من نوع عملهم؛ أي ضربٌ من الإثابة والجزاء الحسن. وكقوله سبحانه: « إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ».

ومن هذا القبيل ما جاء في الحكمة: « مَنْ سَعَى رَعَى، وَمَنْ لَزِمَ الْمَنَامَ رَأَى الْأَحْلَامَ ». ومنه في الشعر قول الشاعر:

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَتْلَهُ سَفْهًا لاقُوا أَثَامًا وَخُسْرَانًا فَمَا رِبْحُوا
وحاصله كما يقول الخطيب القزويني: « أَنْ يُؤْتِيَ بِالْفَاتِحَةِ عَلِيَّ وَجْهَ
يُنْبِئُهُ الْفِطْنَ عَلِيَّ الْخَاتِمَةَ. »

8- الأيماء إلى تعظيم شأن الخبر أو تحقيره. فالأول كقول الفرزدق مفاخرأ
جرير بشرف المحتد:

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَانُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

جاء بالمسند إليه اسماً موصولاً سالذي؛ للإلحاح إلى تعظيم بيتهم، لأنّ الذي بنى لهم هذا البيت هو الذي رفع السماء؛ أيحارب العزة سبحانه، ولايبني إلا ماكان عظيماً. والثاني كقولك: « إِنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِالْعَرُوضِ نَظْمَ قَصِيدَةٍ؛ جَنَّتْ بِالْمَسْنَدِ إِلَيْهِ اسْمًا مَوْصُولًا «مَنْ» لِلإِطَاعِ إِلَى تَحْقِيرِ شَأْنِ الْقَصِيدَةِ؛ لِأَنَّ نَظْمَهَا جَاهِلٌ بِالْعَرُوضِ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ الْبَيْتَةَ.

9- تحقيق الخبر في ذهن المتلقي عندما تبرهن الصلّة على وقوعه، كقول عبدة بن الطبيب يشكو جفاء محبوبته وهجرها له:

إِنَّ التّي ضربت بيتاً مهاجرةً بكوفة الجند غالت ودّها غولُ

أراد: إن من هاجرت وأقامت في الكوفة مؤثّرةً البعد عنك انقضى ودّها ولم يبقَ منه شيء؛ وقد جاء بالمسند إليه اسماً موصولاً وأشار في الصلّة إلى أمور خاصّة (ضرب البيت في الكوفة- الهجرة)؛ ليثبت الخبر في ذهن المتلقّي «ذهاب ودّها»؛ لأن من هذه حائها لا يمكن أن تكون ذات ودا، والشاعر بذلك يحقّق زوال المودّة ويقرّره في ذهن المتلقّي، بتقديم دليله.

10- الحثُّ على التعظيم أو التحقير. فالأول كقولك: «جاء الذي علّمك»؛ جنّت بالمسند إليه اسماً موصولاً؛ تريد حثّ مخاطبك على تعظيمه؛ لأنّه هو الذي علّمه. والثاني كقولك: «جاء الذي سألك»، أي طلب منك مالاً. جنّت إليه اسماً موصولاً تريد حثّ مخاطبك على تحقيره. ومرجع التّعظيم والتحقير المعنى الذي انطوت عليه الصلّة.

11- التّهكم بالمسند إليه، كقولك: «الذي يدعي حبّ العلم يُغلّق المدارس». وكقولك: «الذي يقتل الشعوب يدعي السّلام».

12- تضمّن الصلّة معاني ذات أهمية في سياق الكلام، كقوله سبحانه: «أوليس الذي خلق السّموات والأرض بقادرٍ على أن يخلّق مثلهم». جيء بالمسند إليه اسماً موصولاً؛ بقصد إبراز معنى مهمّ في الصلّة هو «خلق الله السّموات والأرض» الذي يفيد هنا في إقناع المعاند بقدرّة الله سبحانه على خلق الإنسان؛ فإنّ الذي خلق الموات والأرض سهلاً عليه- في منظور البشر- أن يخلق ما هو أقلّ منهنّ بكثير: الإنسان. ولايتأتى هذا لو ذكر في موضع اسم الموصول لفظ الجلالة «الله».

ومنه في الشّعور قول كعب بن زهير عندما جاء تائباً بين يدي المصطفى عليه الصلّة والسّلام:

مهلاً هداك الذي أعطاك نافية ال سقآن فيه مواعيزُ وتفصيلُ
قال: « هداك الذي أعطاك...» ولم يقل: « هداك الله» أو: «هداك ربك»؛
لأن الصلاة تَضَمَّنَتْ حديثاً عن إكرام الله سبحانه لنبيه عليه الصلاة
والسلام بإعطائه فضيلة القرآن الكريم. وفي ذلك تكريمٌ للرسول الكريم
عليه الصلاة والسلام، وتنويهُ بمقامه عند ربه، ومن ثم إقراراً بنبوته وإعلام
بأن كعباً قد أسلم.

إيراد المسند إليه معرفاً بـ «أل»:

يقول محمد بن علي الجرجاني في «الإشارات والتنبيهات»: اللامُ
موضوعةٌ للدلالة على تعيين المسند، كما أن التَّنوين موضوعٌ للدلالة على
عدم تعيينه، وأما كونه جنساً، أو استغراق جنس، أو عهداً، فإنما يستفاد
من قرائن الأحوال، فإذا لم تكن القرينة، لم تخرج اللام عن دلالتها على
تعيين المسمى.

وقد دلَّت تتبعُ خواصِّ تراكيب الكلام البليغ على أن المسند إليه يأتي
معرفاً بـ «أل» لغرضين هما:

الأول - الإشارة بـ «أل» إلى فردٍ من أفراد الحقيقة، واحداً كان أو
أكثر، معهودٍ خارجاً بين المتكلم والمخاطب. وهي التي تدخل على معينٍ في
الخارج، وتسمى «لام العهد الخارجي». وهي ثلاثة أقسام تبعاً لمدخلها:

أ- لام العهد الخارجي الصريح - وهي التي يتقدم ذكر مدخلها
صراحة، كما في قوله سبحانه: «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ
كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ».
جاء بالمسند إليه (المصباح - الزجاج) معرفاً بـ «أل» للإشارة بها إلى

معهودٍ خارجاً عهداً صريحاً، لتقدّم ذكرهما منكرين (مصباح - زجاجة)
ب- لام العهد الخارجي الكنائي وهي التي يتقدّم ذكر مدخولها كنايةً،
كما في قوله سبحانه حكاية عن امرأة عمران: «ربّ إني نذرتُ لك ما في
بطني محرراً فتقبّلْ مني إنك أنتَ السميعُ العليمُ. فلما وضعتها قالت ربّي
إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى».

الشاهد قوله سبحانه «وليس الذكر» حيث جيء بالمسند إليه معرّفاً بـ
«أل»؟ للإشارة بها إلى معهود خارجاً عهداً كفائياً؛ لأنّ «ما» في قول امرأة
عمران «ما في بطني» كناية عن الذكر فحسب؛ لأنّ التحرير، وهو إعتاق
الولد لخدمة بيت المقدس، لا يكون إلا للذكور. ويقول البلاغيون: ليس المراد
بالكناية هنا الكناية المعلومة، بل المراد استعمال المبهّم في معيّن بقرينة
فأشبه الكناية».

ج- لام العهد العلمي - وهي التي يُستغنى في استخدامها عن تقدم
ذكر مدخولها لتقدّم علم المخاطب به. وهي ضربان:

1- لام العهد العلمي الحضورى، وهي التي يكون مدخولها حاضراً في
المجلس، كأن يضمك وإخوتك مجلس تستقبلون فيه والدتك التي وصلت
البارحة من السفر فتقول: «الوالدة وصلت البارحة». جنّت بالمسند إليه
معرّفاً بـ «أل» للإشارة بها إلى معلوم للمخاطب بالحضور.

2- لام العهد العلمي غير الحضورى، وهي التي يكون مدخولها معلوماً لدى
المخاطب، كقولك: «هل انعقد المجلس؟»، جنّت بالمسند إليه معرّفاً بـ
«أل» للإشارة بها إلى معلوم للمخاطب. وكقولك لزميلك: «الاستاذ في
الصف». جنّت بالمسند إليه معرّفاً بـ «أل» للإشارة بها إلى معلوم
للمخاطب.

الثاني - الإشارة بـ «أل» إلى الحقيقة، عندما يكون مدخولها موضوعاً للحقيقة والماهية، وهي تبعاً لمدخولها ثلاثة أقسام:

أ- لام الحقيقة أولام الجنس- وهي التي يراد بمدخولها الحقيقة نفسها بصرف النظر عما يقع تحتها من أفراد، كما في قوله سبحانه: «المالُ والبنونُ زينَةُ الحياةِ الدنيا»، جيء بالمسند إليه (المال) معرفاً بـ «أل» للإشارة بها إلى حقيقة نفسها، أي جنس المال، وكذا جنس البنين (في المعطوف)، «مثله قولك: «الصَّيْفُ خيرٌ من الشتاء»؛ أي جنس الصَّيْفِ، و«الدينارُ خيرٌ من الدرهم»؟ أي جنس الدينار.

ومنه في الشعر قول زهير منقراً من جنس الحرب:

وما الحربُ إلا ما علمتُم وذقتمُ
وما هوَ عنها بالحديثِ المرجمُ
أي جنس الحرب وحقيقتها.

وقول المعري:

والخَلُّ كالماءِ يُبدي لي ضمائرَه
مع الصَّفَاءِ ويخفيها مع الكثرِ
ومعناه جنس الخَلِّ كجنس الماء.

ب- لام العهد الذهني - وهي يراد بمدخولها فرداً واحداً من أفراد الحقيقة باعتبار عهديته في الذهن لمطابقة ذلك الواحد الحقيقة، وذلك عند قيام قرينة مادالة على أن ليس القصدُ إلى الحقيقة نفيها. كما في قوله سبحانه:

«وأخافُ أن ياكلَهُ الذئبُ»، جيء بالمسند إليه (الذئب) معرفاً بلام الحقيقة أو الجنس؛ للإشارة بها إلى فردٍ من أفراد حقيقة الذئب. والقرينة الدالة هي «أن ياكله»؛ إذ دلَّ الأكلُ على ذئبٍ من الذئاب لاعلى الحقيقة؛ لأنَّ

الحقيقة أمرٌ عقليٌّ لا وجود له في الخارج، فلا يحصل منه أكل، ومثالها في
الشعر قول الشاعر:

وَمَنْ طَلَبَ الْعُلُومَ بِغَيْرِ كَدٍ سَيَدْرُكُهَا حَتَّى شَابَ الْغُرَابُ

جاء بالمسند إليه «الغراب» معرفاً بلام الحقيقة؛ للإشارة بها إلى فردٍ
من أفراد حقيقة الغراب. والقرينة الدالة على ذلك هي قوله «شاب»؛ إذ إنَّ
الشَّيْبَ مِمَّا يَعْتَرِي الْأَفْرَادَ لَا الْحَقَائِقَ.

ج - لام الاستغراق - وهي التي يراد بمدخولها جميع أفراد الحقيقة
عند قيام القرينة على ذلك. وهي قسمان:

1- لام الاستغراق الحقيقي، وهي التي يراد بمدخولها كلُّ فردٍ مما يدلُّ
عليه اللفظ بحسب اللفظة، كما في قوله سبحانه: «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ»،
أي: كلُّ إنسان، بدليل الاستثناء بعده. وقوله سبحانه: «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
بِالسُّوءِ»، أي: كلُّ نفس.

2- لام الاستغراق العرفي، وهي التي يراد بمدخولها كلُّ فردٍ مما يدلُّ عليه
اللفظ بحسب متفاهم العرف، كقولك: «اجتمع الطلاب في الباحة»،
تريد جميع الأفراد التي يتناولها لفظ «الطلاب» عرفاً؛ أي طلاب الصف
أو المدرسة التي أنت فيها تبعاً للعرف الذي تتفق فيه مع المخاطب.
وكقولك: تفتح المدارس أبوابها في الأسبوع الأول من الشهر التاسع من
كلِّ عام»، تريد جميع الأفراد التي يتناولها لفظ «المدارس» في العرف
المتفق عليه. والفارق بين نوعي الاستغراق هذين أنَّ الأول شاملٌ لكلِّ
أفراد الحقيقة دون استثناء، والثاني شاملٌ كلِّ أفراد الحقيقة التي
جرت العادة على أن تفهن من اللفظ حين يطلق؛ أي في الاستعمال
المحلِّي لجماعة معيَّنة.

وإليك مختصراً لما قلنا في تعريف المسند إليه بـ «أل»:

تُستخدَم «أل» - أو لام التعريف - لتأدية غرضين بلاغيين: الأول الإشارة بها إلي فردٍ من أفراد الحقيقة معهودٍ بين المتكلم والمخاطب - وهذه لام العهد الخارجي. والثاني الإشارة بها إلي الحقيقة نفسها عندما يدل مدخولها علي الحقيقة والماهية. والأولي ثلاثة أقسام: لام العهد الخارجي الصريح، ولام العهد الخارجي الكنائي، ولام العهد العلمي، التي تشمل لام العهد العلمي الحضورى، ولام العهد العلمي غير الحضورى. والثانية ثلاثة أقسام أيضاً: لام الحقيقة أو الجنس، ولام العهد الذهني، ولام الاستغراق، التي تشمل لام الاستغراق الحقيقي، ولام الاستغراق العرفي.

إيراد المسند إليه معرفاً بالإضافة:

يؤتى بالمسند إليه معرفاً بالإضافة إلى شيء من المعارف، ابتغاء تحقيق جملة أغراض بلاغية، نسوق لك أهمها:

1- أن الإضافة أخصرُ طريق لإحضاره في ذهن السامع والمقام مقام اختصار، كقول جعفر بن عتبة الحارثي:

هواي مع الركب اليمانيّ مُصنَعُ جنيب، وجثمانى بمكة موقِّعُ

وقال بعده:

عجبت لسراها وأني تخلصتُ إليّ وبابُ السجْنِ دوني مغلقُ

ألمتُ فحييتُ ثم قامتُ فودعتُ فلما تولتْ كادتِ النفسُ تزهرقُ

فلاتحسبي أنني تخشعتُ بعدكمُ لشيءٍ، ولأنني من الموت أفرقُ

ولأنّ قلبي يزدهيه وعيدهمّ ولأنّني بالمشي في القيد أخرج
ولكن عرّثتي من هواك ضمانة كما كنت ألقى منك إذ أنا مطلق

قال الشاعر الأبيات إذ هو سجين بمكة بقتله واحداً من بني عقيل، وكان في مكة يومئذ ركباً من اليمن فيه محبوبته، وقد أزمع الركب الرحيل، فهام الروح الشاعر وجاءت القريحة بهذا الذي يستخف الرزين ويصبي الرّحين. ومعنى مصعد: مبعداً ذاهب في الأرض. والجنيب: المجنوب المستبعب. والجنمان: الشخص. مع ذلك الركب اليماني، يقدمه قومه أمامهم خشية سبيه (جنيب)، وأنا سجين مقيد في مكة.

والشاهد قوله «هواي»؛ حيث أثر الشاعر هذه الصيغة التي هي أخصر من قوله «الذي أهواه». والاختصار هنا مطلوب؛ لضيق المقام وفرط السأم؛ لكونه في السجن والحبيب ماض في الرحيل.

2- تضمّن الإضافة تعظيماً لشأن المضاف أو المضاف إليه أو غيرهما؛ فمن تضمّن تعظيم شأن المضاف قوله سبحانه: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان»، جيء بالمسند إليه «عبادي» معرفاً بالإضافة لتضمّن هذه الإضافة تعظيماً لشأن المضاف «عباد»؛ لأنهم بذلك عباد الله سبحانه وقوله سبحانه: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً».

ومن تعظيم شأن المضاف إليه قولك: سيّرتي بانتظاري»، تعظيماً لك بأنّ لك سيّارة. وقولك: «قصّري الجديد صار جاهزاً».

ومن تعظيم غير المضاف إليه قولك: «سيّرتي بانتظاري»، تعظيماً لك بأنّ سيّارة. وقولك: «قصّري الجديد صار جاهزاً». ومن تعظيم غير المضاف والمضاف إليه قولك «أخو الوزير عندي»، تعظيماً لشأن المتكلم بأنّ أخا

الوزير عنده. والمتكلم هنا ليس المضاف ولا المضاف إليه.

3- تضمّن الإضافة تحقيراً الشأن المضاف، أو المضاف إليه، أو غيرهما:

- الأول كقولك: «أخو اللصّ قادمٌ»؛ تحقيراً للمسند إليه المضاف بأنه أخٌ لَصٍّ، وقد جاء ذلك من طريق الإضافة. ومنه قول العنبري:

لو كنتُ منعِ مازنٌ لم تستبِحِ إبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
- الثاني كقولك: «صديقُ زيدٍ لَصٌّ»، تحقيراً للمضاف إليه بأنّ صديقه لَصٌّ

- الثالث، كقولك: ابنُ السارقِ يزورُ زيدا، تحقيراً لزيد بأن ابن السارق يزوره. و«زيد» هنا ليس مضافاً ولا مضافاً إليه.

4- إغناء الإضافة عن تفصيل متعذر، كقولك: «أهلُ البلدِ يسلمون عليك». جئتُ بالمسند إليه مضافاً؛ لتعذر تعداد أهل البلد أو تسميتهم واحداً واحداً. ومنه قوله سبحانه: «وجاءَ أهلُ المدينةِ يستبشرون»، وقوله سبحانه: «ولو أنْ أهلَ الكتابِ آمنوا واتَّقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم». ومنه في الشعر قول حسان بن ثابت رضي الله عنه:

أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهم قبرِ ابنِ ماريةَ الكريمِ الأفضلِ
وقول مروان بن أبي حفصة:

بنو مطرٍ يومَ اللقاءِ كأنهم أسودٌ لها في غيلِ خفانِ أشبلُ

الشاهد في البيتين إضافة المسند إليه لتعذر تعداد أولاد جفنة وبنو مطر؛ ومن ثم أغنت الإضافة عن تفصيل متعذر.

5- إغناء الإضافة عن تفصيل حال لونه مانع مع تيسره، كقولك: «علماءُ اللغة حاضرون»، حيث جيء بالمسند إليه معرّفاً بالإضافة تحاشياً لتقديم

بعض أشخاص العلم على بعض في الذكر. ومنه في الشعر قول
الشاعر:

قومي هم قتلوا، أميم، أخي فإذا رميتُ يصيبي سهمي

يقول الشاعر: يا أميمة، إن قومي هم الذين تولوا قتل أخي، فإن قتلت
أحدا منهم ثأراً لأخي أصابني سهمي. والشاهد قوله «قومي» حيث جاء
بالمسند إليه مضافاً؛ لإغناء الإضافة عن تفصيل تحاشاه الشاعر؛ لأن
تعداد أسماء رجال قومه دمٌ صريحٌ لهم، ينشأ عنه حقدهم عليه ونفوذهم
منه.

6- تضمّن الإضافة اعتباراً لطيفاً، وذلك كقول الشاعر:

إذا كوكبُ الخرقاءِ اعتباراً لاحَ بسُحرةٍ

سهل أذاعتُ غزلها في القرائبِ

يقول إن المرأة الحمقاء لاتستعد لفصل الشتاء البارد بغزل الصوف
اللازم لأبسة أبنائها منذ فصل الصيف، بل تنتظر حتى يطلع كوكب
سهيل سحراً في أول الشتاء، وإذ ذاك يدرك البرد الشديد أبنائها فتضطّر
إلى توزيع غزلها على قريباتها ليغزلته..

والشاهد قوله «كوكب الخرقاء»، حيث جاء بالمسند إليه «كوكب» مضافاً
إلى «الخرقاء» فجعله كوكباً لها؛ تعبيراً عن تكاسلها وإهمالها وأنه لاينبهاها
على عملها (غزل الصوف) إلا ظهور هذا الكوكب «سهيل»؛ فكانه لم يُخلق
إلا لها.

7- التعبير عن السخرية، كقوله سبحانه حكاية لقول فرعون لأتباع
موسى عليه السلام: «إن رسواكم الذي أرسل إليكم لمجنون». جاء بالمسند

إليه «رسولكم» مضافاً إلى ضمير المخاطبين؛ إظهاراً للسخرية.

تنكير المسند إليه:

يؤتى بالمسند منكرًا لتحقيق أغراض بلاغية أهمها:

الدلالة على فرد غير معين مما يصدق عليه اسم الجنس، كقوله سبحانه: «وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى»، أي: فردٌ من أشخاص الرجال، وقد جيء بالمسند إليه «رجل» منكرًا للدلالة على فرد غير معين من أفاد جنس الرجال. ومنه في الشعر قول الشاعر:

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسقبةٍ يقول : لا غائبٌ مالي، ولا حرمٌ

2- الدلالة على نوع من المسند إليه مخالفٍ للأنواع المعهودة، كقوله سبحانه:

«وعلى أبصارِهِمْ غشاوةٌ»، جيء بالمسند إليه «غشاوةٌ» منكرًا؛ للدلالة على نوع خاصٍّ من الغشاوة غير ما يتعارفه الناس، وهو غشاوة التعمي عن آيات الله سبحانه. ويرى السكاكي أن التَّنْكِيرَ في «غشاوة» للتعظيم، أي: غشاوةٌ عظيمة تحجب أبصارهم بالكلية وتحول بينها وبين الإدراك.

ومنه في الشعر قول الشاعر:

لكلِّ داءٍ يُستطبُّ بهِ إلَّا الحماقةُ أُعيتُ من يداويها

حيث جاء بالمسند إليه «دواء» منكرًا؛ للدلالة به على نوع خاصٍّ متميِّز من أنواع الأدوية؛ أي دواء خاصٍّ بذلك الداء.

وقول ميسون بنت بحدل:

لبيتُ تعصفُ الأنواءُ فيهِ أحبُّ إليَّ من قصرٍ مفنِيفِ

3- تعظيم المسند إليه، بمعنى أنه أعظم من أن يُعرف ويعين، كقوله سبحانه:

«ولكُم في القصاصِ حياة»، حيث جيء بالمسند إليه «حياة» منكرًا للدلالة على التعظيم؛ إذ المعنى: حياة عظيمة؛ لأن القصاص يحد من القتل العمد، ويمنع من قتل الجماعة بواحد.

ومنه في الشعر قول الشاعر:

لَهُ هِمَمٌ لَامَنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ
أى: هم عظيمة الشأن

وكذا قول حسان:

لَنَا حَاضِرٌ قَعَمَ وَيَادٍ كَأَنَّهُ شَمَارِيخُ رَضْوَى عِزَّةً وَتَكْرَمًا

4- تحقير المسند إليه، بمعنى أنه ضئيل الشأن لا يمكن أن يُعرف، كقول حسان:

لَقَدْ خَابَ قَوْمٌ غَابَ عَنْهُمْ نَبِيُّهُمْ وَقَدْ مَنَّ مَنْ يَسْرِي إِلَيْهِمْ وَيَغْتَدِي
جاء بالمسند إليه «قوم» منكرًا؛ للدلالة على تحقيره، وبيان أن هؤلاء القوم - وهم قريش - لا وزن لهم ولا قيمة؛ مادام النبي عليه الصلاة والسلام قد هجرهم وانصرف عنهم إلى سواهم.

ويقول البلاغيون إن التعظيم والتحقير اجتمعا في قول ابن أبي السَّمط:

لَهُ حَاجِبٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ وَلَيْسَ لَهُ عَنِ طَالِبِ الْعَرَفِ حَاجِبٌ
يقول: له حاجب عظيم يصرفه عن كل أمر شائن، وليس بينه وبين

طالب نداه حاجب حقير، فكيف إذا كان عظيماً؛ أي لا يفصله عن طلاب الحاجات أي حاجب. فقد جاء بالمسند إليه في صدر البيت وعجزه منكرًا؛ للدلالة على تعظيمه في الأول وتحقيره في الثاني. ومثل هذا قول الشاعر نفسه:

وَاللَّهِ مِنِّي جَانِبٌ لِأَضْيَعُهُ وَاللَّهُومِنِّي وَالخَلَاعَةُ جَانِبٌ

5- تكثير المسند إليه، بمعنى أنه كثير حتى إنه لا يحتاج إلي تعريف، كقوله سبحانه:

«وَأَن يَكْذِبُونَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ»، أي رسلٌ كثيرون. جيء بالمسند إليه «رَسُولٌ» منكرًا؛ للدلالة على كثرتة. ومنه قولهم: «إِنَّ لَهُ لِإِبِلًا وَإِنَّ لَهُ لِعَمَنًا»، أي إن له ما لا يحصى من الإبل وما لا يحصى من الغنم، حين يقال ذلك في مقام المدح والتثناء.

6- تقليل المسند إليه، بمعنى أنه قليل لا يكاد يُعرف ويُعِين، كقوله سبحانه: «وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»، أي: وشيء قليل من رضوان الله أكبر مما ذكر قبل من الجنة ونعيمها؛ لأن رضى المولى يفوق كل أنواع النعيم؛ إذا المحب الحقيقي من ترك هواه لهوى محبوبه. وكقوله سبحانه في قصة يحيى عليه السلام: «سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ». يذهب البلاغيون إلى أن التَّنْكِير راجعُ إلى أَنَّ السَّلَامَ وَارِدٌ مِنْ جِهَةِ اللَّهِ تَعَالَى، أي: سلامٌ من جهة الله سبحانه مغنٍ عن كل تحية؛ ولهذا لم يرد السَّلَامُ من جهة الله سبحانه إلا منكرًا كقوله سبحانه: «سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ»، و«سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ».

والفرق بين التَّعْظِيمِ والتَّكْثِيرِ، وكذا بين التَّحْقِيرِ والتَّقْلِيلِ، مرجعه اتِّصَالُ التَّعْظِيمِ والتَّحْقِيرِ بالحال والشَّانِ، كَعَلَوِ الرِّتْبَةِ وَسَمَوِ الْقَدْرِ؛ وَاتِّصَالُ

التكثير والتقليل بالكميات والمقادير كالمعدودات والمكيلات والموزونات.

7- منع المقام من التعريف، كقول الشاعر:

إذا سئمت مهنّدهُ يمينَ لطلولِ العهدِ بدّلهُ شمالاً

جاء بالمسند إليه «يمين» منكرأً، ولم يعرف بقوله «يمينه» رغم إمكانية التعريف؛ لأنّ إضافتها إليه بأن يقال «يمينه» تتضمّن نسبة الكلل والسامة إلي يمين المدوح، وهذا مخالفٌ لمقتضى حال المدح.

8- إخفاؤه عن المخاطب خوفاً عليه، كقولك: « قال لي شخصٌ إنك لم تُصلِّ الجمعة الماضية». حيث جاء المسند إليه «شخصٌ» منكرأً؛ بقصد إخفائه عن المخاطب خوفاً عليه.

تقييد المسند إليه:

الإطلاق والتقييد وصفان للحكم. ويعني الإطلاق أن يُقترَ في الجملة على المسند إليه والمسند حيث لا يكون ثمة داعٍ إلى قصر الحكم ضمن نطاق معين. والتقييد أن يزداد على المسند إليه شيء يتعلّق بهما، أو بأحدهما، لو أهمل لذهبت الفائدة المقصودة، أو كان الحكم كاذباً. ويكون التقييد لتمام الفائدة؛ كما هو معروف في البلاغة من أنّ الحكم كلّما زاد تقييداً زاد خصوصية وكلما زاد خصوصية زاد فائدة. ويحصل التقييد بالتوابع، وضمير الفصل، والنواسخ، وأدوات الشرط، والنفي، والمفاعيل الخمسة، والحال، والتمييز وإلية تفصيل في تقييد المسند إليه بأحد التوابع:

1- أيراد المسند إليه متبوعاً بوصفك

يؤتى بالمسند إليه متبوعاً بوصف، لتحقيق أغراض بلاغية أهمّها:

أ- الكشف عن حقيقته وتوضيح معناه، كقولك: «الجسم الطويل موصوفاً بـ «الطول و«العرض» و«العمق؛ للكشف عن حقيقته وإيضاحه؛ فإنّ هذه الأوصاف ممّا يوضح الجسم ويقع تعريفاً له. وكقولك: « المؤمن المصلّي المزكي المتقي على هدىً من ربه».

ب- تخصيص الوصف للمسند إليه، أي تقليل الاشتراك الحاصل فيه إذا كان نكرة، ورفع الاحتمال الحاصل فيه إذا كان معرفة.

فالأول كقوله سبحانه: « ولعبد مؤمنٌ خيرٌ من مشركٍ ». جيء بالمسند إليه «عبدٌ» موصوفاً بـ «مومن»؛ لقصد تخصيصه، أي تقليل الاشتراك فيه؛ إذ يخرج بهذا التخصيص العبيد الذين لا يشتركون في هذه الصفة. ومنه قول المصطفى عليه الصلاة والسلام: « لأمّة سوادٌ ولودٌ خيرٌ من بيضاءٍ لاتدُّ ». ومنه أيضاً: « قليلٌ دائمٌ خيرٌ من كثيرٍ منقطع ».

والثاني كقولك: «زيدٌ التاجرٌ عندنا». وصفه بـ «التاجر» يرفع احتمال غير التاجر.

ج- مدح المسند إليه أو ذمّه عندنا يتعيّن الموصوف قبل ذكر الوصف، كقولك:

«زارنا أحمدُ العالمُ وغادرنا سعيدُ الجاهلُ». جنّت بالمسند إليه موصوفاً في الموضعين؛ قصداً إلى المدح والثناء في الأول بوصفه بالعلم، والذمّ.

ومن مدح المسند إليه في الشعر قول حسان:

جزى الله ربّ الناس خيراً جزائه رقيقينِ قالا خيمتي أمّ معبدٍ
وقول حسان أيضاً يرثي حمزة بن عبد المطلب حين قدمت بنته أمّامة

تسأل عن أبيها:

فإن أباك الخير حمزة فاعلمي وزير رسول الله خير وزير
ومن ذم المسند إليه قول سبحانه: «وأمرأته حمالة الحطب في جيدها
حبل من مسد».

5- تأكيد المسند إليه وتقريره حين يتضمّن معنى ذلك الوصف الذي وصف
به، كقولهم: «أمس الدابر كان يوماً عظيماً، جاء المسند إليه موصوفاً؛
قصداً إلى توكيده وتقريره؛ لأن «أمس» يتضمّن معنى الدبور (أي
المضي)، مكانك قلت: أمس أمس».

هـ- الترحم على المسند إليه، كقولك: قدم زيد المسكين، وأخوك
المحتاج يسالك المساعدة.

و- بيان المقصود من المسند إليه، كقوله سبحانه: «وما من دابة في
الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم». وُصف المسند إليه الأول
«دابة» بما يخصّ الجنس وهو في «الأرض»، ووصف الثاني بما يخصّ
الجنس أيضاً وهو «يطير بجناحيه» لبيان المقصود فيهما؛ إذ أفاد
الوصف كلّ جنس الدوابّ وكلّ جنس الطيور. يقول الزمخشري وكان قيل:
وما من دابة قط في جميع الأرضين، وما من طائر في جو السماء من كلّ
ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم، تراعى شؤونها ولا يهمل أمرها».

2- إيراد المسند إليه مؤكداً:

يؤتى بالمسند إليه مؤكداً؛ لتحقيق أغراض بلاغية أهمها:

أ- تقريره وتحقيق مفهومه عند الإحساس بغفلة السامع، كقولك: جاء
الأمير الأمير». جئت بالمسند إليه «الأمير مؤكداً بتكرار لفظه «الأمير»؛

لغرض جعله مستقراً محققاً ثابتاً، لا يُظنُّ به غيره. تفعل ذلك عندما تأنس غفلة السامع أو ضعف انتباهه لما تريد أن تقول.

ب- التقرير ودفع توهم التكلُّم بالمجان، كقولك: «قبضَ على اللصِّ الأميرُ الأميرُ»، و«الأميرُ نفسهُ أو عينه» تجيءُ بالمسندِ إليه «الأمير» مؤكداً بتكرار لفظ «الأمير» و«نفسه أو عينه»: للتقرير ودفع توهم السامع أن الذي قبض على اللصِّ أحدُ رجال الأمير بزميرٍ منه، وكليلاً يقع في رُوعه أن المتكلم أسند القبضَ إلى الأميرِ مجازاً من إسناد الفعل إلى سببه.

ج- دفع توهم السهْو، كقولك: «جاغني أحمدُ أحمدُ» يجيءُ بالمسندِ إليه «أحمد» مؤكداً بـ «أحمد»: لدفع توهم المخاطب أن الجائي غير أحمد، وأنك ذكرتَ أحمد على سبيل السهْو.

د- دفع توهم عدم الشمول، كقوله سبحانه: «فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ». جيءُ بالمسندِ إليه «الملائكة» مؤكداً بكُلُّهم» و«أجمعون»: لئلاَّ يتوهم المخاطب أن الذي سجد بعض منهم. ومثله قوله سبحانه: «فَكَبَّكِبُوا فِيهَا هُمُ وَالْغَائُونَ وَجُنُودُ إبْلِيسَ أَجْمَعُونَ».

هـ - إدارة انتقاش معناه في ذهن السامع، كقوله سبحانه: «اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ». جيءُ بالمسندِ إليه (الضمير المستتر فاعل اسكن) مؤكداً بـ «أنت»؛ قصداً إلى تثبيت معناه في ذهن السامع.

3- إيراد المسندِ إليه مبدلاً منه:

يؤتى بالمسندِ إليه مبدلاً منه لتحقيق غاية بلاغية هي:

زيادة التقرير، أي إفادة أمرٍ زائدٍ على النسبة هو تقريرُ المسندِ إليه في ذهن السامع. مثال ذلك أن تقولك «زارني أخوك محمدٌ». والغرض من البديل.

أساساً هو أن يكون مقصوداً بالنسبة، كنسبة الزيارة إلى «محمد» في مثالنا هذا. والتقرير زيادةً تحصل تبعاً وضمناً؛ حيث تتضمنه صيغة البذل.

واليك الأمثلة الموضحة لذلك:

- تقول في بدل المطابق (بدل الكل): «جاغني أخوك زيد». جئت بالمسند إليه «أخوك» مبدلاً منه لـ «زيد»؛ قصداً إل إسناد الحكم «المجيء» إلى البذل «زيد». وقد تضمن ذلك تقرير المسند إليه «أخوك»؛ لأنك كررت من حيث معناه، فمعني «أخوك» هو معني «زيد»، ومتي تكرّر فقد تقرّر أي ثبت. ومن ذلك قوله سبحانه: «إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون»، وقوله سبحانه «إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون».

- وتقول في بدل «البعض»: «جاغني القوم أكثرهم». جئت بالمسند إليه «القوم» مبدلاً منه للبدل «أكثرهم»، والأول «القوم» متضمن للثاني «أكثرهم»؛ أي إنك ذكرت في الثاني ما تضمنه الأول بدلالته الكلية، ومن التكرير حصل التقرير.

- وتقول في بدل الاشتمال «سلب زيد ثوبه». جئت بالمسند إليه «زيد» مبدلاً منه للبدل «ثوبه». والمبدل منه «زيد» يشعر إشعاراً إجمالياً بالبدل «ثوبه»، فالنفس قبل ذكره تترقب شيئاً يستدعيه المبدل منه، حتى إذا ذكر كان «متكرراً»، والتكرير يوجب التقرير.

4- إيراد المسند إليه متبوعاً بعطف بيان:

يؤتى بالمسند إليه متبوعاً بعطف بيان لأغراض بلاغية يدل عليها، ومن ذلك:

أ- مجرد إيضاح المتبوع باسم مختص به، كقول الشاعر

ولدَ الفتى العذرى عروة بعدما دارت بوالده رحي الحدّانِ

جاء بالمسند إليه «الفتى» متبوعاً بعطف بيان «عروة»؛ ابتغاء إيضاحه باسم مختص به، ومثله قولك: «حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى». ويكفي في الإيضاح أن يوضح الثاني الأول عند اجتماعهما، وإن لم يكن أوضح منه عند الانفراء، نحو علي زين العابدين، وعسجدُ ذهب.

ب- الإيضاح والمدح، كقولك: جاء علي زين العابدين». جئت بالمسند إليه «علي» متبوعاً بعطف بيان «زين العابدين»؛ قصداً إلى إيضاحه الثناء عليه، وجعلوا منه في غير المسند إليه قوله سبحانه: «جعل الله الكعبة لبيت الحرام قياماً للناس». ذكر الزمخشري أن البيت الحرام عطف بيان للكعبة جيء به للمدح لا للإيضاح، كما تجيء الصفة لذلك.

5- إيراد المسند إليه متبوعاً بعطف نسق

يؤتى بالمسند إليه متبوعاً بعطف نسق لأغراض بلاغية يدل عليها، ومنها:

أ- تفصيل بالمسند إليه مع اختصار التركيب حين يكون العطف بالواو، كقولك: «زارني محمدٌ وعليه». ويتمثل التفصيل في ذكر المعطوف عليه والمعطوف كل باسمه الخاص، كما أن هذا التركيب أخصر من قولك: «زارني محمدٌ» و«زارني عليه»، ولا يستدل منه على تفصيل المسند الفصل بأن الزيارتين حصلتا معاً أو مرتبتين؛ لأن الواو لمطلق الجمع، على أن الجمع الذي تحققه الواو واحد من ثلاثة.

1- جمع في ذات واحدة، كقولك: «قام عليه وقعد» حيث جمعت الواو صفتي

القيام والقعود في ذاتٍ واحدة هي ذات «عليّ»

2- جمع في صفة واحدة، كقولك: «قام عليّ وزيدٌ»، حيث جمعت الواو ذات عليّ وذات زيد في صفة واحدة هي القيام.

3- جمع في الوجود، كقولك: «قام عليّ وقعد زيدٌ»، حيث جمعت الواو بين قيام «عليّ» وقعود «زيد» في الوجود، ويكون ذلك في عطف الجمل

ب- تفصيل المسند مع الاختصار إذا كان العطف بالفاء أو ثمّ أو حتى:

- فالأول كقولك: زارني محمدٌ فعليّ، جذتَ بالمسند إليه «محمد» معطوفاً عليه؛ بقصد تفصيل المسند «زار»؛ أي بيان أن الزيارة وقعت من «محمد» أولاً ثمّ من «عليّ» ثانياً من غير هلة.

- والثاني كقولك: «زارني محمدٌ ثمّ عليّ»، جنّتَ بالمسند إليه معطوفاً عليه، لقصد تفصيل المسند «زار»؛ أي بيان أن الزيارة وقعت من «محمد».

- والثالث كقولك: «رسبَ الطلابُ حتى المجتهدون»، وقولك: «نجحَ الطلابُ حتى الكسالى»، حيث جنّتَ بالمسند إليه «الطلاب» في المثالين معطوفاً عليه بحيثى؛ لقصد تفصيل المسند «رسبَ» و«نجحَ»؛ أي بيان أنّ الرسوب حصل من الطلاب بدءاً من الضعاف إلى أن حصل من المجتهدين (المثال الأول)، وأنّ النّجاح بدءاً من الضعاف إلى أن حصل من المجتهدين إلى أن حصل من الكسالى (المثال الثاني).

ج- ردّ السامع إلى الصواب مع الاختصار، وذلك نبي:

- العطف بـ «لا» كقولك: جاء زيدٌ لاعمرو، جنّتَ بالمسند إليه معطوفاً

عليه؛ لقصد ردّ السّامع إلى الحكم الصّائب، إذا كان قد فهم أنّ الجائي
«عمرو» لا «زيد».

– العطف بـ «لكن»، كقولك: «ما جاعني زيدُ لكن عمرو»، تقول ردّاً على
من زعم أنّ الجائي زيد لا عمرو.

صرف الحكم عن محكومٍ عليه إلى محكومٍ عليه آخر، في العطف بـ
«بل»، كقولك في الإثبات: «جاعني زيدُ بل عمرو». جئتُ بالمسند إليه «زيد»
معطوفاً عليه بـ «بل»؛ لقصد نقل الحكم «المجيء» من المحكوم عليه الأول
«زيد» إلى المحكوم عليه الثاني «عمرو». والمعنى عندئذ: ثبوتُ المجيء لعمرو.
وكقولك في النفي: «ما جاعني زيدُ بل عمرو».

هـ– الشكُّ: من المتكلم أو التشكيك للسّامع أو إبهام الحكم عليه في
العطف بـ «أو»:

– الأول والثاني كقولك: قابلني عبّاسٌ أو عليّ». جئتُ بالمسند إليه
«عبّاس» معطوفاً عليه بـ «أو» إمّا لوقوع الشكِّ من المتكلم فلا يدري من قابله
حقيقةً:

عبّاسٌ أو عليّ، وإمّا لقصد تشكيك السامع

– والثالث كقوله سبحانه: «وإنّا أو إياكم لعلی هدی أو فی ضلال
مبين».

جاء بالمسند إليه «اسم إن» معطوفاً عليه بـ «أو»؛ ابتغاء إبهام الحكم
على المخاطبين، والمعنى: نحنُ فريقان: مهتد وضالٌّ، فإمّا أن يكون
المهتدون إيانا والضالّون إياكم، وإمّا العكس. كلٌّ ذلك تجنباً للإيضاح
والتصريح برميهم بالضلال المبين الذي ينشأ عنه ازدياد لحاجبهم وإثارة

غضبهم واشتداد عنادهم ومكابرتهم في الوقت الذي تُنشد هوايتهم. قال الزمخشري في تفسيره هذه الآية: «وهذا من الكلام المنصف الذي كلُّ مَنْ سمعه من موالٍ أو مُشاقِّ قال لمن خوطب به: قد أنصفتك صاحبك. وفي درجته بعد تقدمة ماقدّم من التقرير البليغ دلالةً غير خفيةً على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين. ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلّة شغب الخصم وقلّ شوكته».

و- التخيير والإباحة، والفرق بينهما أنّ الإباحة لاتمنع من الجمع بين التابع والمتبوع، أمّا في التخيير فإنّ الحكم لأحدهما لامحالة. كقولك: «ليقرأ الدرسَ محمدٌ أو عليٌّ»، تجيء بالمسند إليه «محمد» معطوفاً عليه بـ «أو» لقصد التخيير إن كنت تقصد قصر القراءة على أحدهما، أو لقصد الإباحة إن كنت تقصد تحقق القراءة من أحدهما أو منهما معاً.

6- إيراد المسند إليه معقّباً بضمير فصل:

يؤتى بالمسند إليه متبوعاً بضمير فصل للأغراض التي يدلّ عليها، ومنها:

أ- تخصيص المسند إليه بالمسند، أي قصر المسند على المسند إليه، كقوله سبحانه:

«ألم يعلموا أنّ الله هو يقبلُ التوبةَ عن عباده»، جيء بالمسند إليه «الله سبحانه» متبوعاً بضمير الفصل «هو»؛ لقصد تخصيصه - جلّ وعلا - بقبول التوبيع عن عباده. إذ المعنى: لا يقبلُ التوبةَ عن العباد إلاّ الله. وكقوله التوبة عن عباده. إذ المعنى: لا يقبلُ عن العباد إلاّ الله. وكقوله سبحانه: «إنّه هو يبدئُ ويعيدُ».

ب- تأكيد التخصيص عند تضمّن التركيب مخصّصاً آخر، كقوله سبحانه: « إنَّ الله هو الرزاقُ ذو القوَّةِ المتينِ». يتضمّن التركيب هنا مخصّصاً آخر هو تعريف المسند إليه والمسند، ومن ثمّ جاء المسند إليه متبوعاً بالضمير؛ ليؤكد هذا التخصيص الموجد من قبل.

ومنه شعراً قول المتبني:

إذا كان الشبابُ السُّكْرُ والشَّيْبُ يبُهما فالحيأةُ هي الحِمَامُ

ج- تمييز الخبر عن الصفة، كقولك: «العالمُ هو العاملُ بعلمِهِ». جئتُ بالمسند إليه «العالم» متبوعاً بضمير الفصل «هو»؛ للدلالة بهذا الضمير أنّ «العامل» وصفٌ للعالم وأنّ الخبر سيأتي بعد. وكقولك: «الألمعيُّ هو ذو البصيرة النافذة».

تقديم المسند إليه:

الصورة التي يتخذها تتابعُ أجزاء الكلام هي صورة ترتّب المعاني في الذهن، فما الألفاظ إلا قوالب المعاني وصورها الصوتية التي تمكن من الاحتفاظ بها وتوصيلها إلى الآخرين. وعليك أن تعلم أنّ مرتبة المسند إليه «التقديم»؛ لأنّ مدلوله هو الذي يخطر في الذهن أولاً؛ لأنّه المحكوم عليه، والمحكوم عليه سابق للحكم. ويؤتى بالمسند إليه مقدّماً لأغراضٍ منها:

أ- أنّ تقديمه هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه. أمّا كون الأصل فيه التقديم فمرجه إلى أنّ مدلوله هو الذات المحكوم عليها والمسند هو الوصف المحكوم به، أي إنّّه مطلوبٌ للمسند إليه. وهكذا فإنّ تعقّد (إدراك) الذات المحكوم عليها سابقٌ على تعقّل الوصف المحكوم به، كقولك: «محمدٌ رسولُ الله». جئتُ بالمسند إليه «محمد» مقدّماً؛ لأنّ تقديمه هو الأصل، ذلك أنّه هو

المحكوم عليه بالرسالة وينبغي تقديم ذكره. وكقولهم في الأمثال: «الحق أبلجُ
والباطلُ أجلبحُ».

ومنه قول علي بن الجهم:

الله أكبرُ، والنبِيُّ مُحَمَّدٌ والحقُّ أبلجُ، والخليفةُ جعفرُ

ب- تمكّن الخبر في ذهن السامع لأن في المبتدأ تشويقاً إليه، كقول
المعري:

والذي حارت البرية فيه حيوانٌ مستحدثٌ من جمادٍ

المعنى كما يقول بعض العلماء: تحيرت الخلائق في المعاد الجسماني
والنشور الذي ليس بنفساني. وقد جاء بالمسند إليه المبتدأ «الذي» مقدماً؛
ليمكن الخبر «حيوان مستحدث من جماد» في ذهن السامع. ومبعث التمكين
أن صلة المبتدأ «حارت البرية فيه» تثير في النفس الدهشة والتسؤل عن
هذا الذي حير البرية كلها، وتأذن- بسبب طولها- بمزيد ترقب وانتظار من
جانب المتلقي للخبر الذي سيلقى عليه، حتى إذا جاء بعد هذا التشويق
ركز في ذهنه كانه شيء مقطوع به، ولا حاجة فيه.

ومن ذلك أيضاً قول الشاعر:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمسُ الضحى، وأبو إسحاق، والقمرُ

ج- تعجيل المسرة للتناول، أو المساءة للتطير:

- الأول تقولك: «العقوُ عنك صدر به الأمر»، و«سعدٌ في دارك»، و«فرحُ
سينورك».

- والثاني كقولك: «القصاصُ أمر محتومٌ في هذه القضية»، و«السفاحُ
أت في نهاية الشهر»، و«حربٌ في الطريق إليك».

تقدّم المسند إليه في هذه الأمثلة جميعاً؛ ليحدث ذلك في نفس المتلقي انطباعاً يناسب طبيعة الاسم الذي يفتتح به الكلام.

التعجيل بإظهار تعظيمه أو تحقيره حين يوحى اللفظ بالتعظيم أو التحقير. ويوحى اللفظ بذلك:

- إِمَّا بذاته، كقولك: «أبو الخير زارنا» و«أبوالموت غادرنا».
- وإِما بإضافة، كقولك: «حفيدُ الملكِ عندنا»، و«ابنُ الجَلادِ مرُّ بنا».
- وإِما بوصفٍ، كقولك: «رجلٌ كريمٌ كريمُ المحتدِ زارنا» و«تلميذٌ بليدٌ نُقل إلينا».

تقدّم المسند إليه في هذه الأمثلة جميعاً؛ للتعجيل بإظهار تعظيمه أو تحقيره؛ لأنّ اللفظ يوحى بالتعظيم أو التحقير .

(هـ) تعجيل التلذذ بذكره، كقول جميل :

بُكَيْتُهُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تَبَصَّرْتُ مُعَابٌ ، وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبْتُ أَشْبَبُ

وقول قيس :

بِأَلِّهِ يَا ظَبِيَّاتِ الْقَاعِ قُلْنَ لَنَا : لَيْلِي مَنْكُنْ ، أَمْ لَيْلِي مِنَ الْبَشَرِ

(و) تعجيل التبرُّك به، كقولك : «اللَّهُ غَايَتُنَا» و«محمَّدٌ نَبِيُّنَا» ، و«مَكَّةُ الْمَكْرَمَةِ عاصمةُ ديارِ الإسلام».

(ز) إفادة تخصيص المسند إليه بالخبر الفعليّ، أو قصر الخبر عليه إن ولي المسندُ إليه حرفَ نفي، كقولك : «ما أنا قلتُ هذا» - بمعنى: لم أقلّه، مع أنّه مقولٌ لغيري. أفاد تقديم المسند إليه «أنا» نفيَ الفعل عن المتكلم، وأفاد أيضاً ثبوت هذا الفعل لغير المتكلم. ومنه في الذكر

الحكيم قوله سبحانه : «وما الله يريد ظلماً للعباد». ومنه في الشعر
قول المتنبي :

وما أنا أسقمتُ جسمي بهِ ولا أنا أضمرتُ في القلب نارا
وتنبهك هنا على أن بعض الصيغ الخاطئة لتكون في نجوة منها :

1 - لا يصح أن تقول : «ما أنا قلتُ هذا ولا غيري»؛ إذ يفهم من
«ما أنا قلتُ» ثبوتُ كون هذا القول صادراً عن إنسان غير المتكلم.
ويعني قولك : «ولا غيري» نفي كونه صادراً عن أحد البتة؛ وفي
هذا تناقض؛ لأنّ المقول لابد له من قائل .

2 - لا يصح أيضاً أن تقول : «ما أنا رأيتُ أحداً»؛ لأن هذا القول
يقضي أن يكون إنسانٌ غيرك قد رأى كلَّ أحدٍ من الناس، إذ أنّه
نفي عنك الرؤية على وجه العموم في المفعول، فيجب أن تثبت
لغيرك على وجه العموم في المفعول، حتى يتحقق تخصيصك بهذا
النفي، أي قصر عدم الرؤية عليك .

3 - لا يصح أيضاً أن تقول : «ما أنا ضربتُ إلا زيدا»؛ لأنّه يقتضي
أن يكون إنسانٌ غيرك قد ضرب كلَّ أحدٍ سوى زيد؛ لأنّ المستثنى
منه مقدّر عام، وكلّ مانقيته عن المذكور على وجه الحصر يجب أن
تثبته لغيره .

(ح) إفادة تخصيص المسند إليه بالخبر الفعلي أو تقوية الحكم، إن لم يرل
المسندُ إليه حرفَ النفي . والتركيبُ المفيد لذلك يتخذ صورتين :

1 - ألا يكون في الكلام حرف نفي أصلاً، كقولك : «محمدٌ سعى في
حاجتك»، و«أنا كتبتُ في شأنك»، و«رجلٌ عنى بمسألتك».

والصورتان قد تأتيان للتخصيص وقد تأتيان لتقوية الحكم حسبما يقتضي المقام، وإليك بيان ذلك .

(أ) يكون تقديم المستند إليه للتخصيص رداً على من زعم انفراد غير المسند إليه المذكور بالخبر الفعلي أو زعم مشاركة غيره في الخبر الفعلي، كقولك : «أنا سعتُ في حاجتك»، تقول هذا لمن زعم انفراد غيرك بالسعي (فيكون قصر قلب) أو مشاركة غيرك لك في السعي (فيكون قصر أفراد). وفي مقدورك تأكيد الأول (الرد على زاعم انفراد غيرك) بتعبير إضافي من نوع «لا غيري»، فتقول مثلاً : «أنا سعتُ في حاجتك لا زيد و«لا عمرو» و«لا من سواي». وتأكيد الثاني والرد على مزاعم المشاركة) بتعبير من نوع «وحددي»، فتقول مثلاً : «أنا سعتُ في حاجتك منفرداً أو «متوحداً» أو «غيرَ مشارِك» ... ويرمي التأكيد إلى إزالة شبهة خالجت قلب السامع .

(ب) تقوي الحكم وتقريره في ذهن السامع، دون قصد التخصيص، كقولك : «هو يعطي الجزيل»، تريد أن تجعل السامع يستيقن أن إعطاء الجزيل دأبه وأنه قد تمكّن من نفسه. ومنه في الذكر الحكيم قوله سبحانه : «واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلَقون»، وقوله سبحانه : «وإذا جاؤكم قالوا آمناً وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به» .

هذا حين يكون الفعل مثبتاً (الصورة الأولى)، ولا يختلف الأمر حين يكون الفعل منفيّاً (الصورة الثانية)، فقد يأتي تقديم المسند إليه للتخصيص، كقولك : «أنت ماسعتُ في حاجتي»، تقصد تخصيصه

بعدم السعي، أو للتقوى، كقولك : «أنت لا تكذب» تقصد تقوية الحكم المنفي «عدم الكذب» وتقريره .

ونسوق لك هنا مايقوله عبد القاهر الجرجاني عن سبب «تقوي الحكم» فيما نحن بشأته : «إنَّ الاسمَ لا يؤتى به معرّى من العوامل إلاّ لحديثٍ قد نُويَّ إسنادُه إليه، فإذا قلتَ : عبدُ اللهِ، فقد أشعرتَ قلبَ السّامعِ بذلك بأنك تريد الحديثَ عنه؛ فهذه توطئةٌ له وتقدمةٌ للإعلامِ به، فإذا جئتَ بالحديثِ فقلتَ : قام، مثلاً، دخل على القلبِ دخولَ المأنوسِ به، وذلك لا محالة أشدُّ لثبوتِه وأنقى للشبهةِ وأمنع للشكِّ. وجملة الأمر أنه ليس إعلامُك بالشئِ بغتةً مثلَ الإعلامِ به بعد التنبيهِ عليه لأنَّ ذلك يجري مجرى تكريرِ الإعلامِ في التأكيدِ والإحكامِ.»

تقديم لفظ (مثل، ولفظ (غير) :

يقول البلاغيون إنَّ من المسند إليه الذي يكون تقديمه كاللازم لفظ «مثل» ولفظ «غير» حين يُستعملان على سبيل الكناية ، كقولك :

«متلك لا يبخل» بمعنى أنت لا تبخل .

«غيرك لا يوجد» بمعنى أنت تجود .

أنت في المثالين لا تقصد التعريض بغير المخاطب، بل تريد نفي البخل عن مخاطبك بطريق الكناية؛ أي بأن تنفي البخل عن كلِّ من كان على صفته، وبذلك تنفيه عنه (المثال الأول)، أو أن تنفي الجود عن غيره فتنبته له؛ لأنَّ الجود صفة لا بدَّ لها من متصف بها حامل لها ولأنَّ الغرض من هذين التركيبين إثبات الحكم بطريق الكناية التي هي

أبلغ من التصريح، ولأن التقديم نفسه يفيد تقوية الحكم، كان التقديم مع هذين التركيبين كاللازم، لكي تتوافق دلالات الخصوصيات .

ومنه في الشعر قول المتنبي يعزّي سيف الدولة :

مِتْكَ يِثْنِي الْمَزْنَ عَنْ صَوْبِهِ وَيَسْتَرِدُّ الدَّمْعَ مِنْ غَرْبِهِ

وقول أبي تمام :

وغيري يأكل المعروف سُحْتاً وتشحبُ عندهُ بيضُ الأيادي

(ط) إفادة شمول النفي كل أفراد المسند إليه حين يكون من أدوات العموم، وذلك - كما يرى الشيخ عبد القاهر - عندما لا تقع أداة العموم في حيز النفي بأن تتقدم على أداة النفي لفظاً ورتبةً، كقواك : «كلُّ إنسانٍ لم يقم»، إذ لم تقع أداة العموم «كلُّ» في حيز النفي بل تقدّمت عليه لفظاً، كما هو واضح، ورتبةً؛ لأنها مبتدأ والجملة المنفية بعدها خبرها. ومن ثم يفيد التقديم شمول النفي أو عموم السكب؛ فالقيام منفيّ عن كلّ الناس دون استثناء. وفي هذا يقول فيلسوف البلاغة العربية الأول عبد القاهر : «والعلّة في أن كان ذلك كذلك أنك إذا بدأت بكلّ كنت قد بنيت النفي عليه وسلّمت الكلّة على النفي وأعملتها فيه؛ وإعمال معنى الكلية في النفي يقتضي أن لا يشدّ شيء عن النفي». ومن هذا القبيل «شمول النفي كلّ أفراد المسند إليه حين يكون من أدوات العموم» قول أبي النجم العجلي :

قد أصبحت أمّ الخيارِ تدّعي عليّ ذنباً كلُّهُ لم أصنم

وقول دِعْبِلِ بْنِ عَلِيٍّ الخُزَاعِي :

فوالله ما أدري بأيّ سهامها رَمْتَنِي وكلُّ عندنا ليس بالمكدي

أبا لجيدٍ أم مجرى الوشاحِ وإنني لأتهمُ عينيها مع الفاحمِ الجعدِ
وقول الآخر :

فكيفَ وكلُّ ليسَ يعدو حمائمهُ ولا لامريءٍ عمّا قضى اللهُ مزحَلُ
أما إذا وقعت أداة العموم في حيز النفي (إذا وقعت بعده لفظاً ورتبةً
أو رتبةً فحسب) فإن التركيب يفيد نفي الشمول أو سلب العموم؛
ويعني هذا ثبوت الحكم لبعض الأفراد دون بعض. ومنه قول البحثري

وماكلُ ما بلَغْتُمُ صدقُ قائلٍ وفي البعضِ إزراءٌ عليّ وعابُ

وقول البحثري أيضاً يمدح يعقوب بن أحمد في قصيدة له فيه :

وأعلمُ ماكلُ الرِّجالِ مشيخٌ وماكلُ أسيافِ الرِّجالِ حُسامُ

(ي) الدلالة على أن المطلوب هو اتصاف المسند إليه بالخبر لا الخبر نفسه،
كقوله : «المقاتلُ ألقى السِّلَاحَ وانصرف إلى التجارة»، وذلك لمن قال
لك : كيف المقاتل ؟. وقد قدّمت المسند إليه «المقاتل»؛ لتدلّ على أن
المهمّ في الأمر هو تصافه بإلقاء السلاح والانشغال بالتجارة مما لا
يتوقع أن يحصل منه. ويخيل إلينا أن منه قول المتنبي :

يا أعدلَ الناسِ إلّا في معاملتي فيك الخصامُ وأنتَ الخصمُ والحكمُ

قدّم المسند إليه «أنت»؛ لإفادة أن المطلوب هو اتصافه بالخصومة
والحكومة معاً مما لا يُتوقع أن يحصل؛ إذ كيف يكون الإنسان
خصماً وحكماً في آنٍ واحد، ولا يراد الإخبار بهذين الأمرين .

(ك) إفادة زيادة تخصيص المسند إليه المقدم بالمسند المؤخّر، كقوله لمن

أهان صديقك : «أنت مهينُ فلان». كأنك على وشك أن تقول أيضاً لا
غيرك، ومنه في الشعر قول الشاعر :

متى تهزُّزُ بَيْنِي قَطَنٌ تَجِدُهُمْ سيوفاً في عواتِقِهِمْ سيوفُ
جلوسُ في مجالِسِهِمْ رِزَانٌ وإن ضيفُ ألمُ فهمُ خُفوفُ

الشاهد قوله «هم خفوف»، حيث أفاد تقديم المسند إليه «هم» زيادة
تخصيص بني قطنٍ بالكرم، بما يتراعى منهم من إسراعٍ إلى
استقبال الضيف وخفةٍ في القيام بواجبه .

تأخير المسند إليه :

يؤخر المسند إليه إذا اقتضى المقام تقديم المسند، كما سنوضح لك
ذلك بعد . وينبغي أن يكون مؤكداً عندنا أن التماس دواعي التقديم
والتأخير متوقف على إباحة الاستعمال لكليهما وتوافر دواعي ترجيح
أحدهما على الآخر .

تخريج الكلام علي خلاف مقتضي الظاهر في المسند إليه :

هناك ثلاثة اصطلاحات بلاغية كانت لنا وقفة معها في موضع سابق،
ونستعيدها هنا لمقتضيات البحث . وهذه المصطلحات هي :

1 - الحال : وهو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مصوراً بصورة
خاصة، بصرف النظر عما إن كان المخاطب يتصف بهذا الأمر، أو لا
يتصف به، بل يفترضه المتكلم افتراضاً. نخلو الذهن لدى المخاطب
حال يدعو المتكلم إلى إيراد كلامه خلواً من التأكيد، وتردد المخاطب
في قبول الحكم حال يدعو المتكلم إلى استحسان إيراد الكلام مؤكداً

بمؤكد واحد .. وهكذا .

2 - ظاهر الحال - وهو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام مصوراً بصورة خاصة شريطة أن يتصف المخاطب بهذا الأمر أو هذه الصفة فعلياً. وهكذا فخلو ذهن الذي يتصف به المخاطب فعلياً ظاهر حال يدعو المتكلم إلى إيراد الكلام خلواً من التأكيد، والتردد الذي يتصف به المخاطب فعلياً ظاهر حال يدعو المتكلم إلى استحسان إيراد كلامه مؤكداً بمؤكد واحد .

3 - تخريج الكلام علي وفق مقتضى الظاهر - وهو الإتيان بالكلام مصوراً بصورة تطابق ظاهر الحال؛ كأن يؤتى بالكلام خلواً من التأكيد حين يكون المخاطب خالي ذهن فعلياً، فيقال مثلاً: «محمدٌ صادقٌ»؛ أو يؤتى به مؤكداً بمؤكد واحد حين يكون المخاطب متردداً في الحكم شاكاً فيه فعلياً، فيقال مثلاً: «لمحمدٌ صادقٌ»؛ أو يؤتى به مؤكداً بأكثر من مؤكّد حين يكون المخاطب منكراً للحكم فعلياً، فيقال مثلاً: «إنَّ محمدًا لصادقٌ» .

هذا التطابق بين صورة الكلام، أو كلفيته المخصوصة، وبين ظاهر حال المخاطب وواقعه النفسي يسمّى تخريجاً للكلام على وفق مقتضى الظاهر . لكن المتكلم قد يتخيل، تبعاً لأسباب تبدوله، أن المخاطب خالي ذهن مثلاً، وهو على الحقيقة منكراً، ثم يأتي بالكلام موافقاً لتخيله هو «خلو ذهن» ومخالفاً لحقيقة أمر المخاطب «الإنكار»، فيقول لهذا المخاطب: «محمدٌ صادقٌ». وهنا نقول: إنَّ خلو ذهن حال، والإنكار ظاهر حال، وإتيان الكلام على هذه الصورة الخالية من التأكيد تخريجاً للكلام على

خلاف مقتضى الظاهر. ويعني ذلك إعطاء الكلام صورة أو كيفية مخصوصة مخالفة لظاهر حال المخاطب وواقعه النفسي ومستجيبة لتصوّر وضعه المتكلم في الحسبان، وتخيله تخيلاً مستنداً إلى أسباب خاصة بدت له «حال» .

ونسوق لك ههنا صوراً من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في المسند إليه :

أولاً - وضع المضمّر موضع المظهر :

يؤتي بالمسند إليه مضمراً وظاهر حاله يستدعي الإظهار لأمر ، منها :

1 - الإيضاح بعد الإبهام أو التفصيل بعد الإجمال، وذلك في باب «نعم وبئس»، كقولك : «نعم فتاة هند»، حيث جئت بالمسند إليه (فاعل نعم) ضميراً مستتراً في «نعم». وكان مقتضى الظاهر أن تقول : «نعم الفتاة هند» حيث تأتي بالمسند إليه (فاعل نعم) اسماً ظاهراً «الفتاة»، ولا تأتي به ضميراً لعدم تقدّم ما يفسره. لكنك خالفت الظاهر وأتيت بالمسند إليه مضمراً في موضع الإظهار، لغرض الإيضاح بعد الإبهام. ومثاله في «بئس» قولك : «بئس فاتناً إبليس». وواضح أن هذا يصحّ على رأي من يجعل المخصوص بالمدح أو الذمّ مبتدأً محذوف الخبر، أو خبراً محذوف المبتدأ .

2 - تمكين ما بعد الضمير في نفس السامع لتشوقه إليه، وذلك في ضمير الشأن، كقوله سبحانه : «قل هو الله أحد» . جيء بالمسند إليه «هو» مضمراً موضع المظهر لتمكينه في نفس السامع بعد أن تشوّق إليه . لأنّ «الضمير حين يطرق النفس من غير أن يكون له عائد يعود عليه

يصيرها إلى حالة من الغموض والإبهام لا قرار لها معها فتتشرف
إلى اكتشاف الحقيقة المتوارية وراء الغموض المثير ، فإذا جاءت
الجملة المفسرة تمكّن معناها ووقع في القلب موقع القبول .»

وكقوله سبحانه : «فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي
في الصدور». ومنه في الشعر قول أبي خراش الهذلي يذكر عروة
أخاه وخراشاً ابنه، وكانا قد أسرا فضلً ونجا خراش :

حَمِدْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةَ إِذْ نَجَا خِرَاشُ، وَبِعَضِّ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
قِوَالِهِ مَا إِنْسَى قَتِيلًا زُرَيْتَهُ بِجَانِبِ تَوْسِي مَامَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ
عَلَى أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا نَوَكَلُ بِالْأَدْنَى وَإِنْ جَلُّ مَا يَمْضِي
وقول أبي تمام :

على أَنَّهَا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلُّهَا عَجَائِبُ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ
قال السكاكي في بيان مبعث التمكن في أمثال هذه الصور : «وذلك
أن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظراً لعقبى الكلام
كيف تكون فيتمكن المسموع بعده فضلً تمكّن في ذهنه .»
3 - ادعاء أن مرجع الضمير دائم الحضور في الذهن، كقولك : «أقبل
وعليه الهيبة والوقار». ومنه قول الشاعر :

أَبَتِ الْوِصَالَ مَخَافَةَ الرَّقَبَاءِ وَأَنْتُكَ تَحْتَ مَدَارِعِ الظُّلَمَاءِ
البيت مطلع قصيدة، وجاء الشاعر بالمسند إليه (فاعل أبت) ضميراً
مستتراً لم يتقدم مرجعه ولم يذكر له مفسراً، اعتماداً على وضوح
المراد منه وادعاء أنه معروف حاضر في القلب، لا يخطر بالبال سواه

ويُسمى هذا العدول إلى الإضمار في مقام الإظهار

ثانياً - وضع المظهر موضع المضمَر :

قد يُعكس الوضع السابق فيؤتي بالمظهر موضع المضمَر . والمظهر هنا حالان :

1- أن يكون اسم إشارة 2- أن يكون اسماً ظاهراً غير اسم إشارة.

وينبغي أن تكون على نكر من أن البلغاء يأتون بالمسند إليه اسم إشارة وحقه أن يأتي ضميراً لأغراضٍ، أهمها :

1 - كمال العناية بتمييز المسند إليه لاختصاصه بحكم بديع . كقول أحمد بن يحيى ابن إسحاق الراوندي :

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أُعِيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلَقَّاهُ مَرَزُوقًا
هَذَا الَّذِي تَرَكَ الْأَوْهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النَّحْرِيْرَ زَنْدِيْقًا

المعنى : ما أكثر ماتجد من العقلاء الكاملي العقول صعبت عليهم طرق معاشهم، وما أكثر ماتجد من الجهال الغارقين في الجهل فاض عليهم الرزق من كل ناحية . وهذا الحرمان للعاقل والارتزاق للجاهل هو الذي ترك العقول حائرة، وجعل العالم المتقن كافراً نافياً لصانع الكون العدل الحكيم .

والشاهد فيه مجيء المسند إليه «هذا» اسم إشارة مشاراً به إلى الحكم السابق غير المحسوس (حرمان العاقل وارتزاق الجاهل). وكان مقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير مكان اسم الإشارة؛ لتقدم مرجعه فيقال «هما» مثلاً، لكنّه عدل عن ذلك وجيء باسم الإشارة لكمال

العناية بتمييز المسند إليه؛ ليرى السامعين أن هذا الشيء المتميز المتعين هو الذي اختصّ بهذا الحكم البديع؛ جعل الأوهام حائرةً والعالم النحرير زنديقاً .

2 - التهكم بالسامع، كما لو أن كفيفاً سأل : «من رماني بالحجر؟» - فقيل له : «هذا الذي رماك بالحجر». مقتضى الظاهر هنا أن يوتي بالمسند إليه المبتدأ ضميراً فيقال : «هو الذي رماك بالحجر»؛ لتقدم مرجع الضمير في سؤال الكفيف. لكن المتكلم أخرج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر؛ لقصد السخرية، والتهكم بالمخاطب؛ إذ نزلته منزلة البصير استهزاءً به. وله صورة أخرى، كما لو سأل بصير : «من رماني بالحجر؟» فأجيب : «هذا الذي رماك بالحجر» ، مع عدم وجود مشار إليه أصلاً .

3 - التنبية على كمال بلاده السامع بأنه لا يدرك غير المحسوس؛ كأن يسأل سائل : «من شاعرُ الفلاسفة؟» - فيجاب : ذلك أبو العلاء المعري». مقتضى الظاهر أن يوتي بالمسند إليه ضميراً لتقدم مرجعه ضمن السؤال فيقال : «هو أبو العلاء»، لكن المجيب خالف مقتضى الظاهر تنبيهاً على أن مخاطبة بليدٍ تمعاً، ولا يفهم إلا بالإشارة الحسية؛ لأنّ ذي اسم الإشارة إيماً إلى أن السامع لا يدرك إلا المحسوس، ويعني هذا بلائته التامة .

4 - التنبية على كمال فطانتَه بأنّ غير المحسوس عنده كالمحسوس؛ كأن يأتي ذكرُ مسألة فكرية غامضة فيقول الأب لابنه الذي يتوسم فيه الذكاء : «هذه مسألة واضحة». مقتضى الظاهر أن يأتي بالمسند إليه

ضميراً فيقول : «هي مسألة واضحة» كـ لتقدم مرجع الضمير في الحديث السابق . لكن الأب أخرج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر وأتى بالمسند إليه اسم إشارة تنبيهاً على كمال فطانة ابنه، وأن المعقول عنده كالمحسوس المشاهد؛ لأن في استعمال اسم الإشارة الذي أصله المحسوس في المعنى الغامض إيماءً إلى أن السامع لذكائه صارت المعقولات لديه كالمحسوسات .

5 - ادعاء كمال ظهور المسند إليه حتى كأن المعقول - عند المتكلم - ممّا يحسُّ بحاسة البصر ؛ كأن يجري الحديث في مجلس عن نظرية فلسفية عميقة ، فيقول أحدهم : «هذه أوضح من الشمس» . فمقتضى ظاهر الحال أن يؤتى بالمسند إليه ضميراً فيقال «هي»؛ لتقدم مرجعه في تضاعيف الحديث السابق، لكن المتكلم خرج بالمسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر ادعاءً منه أن هذا المسند إليه ظاهر عنده، وأنه قد بلغ من الوضوح درجة المحسّ المبصر بحاسة البصر ، الذي يشار إليه باسم الإشارة .

ويؤتى بالمسند إليه اسماً ظاهراً غير اسم الإشارة في موضع المضمرة لأغراض، أهمها :

1 - تمكين المسند إليه في ذهن السامع، كقوله سبحانه : «قل هو الله أحد» الله الصمد» . ففي قوله سبحانه " «الله الصمد» جيء بالمسند إليه اسماً ظاهراً «الله» ، ومقتضى ظاهر الحال أن يؤتى به ضميراً لتقدم مرجعه، ولكن وضع المظهر «الله» موضع المضمرة «هو» لتمكين المسند إليه في ذهن السامع؛ لأن «اللفظ الجلالة بمدلوله الكريم وقعاً عظيماً

في القلوب، والمراد تمكين الألوهية، وإشاعة هيمنتها في الضمائر». وجلي أن وقوع الاسم الظاهر في غير موقعه يحدث في نفس المتلقي استغراباً وزيادة انتباه وتيقظ في الذهن، ثم إن المظهر يتضمن أثارة من التفخيم والتعظيم والتأكيد؛ لما فيه من وضوح الدلالة وقطع الاشتراك .

ومنه في الذكر الحكيم أيضاً قوله سبحانه : «الحاقّة ما الحاقّة» و«القارعة ما القارعة» .

ومنه في أشعار العرب قول الشاعر :

وإن طرّة داقنك فانظر فربما · أمرٌ مذاقُ العودِ والعُودُ أخضرُ

في موضع «وهو أخضر» .

وقول المتنبي :

بِمَنْ نَضْرِبُ الْأَمْثَالَ أَمْ نَقِيسُهُ إِلَيْكَ وَأَهْلُ الدَّهْرِ دُونَكَ وَالدَّهْرُ

في موضع «وهو» .

2 - تخويف السامع وتقوية داعي إطاعته وامتثاله، كأن يقول الأمير لبعض حاشيته «حاكمُ البلدِ يأمرُك بكذا»، بدلاً من «أنا آمرُك بكذا». خالف مقتضى الظاهر وأتى بالمظهر «حاكم البلد» موضع المضممر لقصد تخويف السامع وتقوية داعي إطاعته وامتثاله؛ لما في المظهر «حاكم البلد» من الإيحاء بالبطش والقوة والفتك والإهلاك .

3 - الاستعطاف، أي طلب العفو والرحمة، كقول الشاعر

إلهي، عبدك العاصي أتاك مُقِرّاً بالذنوبِ وقد دعاكا
فإن تغفراً فانتَ لذاك أهلٌ وإن تطردَ فمنْ يرحمُ سواكا

قال : «عبدك العاصي أتاك» مكان «أنا العاصي أتيتك»، فأخرج
المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر؛ لما في قوله «عبدك» من
التخضع واستحقاق الرحمة وترقب الشفقة .

4 - التلذذ بذكره، كلفظ «سلمى» في قول الأخطل :

سقى الله منه دار سلمى بريئة على أن سلمى ليس يشفى سقيمها
ولو حملتني السرّ سلمى حملته وهل يحمل لأسراراً إلا كتومها
من العرييات البوادي، ولم تكن تلوّحها حمى دمشق ومومها

ذكر «سلمى» مرتين باسمها الصريح في موضع حقّه الإضممار؛ لتقدم
المرجع في صدر البيت الأول، وما ذلك إلا للتلذذ بجريان اسمها على لسانه.
وهذا من المعاني المتعاودة في شعرنا العربي، حتى إن الشعراء يحبون
عذال العذال ولوم اللائمين حباً لذكر المحبوبة .

ويسمى هذا العدول : الإظهار في مقام الإضممار .

تخرّيج الكلام عليّ خلاف مقتضى الظاهر في غير المسند إليه
يأتي تخرّيج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في غير المسند إليه،
وإليك الحديث عن بعض صورته :

أولاً - الالتفات :

الالتفات - لغة - اللَّيِّ والصَّرْفُ والتحوُّلُ، تقول : لَفَّتَهُ يَلْفِتُهُ إذا أدار
عنقه من اليمين إلى الشمال أو العكس .

وهو في اصطلاح جمهرة البلاغيين : «التعبير عن معنى بطريق من
الطرق الثلاث التي هي التكلُّم والخطاب والغيبة، بعد التعبير عن ذلك المعنى
بطريق آخر من الطرق الثلاث، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف
ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع».

وينبأ ابن الأثير على علاقة التسمية بموضوعها فيقول : «وحقيقتُهُ
مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله فهو يُقبل بوجهه تارةً كذا
وتارةً كذا .. وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصةً؛ لأنه يُنتقل فيه من
صيغة إلى صيغةٍ كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب..». ومثاله قوله
سبحانه : «ربُّنا إنَّك جامعُ الناسِ ليومٍ لا ريبَ فيه إنَّ اللهَ لا يُخلفُ
الميعادَ». عبّروا عن الباريء سبحانه أولاً بطريق الخطاب «إنَّك»، ثم عبّروا
ثانيةً بطريق الغيبة «إنَّ اللهَ» على خلاف ما يقتضيه منهم ظاهر الحال من
استمرار الخطاب كأن يقال : «إنَّك لا تخلف الميعادَ»، وهو ما ينتظره
السامع ويترقبه . وهذا التعبير عن المعنى بطريق الغيبة بعد التعبير عنه
بطريق الخطاب يسمّى «التفاتاً» .

ويشترط جمهور البلاغيين في الالتفات أمرين

1 - وجود تعبيرين يستخدم في ثانيهما طريق مفاير لطريق الأول

2 - مخالفة التعبير الثاني مقتضى ظاهر الكلام ومتروك السامع .

صور الالتفات :

1 - من التكلّم إلى الخطاب ، كقوله سبحانه في حكاية مقالة الرجل المؤمن الذي كان يدعو قومه من أهل أنطاكية : «ومالي لا أعبدُ الَّذي فطّرني وإليه تُرجعون» عبّر عن المعنى أولاً بطريق التكلّم : «ومالي لا أعبدُ الَّذي فطّرني»، ثمّ عبّر عنه ثانياً بطريق الخطاب فقال : «وإليه تُرجعون»، حيث خالف مقتضى الظاهر الذي يستدعي القول : «وإليه أرجعُ» .

2 - من التكلّم إلى الغيبة، كقوله سبحانه : «إنا أعطيناك الكوثر فصلٌ لربك وانحر». فقوله : «إنا أعطيناك» تكلّم، وقوله «لربك» غيبة، لأنّ الاسم الظاهر من قبيل الغيبة، والأصل «فصلٌ لنا»، ففيه التفتات من التكلّم إلى الغيبة. ويقول البلاغيون : «وبلاغة الالتفات في الآية تأتي من أنّ في لفظ الربّ حثّاً على فعل المأمور به، لأنّه من غير ربك يستحق العبادّة. وفيه إزالة الاحتمال أيضاً؛ لأنّ قوله : «إنا أعطيناك الكوثر» ليس صريحاً في إفاة الإعطاء من الله ، وأيضاً كلمة «إنا» تحتمل الجمع كما تحتمل الواحد المعظّم نفسه ، فلما التفت بقوله : «فصلٌ لربك» زال هذان الاحتمالان» .

3 - من الخطاب إلى التكلّم، كقوله سبحانه : «واستغفروا ربكم ثمّ توبوا

إليه إن ربي رحيم ودود». عبّر عن الذات أولاً بطريق الخطاب فقال :
«واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه»، ثم عبّر عنها ثانياً بطريق التكلّم
فقال : «إن ربي رحيم ودود» .

ومنه في الشعر قول علقمة بن عبدة الفحل :

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بُعيدَ الشبابِ عصراً حانَ مشيبُ
يكلّفني ليلى وقد شطّ وأليها وعادتْ عوادٍ بيننا وخطوبُ
طحا بك : ذهب بك وأتلفك . شطّ وأليها : بُعد قريبها . عبّر أول الأمر عن
نفسه بطريق الخطاب فقال : «طحا بك» ، ثم التفت إلى التكلّم فقال :
«يكلّفني»، ومقتضى الظاهر أن يقول : «يكلّفك». وتتراءى جمالية
الالتفات هنا في أن التكليف بليلى مقطع مهم من مقاطع المعنى وجزء
أساسي من لحنه وحقّه أن يقع في نفس الشاعر وقوعاً واضحاً لا
مواربة فيه، وبهذا يقوى الكلام .

4 - من الخطاب إلى الغيبة، كقوله سبحانه : «إن هذه أمتكم أمة واحدة
وأنا ربكم فاعبدون. وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون». جاء
الكلام على طريق الخطاب في قوله : «أمتكم .. ربكم .. باعبدون»، ثم
عبّر عنهم بطريق الغيبة في قوله : «وتقطعوا أمرهم بينهم». قال
الزمخشري في سرّ هذا الالتفات : «كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى
آخرين ويقبّح عندهم فعلهم : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في
دين الله» .

5 - من الغيبة إلى التكلّم، كقوله سبحانه : «والله الذي أرسل الرياح تحثّير

سحاباً فسُقْنَا». مقتضى ظاهر القول «فساقه» وكقوله سبحانه
«وهو الذي أرسل الرياحُ بُشراً بينَ يدي رحمتِهِ وأنزلنا من السماء ماءً
طَهُوراً»، المقتضى «وأنزل»، وكقوله سبحانه . «سبحانَ الذي أسرى
بعبدِهِ ليلاً .. لنريه من آياتِنَا»، والمقتضى «لُريه» .

6 - من الغيبة إلى الخطاب، كقوله سبحانه : «مالكِ يوم الدينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ»،
عبر عن الذات أولاً بطريق الغيبة «مالكِ يوم الدين»، فالتفت إلى
الخطاب فقال : «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» .

وعن جمالية الالتفات يقول السكاكي :

«والعربُ يستكثرون منه ويرونَ الكلامَ إذا انتقل من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ
أدخلَ في القبول عند السامع وأحسنَ نظريةً لنشاطه وأملا باستدرا
إصغائه، وهم أحرىءُ بذلك، أليس قرى الأضياف سجيّتهم ونحرُ
العشار للضيف دأبهم وهجّيراهم لا مرّقتُ أيدي الأنوار لهم أديماً ولا
أباحت لهم حريماً، أفتراهم يُحسنون قرى الأشباح فيخالفون بين لونٍ
ولونٍ وطعمٍ وطعم، ولا يُحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين
أسلوبٍ وأسلوبٍ وإيرادٍ وإيرادٍ» .

ثانياً - أسلوب الحكيم :

أسلوب الحكيم تسمية جاء بها السكاكي، ويسميه عبد القاهر
«المغالطة». ويراد به : «أن يتلقّى المخاطب بغير ما يترقّبهُ، ويحمل كلامه
على غير مراده؛ صرفاً لرأيه إلى ما هو أولى به . أو يُلقَى السائل بغير
مطلوبه، تنبيهاً على أنه أولى به» .

وقد عبّر أحد الشعراء عن سلوكه هذه الطريقة في إجابة زوجه التي
أنته تشكو صعوبة إعداد الطعام للضيفان إذ رأتهم يتقاطرون على منزله،
فقال مفتخراً :

أنت تشتكى عندي مزاولة القرى وقد رأيت الضيفان ينحون منزلي
فقلت - كائني ماسمعتُ كلامها- : هم الضيفُ جدِّي في قِراهمُ وعجلي

ويتبين من التعريف أن أسلوب الحكيم ضربان :

1 - تلقّي المتكلم المخاطب بغير ما يترقب؛ أي يحمل الكلام الصادر عنه
على غير ما قصد، تنبيهاً لهذا المخاطب على أن ذلك «الغير» هو الأولى
بالقصد والإرادة، وكأنه يقول له : خيرُ لك أن تقصد كذا وكذا لا ما أنت
تريده. ويوضح البلاغيون هذا الضرب من أسلوب الحكيم بما حدث من
وَلَد القبعثري للحجاج؛ إذ قال له الحجاج متوعداً إياه : « لأحملنك على
الأدهم»، يعني الحجاج القيد، إذ من أسمائه الأدهم. فقال وَلَدُ
القبعثري : «مثل الأمير يحمل على الأدهم والأشهب»، فحوّل وعيد
الحجاج إلى وعد وتلقاه بغير ما يترقب، حيث حوّل المراد من الأدهم
(وهو عند الحجاج القيد الذي سيقيد به) إلى الفرس الأدهم، وهو
الذي غلب سواده، وضم إليه وصفاً آخر للفرس وهو «الأشهب»، أي
الذي غلب بياضه على سواده. وهكذا فاجأ ابن القبعثري الحجاج
وحمل كلامه على غير ما يريد، فنبهه على أن الأولى به، وهو الأمير ذو
السلطان والغلبة وبسطة اليد، أن يعطي ويكرم لا أن يقيد ويسجن.
ويقال في تنمّة القصة أن الحجاج عدل عن العقوب إلى المثوبة. ويقول
السكاكي معلقاً على هذا الضرب من الأساليب ومصوراً جماليته

وخلابته «إن هذا الأسلوب لربما صادف المقامة فحرك من نشاط السامع ماسلبه حكم الوقور، وأبرزه في معرض المسحور، وهل الآن شكيمة الحجاج لذلك الخارجي {يريد ابن القبعثري} وسل سخيمته حتى أثر أن يحسن على أن يسيء غير أن سحره بهذا الأسلوب؟».

2 - تلقيّ السائل بغير مايتطلب؛ بتنزيل سؤاله منزلة غير ذلك السؤال، تنبيهاً للسائل على أن ذلك «الغير» هو الأولى بحاله أو المهمّ له. ومنه قوله سبحانه : «يسألونك عن الأهلّة قلّ هي مواقيت للناس والحجّ». سأل الصحابة المصطفى عليه الصلّاة والسّلام عن سبب اختلاف القمر في زيادة النور ونقصانه، فأجيبوا ببيان الغرض من هذا الاختلاف؛ وهو أن الأهلّة بهذا التغير تمكّن الناس من معرفة الوقت الذي يتوقف عليه تدبيرهم شؤونهم في الزراعة والتجارة والدين وكذا في مواقيت الصّوم والحجّ وما إلى ذلك، وكان مقتضى الظاهر أن يجابوا ببيان السبب، فأجيبوا ببيان الحكمة والغرض. وفي هذا مافيه من التربية الربانية التي تعلّم الخلق ما يهّمهم وتصرفهم عمّا لا شأن لهم به؛ ألم يقل المصطفى عليه الصلاة والسلام : «أن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، ثم ألم يقل باريء السموات والأرض «يا أيّها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم؟».

ثالثاً - القلب :

ويراد به أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه مع إثبات حكم كل للآخر. والقلب ضربان :

1 - ما يوجب تصحيح حكم لفظي والمعنى صحيح من دونه، وذلك كقول

القطامي :

قفِّي قبلَ التفرُّقِ يا ضُباعاً ولا يكُ موقفُ منكِ الوداعِ

لما جاء بـ «موقف» نكرةً وهو في موضع المبتدأ وبـ «الوداع» معرفةً وهو في موضع الخبر جعل هذا من باب القلب؛ إذا التقدير : «ولا يكُ الوداعُ موقفاً منك»؛ لأن الأصل أن تكون المعرفة مبتدأً والنكرة خبراً .

2 - ما يوجب تصحيح المعنى، كقولهم : «عرضتُ الناقةَ على الحوضِ». مقتضى الظاهر أن يقال : «عرضتُ الحوضَ على الناقة»؛ لأنَّ المعروض عليه يتحتم أن يكون ذا شعور لكي يقبل ما يعرض عليه أو يرفضه، ولكنَّه قلب هذا الوضع على خلاف مقتضى الظاهر وحلَّ كلُّ من الجزين محلَّ الآخر وأعطى حكمه . ومبعث هذا القلب مخالفة العادة؛ إذ العادة أن يقدمَّ المعروض للمعرض عليه، أمَّا ههنا فتخالف هذه العادة ويؤتى بالناقة إلى الحوض، وهو ثابت في مكانه، ولذلك نزل أحدهما منزلة الآخر. ومن هذا القبيل قولهم : «أدخلتُ الخاتمَ في الإصبع» و«أدخلتُ القلنسوةَ في الرأس». في حين أن مقتضى الظاهر أن يقال : «أدخلتُ الإصبعَ في الخاتم» و«أدخلتُ الرأسَ في القلنسوة».

مواقف البلاغيين من القلب :

للبلغيين في قبول القلب ورفضه ثلاثة مواقف :

1 - القبول المطلق - وهو موقف السكاكي الذي قال : «إنَّه مما يورث الكلام ملاحاً، ووجهه أن قلبَ الكلام يحوجُ السامعَ إلى أن يتنبَّه لاستخراج أصل الكلام». ويعني هذا أن قلب الكلام يستدعي من

المتلقي تأمل العبارة ومحاولة إدراك الوضع الطبيعي لها، فإذا تأتي له ذلك أحس بشيء من اللذة المتأنيّة من إدراك انزياح العبارة عن أصلها، ولذة التعرّف لذّة عظيمة .

2 - الرفض المطلق - وهو موقف بعض البلاغيين غير السكاكي، وقد تراعى لهؤلاء أنّ ما جاء منه من نماذج لا يعدو أن يكون صوراً من التقديم والتأخير .

3 - القبول المشروط بتحقيق جماليّة تعبيرية ودلاليّة - وهو رأي جمهرة علماء البلاغة الذين قالوا إنّ القلب غير جدير بأن يدخل ميدان البلاغة إلا عندما يتضمّن اعتباراً لطيفاً ومغزى طريفاً زائداً على مجرد الجماليّة المتأنيّة من تعرّف الأصل وإدراك التغيّر الحاصل .

ومن القلب المقبول قوله سبحانه : «ويوم يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ». يقول علماء البلاغة إنّ الأصل هو : «ويوم تُعْرَضُ النَّارُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا»؛ لأنّ المعروض عليه ينبغي أن يكون ذا إدراكٍ يميّز به ويختار على أساسه. والاعتبار اللطيف أو الغرض البلاغيّ الذي تحقّقه صياغة الآية الكريمة في هذه الصورة هو الإشارة إلى أنّ الكفّار أذلاء مقهورون يُفْرَضُ عليهم العذاب فرضاً دون إعطائهم حق الاختيار، وأنّ النار هي المتصرّفة فيهم، فهم ريشة في مهبّ الريح لا وزن لهم .

ومنه في الشعر قول رؤبة بن العجاج :

ومهمّةٍ مغبرةٍ أرجاؤه كأنّ لونه أرضه سماؤه

المَهْمَة : المفازة - مغبرة - مملوءة بالغبرة - الأرجاء : جمع رَجًا
بمعنى الأطراف والنواحي .

والمعنى : أن الغبار شمل نواحي هذه المفازة وأحاط بها من كلِّ
جانب لدرجة أن لون سمائها صار كلون أرضها . فقد أراد الشاعر
أن يقول : «كأنَّ لونَ سمائه لغيرتها لونُ أرضه»، لكنه خالف الظاهر
وجعل المشبَّه به مشبَّهاً، والمشبَّه مشبَّهاً به، ويمسَّى فعله هذا «القلب» .
والاعتبار اللطيف أو العرض البلاغي لهذا القلب هو المبالغة في وصف
لون السماء بالغبرة الشديدة .

ومنه أيضاً قول أبي تمام يصف قلم ممدوحه :

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأرْيُ الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ
الْأرْي : العَسَل - اشْتَارَتْهُ : جَنَّتْهُ - وعواسل : جمع عاسلة وهي
المشتارة للعسل الجانية له .

قال الشاعر : «لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ»، وكان مقتضى الظاهر
أن يقول : «كأنَّ لُعَابَهُ لُعَابُ الْأَفَاعِي»؛ لأنه أراد تشبيهه لعاب قلمه
بلعاب الأفاعي القاتلات في شدة وقع الألم، ولكنَّه خالف مقتضى
الظاهر وقلب؛ لقصد المبالغة في تصوير شدة وقع الألم .

قال صاحب «الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة» : «ظنَّ جماعةً
منهم السُّكَاكِي أنَّ مطلق القلب من مسائل هذا العلم وأنه مقبول .
والحقُّ أنه ليس كذلك، لخلوه من البلاغة، اللهمَّ إلا أن يكون قلب تشبيهه
للمبالغة .. ولا يوجد في القرآن .. وإن جاء في القرآن ما يوهم القلبُ،
يجب تأويله، كقوله تعالى : «وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا

وأراد أردنا إهلاكها »

رابعاً : التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي

تعمد الأساليب البليغة إلى مخالفة مقتضى الظاهر في ميدان استخدام الأفعال، فتعبّر عن المستقبل بلفظ الماضي للتنبيه على تحقق وقوعه، وأنه في حكم المنقضي الذي لا مدافعة فيه، ووراء ذلك أيضاً إشارات بلاغية تأنسها الأنواق الصافية وتحسّسها المدارك القوية . وإليك أمثلةً لذلك :

قال سبحانه : «وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ» . قال سبحانه « فَنُزِعَ » والمراد «فَيُنزَعُ»؛ لأنّ الحدث لما يقع بعد، ولكنه عبر عنه بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه، فهو لا محالة واقع ليس له من دافع . ويؤدي استعمال الماضي هنا وظيفة تربوية مهمة، تتصل بمعالجة أشدّ أنواع الإنسان، وهو داء عدم المبالاة بالأمر المستقبلي، وهكذا يأتي الماضي ليطوي الزمان وليضع الإنسان وجهاً لوجه أمام هذا الذي ينتظره فور النفخ في الصور .

وقال سبحانه : «أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ»، ومقتضى الظاهر «يأتي»، لكنّه لما كان آتياً حتماً مقضياً عدّ كأنّه قد «أتى». والتعبير بالماضي هنا يحوّر الإنسان من الوهم ويعيد إليه مشكلته يستدبرها ويواجهها قبل أن يعجز عن ذلك .

وتأمل قوله سبحانه : «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ، وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدِيَّ عَتِيدٌ ، أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلُّ كَفَّارٍ عِنْدِ

- التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو اسم المفعول .

على غرار التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي التعبير عن المستقبل باسم الفاعل أو اسم المفعول؛ لقصد التنبيه على تحقق الوقوع :

فالأول كقوله سبحانه : «وإن الدين لواقعٌ»، ومقتضى الظاهر أن يقال «يَقَعُ»؛ لأن وقوع الدين (الجزء) يحدث في المستقبل، لكنه خالف مقتضى الظاهر معبرٌ عن المستقبل باسم الفاعل؛ تنبيهاً على تحقق الوقوع .

والثاني كقوله سبحانه : «ذلك يومٌ مجموعٌ له الناسُ»، ومقتضى الظاهر «يجمع»؛ لأن الجمع سيحصل يوم القيامة، لكنه خالف مقتضى الظاهر فعبر عن المستقبل باسم المفعول؛ تنبيهاً على تحقق وقوعه .

خامساً - التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل :

تعبّر الأساليب البليغة عن الماضي بصيغة المستقبل؛ لغرض استحضار الصورة العجيبة. وهذا كثير في البيان القرآني، ومنه قوله سبحانه في شأن داود عليه السلام : «إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق». قال سبحانه «يسبحن» ومقتضى السياق أن يقال : «مسبحات»؛ لأن التسبيح قد وقع في عهد داود عليه السلام، لكن غرابة صدور التسبيح عن الجبال ودلالة ذلك على قدرة العزيز استدعت التعبير عن ذلك بصيغة المضارع التي نقلت الحدث من الماضي البعيد وعرضته في مقام المشاهدة؛ ليُستيقن منه ولا يناقش فيه . قال الزمخشري : «ما اختير يُسبحن» على «مسبحات» إلا لذلك، والدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال، وكأن السامع حاضرٌ تلك الحال يراها تسبيح». ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه : «والله الذي أرسل

الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً»، بمعنى «أثارت»، وقوله سبحانه: «وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ»، على معنى «ماثلت».

سادساً - مخالفة السِّيَاقِ فِي صَيْغِ الْأَفْعَالِ :

يلحظ متتبعٌ خواصَّ التَّرَاكيبِ البليغة مخالفةً مقصودةً لمقتضى سياق الكلام في الأفعال خاصة. وذلك من الأمور الملحوظة تماماً في البيان العالِي في كتاب الله تعالى. والحق أن وراء ذلك مقاصد بلاغية على قدر كبير من الأهمية، ولا يتأتى إدراكها إلا لمن أوتي حظاً طيباً من القدرة على ملح التوافق بين الكيفية المخصوصة للعبارة والمقام الذي ترد فيه، وقليلٌ ما هم. يقول ابن الأثير: «واعلم أيها المتوشِّحُ لمعرفة علم البيان أن العدولَ عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك، وهو لا يتوخَّاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطلع على أسرارها وفتش عن دفائنها، ولا تجد ذلك في كلِّ كلام فإنَّه من أشكلِ ضروب علم البيان وأدقِّها فهماً وأغمضها طريقتاً» .

وقد تتمثل مخالفة السِّيَاقِ فِي العدولِ عن المضارع إلى الأمر، كقوله سبحانه: «قالوا يا هودُ ماجئتنا بيِّنةٌ وما نحنُ بتاركي ألِهتنا عن قولِكَ وما نحنُ لكَ بمؤمنين، إنْ نقولُ إلاّ اعتراضاً بعضُ ألِهتنا بسوءٍ قال أشهدُ اللهَ واشهَبُوا أَنِّي بريءٌ ممَّا تُشركون». قال «أشهدُ اللهَ» فاقترضى السياق أن يقول إثرَ ذلك «وأشهدُكُمْ»؛ ليحصل التوافق بين الصيغتين في المضارعة، لكنَّه عدل عن ذلك إلى الأمر فقال: «واشهَبُوا»؛ لأنَّ في أمرهم بالشهادة ببراءة من دينهم استخفافاً بهم وبيدِينهم وتحدياً مغيظاً. ويتراعى لنا بونٌ شاسع بين مَنْ توثَّر أن يشهد عليك وهو غائب فتقول: «أشهدُ وبين من

يحضرك فتتوجه إليه وتأمره بأن يشهد فتقول : «أشهد» . وقد قال الزمخشري في هذا الشأن : «فإن قلت هلا قيل : أشهد الله وأشهدكم؟ - قلت : لأن إشهد الله على البراءة من الشرك إشهد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقدة؛ وأما إشهدهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما، وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما تقول لمن يبس الذي بينه وبينك : أشهد على أنني لا أحبك» .

ومن ذلك أيضاً العدول عن المصدر إلى الأمر، كما في قوله سبحانه : «قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عَنْ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» . مقتضى الظاهر أن يقال : «أمر ربِّي بِالْقِسْطِ وَإِقَامَةِ وُجُوهِكُمْ» ، ولكنه عدل عن ذلك إلى الأمر؛ لأنه من جنس الطلب وهو أدعى إلى الإيقاظ وإثارة الاهتمام بالمطلوب ووجوب تنفيذه؛ ففي توجيه الأمر إليهم بإقامة الصلاة دليل على مزيد العناية بها .

أسئلة وإجاباتها حول ذكر المسند إليه وحذفه (1)

– حدد أسباب ذكر المسند إليه وحذفه فيما يأتي :

1 – وقد علم القبائل من معدّ إذ قَبِبُ بأبطحها بئينا

بأننا المطعمون إذا قدرنا وأنا المهلكون إذا ابتلينا

2 – قال المصطفى عليه الصلّاة والسّلام : «أنا النبي لا أكذب

أنا ابنُ عبدِ المطلبِ»

3 – ملكُ البلاد يأمر بالعدول والإنصاف .

4 – قال سبحانه : «وإننا لا ندرى أشراً أريدَ بِمَنْ في الأرض أم أراد بهم

ديهم رشداً» .

5 – ردةٌ ولا أبا بكرٍ لها .

6 – سنل مريض : كيف حالك ؟ – فقال : لا تسرّ .

7 – ولدك يكلم الكبار بصوتٍ عالٍ .

8 – سنل الأستاذ : ما هذا الذي تحمل ؟ فقال : هي محفظتي ، أضع فيها

كتبي ، وهي خفيفة الوزن ، سهلة الحمل .

9 – عاد إلى جادة الصواب وأقلع عن تفاهاته .

10 – أمير شعراء العصر الحديث (تريد شوقي مثلاً) .

- الإجابات :

- 1 - وأنا المهلكون : أعيد ذكر المسند إليه «نا»؛ لبسط الكلام في معرض الفخر .
- 2 - أنا ابن عبد المطلب : أعيد ذكر المسند إليه؛ لأنّ المقام للافتخار .
- 3 - ملك البلاد يأمر .. أذكر المسند إليه؛ للتهويل وبثّ الرعب .
- 4 - «أم أراد بهم دُبُهُمْ رَشْدًا» : ذكر المسند إليه «رِيَّهُمْ» ك للتبرُّك بذكره .
- 5 - رِدَّةٌ ولا أبا بكرٍ لها : حذف المسند إليه «هي»؛ لاتباع الاستعمال الوارد على حذفه .
- 6 - قال : لا يسرّ : حذف المسند إليه «حالي» لضيق الصدر بسبب المرض.
- 7 - ولدك يكلم الكبار بصوت عالٍ : ذكر المسند إليه؛ للتعبير عن التعجّب من فعله .
- 8 - هي محفظتي، أضع فيها كتبتي ...: ذكر المسند إليه؛ لبسط الكلام طمعاً في استزادة أحد إصغاء السامع .
- 9 - عاد إلى جادة الصواب ..: حذف المسند إليه؛ لإيهام صون اللسان عنه
- 10- أمير شعراء العصر الحديث : حذف المسند إليه؛ لتعيينه بسبب كمال الوصف فيه .

أسئلة وإجاباتها حول ذكر المسند إليه وحذفه (2)

- حدّد أسباب ذكر المسند إليه وحذفه فيما يأتي .

1 - حسودٌ حقود (بعد ذكر شخصٍ معيّن) .

2 - لا تخاطب اللّيم السّفيهُ .

3 - حريصٌ على الدنيا مضيعٌ لدينهِ وليس لما في بيته بمُضيع

4 - حبيبُ الفقراءِ قادمٌ (بعد قولك مثلاً : أقادمُ أحمدُ؟) .

5 - سعيدٌ هذا أزعجَ جيرانه .

6 - حضرك شخصان أحدهما صديق كثيرالزيارة لك، فقلت : خائنُ الملح

والزاد .

7 - نجومٌ سماءٍ كلّما غار كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوي إليه الكواكبُ

8 - من ساء طبعه هجر دبعه

9 - قال سبحانه : «مُّ بَكْمُ عُمِّي» .

10- مقررٌ للشرائع موضحٌ للدلائل (تريد النبي محمداً عليه الصلاة

والسلام)

- الإجماليات :

1 - حسودٌ حقود (بعد ذكر شخصٍ معيّن) : حذف المسند إليه؛ لقصد تأتي

الإنكار عند السؤال .

2 - لا تخاطب اللّيم السّفيهُ : حذف المسند إليه «هو»؛ اتباعاً للاستعمال

الوارد على حذفه .

3 - حريصٌ على الدنيا .. : حذف المسند إليه؛ لادّعاء العِلْم به في مقام

الذمّ.

أسئلة وإجاباتها حول تعريف المسند إليه وتنكيره (1)

- حدّد الأغراض التي اقتضت تعريف المسند إليه أو تنكيره فيما يأتي
- 1 - إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
- 2 - هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
- 3 - قال سبحانه : «إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون».
- 4 - قال سبحانه : «وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم» .
- 5 - قال سبحانه : «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل» .
- 6 - صلاح الدين يودّ لقاءك
- 7 - زارنا صفوان
- 8 - قال سبحانه : «إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين» .
- 9 - قال الأخطل :

سقى الله منه دار سلمى بريّة على أن سلمى ليس يشفى سقيمها
ولو حملتني السرّ سلمى حملته وهل يحمل الأسرار إلا كتومها
10- أولئك قومي خير قوم بأسرهم وليس على معروفهم أبداً قفلاً

- الإجابات :

- 1 - عرف المسند إليه بالضمير في «أكرمت» و«ملكته»؛ لأنّ المقام للخطاب، وعرف بالضمير في «تمرّد»؛ لأنّ المقام للغيبة، وقد تقدّم مرجعه لفظاً .
- 2 - عرف المسند إليه باسم الإشارة «هذا»؛ لقصد تمييزه أكمل تمييز .
- 3 - عرف المسند إليه «رسولكم» بالإضافة؛ لقصد الاستهزاء والتهمك .

- 4 - عرّف المسند إليه بالضمير في «هو»؛ لأنّ المقام مقام غيبة، وقد تقدّم مرجعه معنى لدلالة لفظٍ عليه؛ إذ إنّ في قوله سبحانه «ارجعوا» معنى الرجوع، والضمير عائد عليه .
- 5 - عرّف المسند إليه بالعلمية في «إبراهيم» و«إسماعيل»؛ لقصد إحضار معناه في ذهن السامع باسمه الخاص؛ ليمتاز عمّا سواه .
- 6 - عرّف المسند إليه بالعلمية في «صلاح الدين»؛ لقصد التعظيم؛ فإنّ اسم صلاح الدين مما يشعر بمدح .
- 7 - عرّف المسند إليه بالعلمية في «صفوان»؛ لقصد التحقير؛ فإنّ اسم «صفوان» من الأعلام التي تشعر بذمّ .
- 8 - عرّف المسند إليه بالاسم الموصول «الذين»؛ للإيماء إلى نوع الخبر، والإشارة إلى أنه من نوع العقاب .
- 9 - عرّف المسند إليه بالعلمية في «سلمى» في البيتين؛ قصداً إلى الاستلذاذ بذكره .
- 10 - عرّف المسند إليه باسم الإشارة في «أولئك»؛ لقصد تمييزه .

أسئلة وإجاباتها حول تعريف المسند إليه وتنكيره (2)

- حدّد الأغراض التي اقتضت تعريف المسند إليه أو تنكيره فيما يأتي :
- 1 - جاعنا أبو الفضل * وأخو الحرب قادمٌ
 - 2 - سعيدٌ في بيتنا * السفّاح في الطريق
 - 3 - سأل القاضي شخصاً : هل أقرّ أحمد بهذا الجرم ؟ - فقال الشخص: أحمدٌ أقرّ بهذا الجرم .
 - 4 - أولئك أبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريراً المجمع
 - 5 - قال سبحانه : «أهذا الذي يذكرُ ألهتكم» .
 - 6 - قال سبحانه : «إنّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» .
 - 7 - قال سبحانه : «فذلك الذي يدعُ اليتيم» .
 - 8 - قال سبحانه : «فذلكنّ الذي لمتني فيه» .
 - 9 - فقل لمن يدّعي في العلم فلسفةً حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء
 - 10 - قال سبحانه : «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» .

الإجابات :

- 1 - عرف المسند إليه بالعلمية في «أبو الفضل»، لكونه كناية عن معنى يصلح له العلم، وهو الفضل والخير. وعرف بالعلمية في «أخو الحرب»؛ لكونه كناية عن معنى يصلح له العلم، وهو الشجاعة .
- 2 - عرف المسند إليه بالعلمية في «سعيد» للتفاؤل به، وعرف في «السفّاح»؛ للتطير به .
- 3 - عرف المسند إليه بالعلمية في «أحمد»؛ للتسجيل على السامع حتى لا يتأتى له الإنكار .

- 4 - عرّف المسند إليه بالإشارة في «أولئك»؛ لقصد التعريض بغباوة السامع، والإيماء إلى أن الأشياء لا تميز عنده إلا بالإشارة الحسية .
- 5 - عرّف المسند إليه بالإشارة في «هذا»؛ لقصد تحقيره بالقرب .
- 6 - عرّف المسند إليه بالإشارة في «هذا»؛ لقصد تعظيمه بالقرب .
- 7 - عرّف المسند إليه بالإشارة في «ذلك»؛ لقصد تحقيره بالبعد .
- 8 - عرّف المسند إليه بالإشارة في «ذلك»؛ لقصد تعظيمه بالبعد .
- 9 - عرّف المسند إليه بالإضمار في «يدعي»؛ لأن المقام للضمير، وقد تقدم مرجعه لفظاً . تحقيقاً، وعرّف بالإضمار في «حفظت»؛ لأن المقام للخطاب. ونكر في «أشياء»؛ لقصد إفادة الكثرة .
- 10 - عرّف المسند إليه بالإضافة في «عبادي»؛ لقصد تعظيمه؛ فقد عظم شأن العباد بإضافتهم إلى الله سبحانه .

أسئلة وإجاباتها حول تعريف المسند إليه وتنكيره (3)

- حدد الأغراض التي اقتضت تعريف المسند إليه أو تنكيره فيما يأتي :
- 1 - حِكْمُ حَارَتِ الْبَرِيَّةِ فِيهَا وَجَدِيرٌ بِأَنَّهَا تَحْتَارُ
 - 2 - عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا احْتَدَمَ الْوُغَى وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ
 - 3 - وَليْسُ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتِاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
 - 4 - لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ .
 - 5 - عِلْمَاءُ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعُوا عَلَى كَذَا .
 - 6 - إِنَّ الَّذِي تَحْسِبُهُ عَدُوًّا لَكَ دَافِعٌ عَنكَ أَمْسٍ .
 - 7 - إِنَّ مَنْ يَجَالِسُ السُّفَهَاءَ يَمِقتَهُ ذَوُّ الْعَقْلِ .
 - 8 - قَالَ سَبْحَانَهُ : «وَأَنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُلًا مِنْ قَبْلِكَ» .
 - 9 - قَالَ سَبْحَانَهُ : «وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ» .
 - 10 - لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ .

الإجابات :

- 1 - فُكِّرَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ فِي «حِكْمٍ»؛ لِقَصْدِ إِفَادَةِ تَعْظِيمِهِ، تَبَعًا لَعُلُوشَانِ هَذِهِ الْحِكْمِ، أَوْ لِإِفَادَةِ التَّكْثِيرِ، تَبَعًا لَكثْرَةِ عَدَدِهَا. وَعَرَّفَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ بِ«ال» فِي «الْبَرِيَّةِ»؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى الْعَهْدِ الْعِلْمِيِّ، وَعَرَّفَ بِالضَّمِيرِ فِي «أَنَّهَا» وَ«تَحْتَارُ»؛ لِكُونَ الْمَقَامِ لِلغَيْبَةِ، وَذَلِكَ لِتَقَدُّمِ الْمَرْجِعِ لِقَطْأً تَحْقِيقًا .
- 2 - عَرَّفَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِيَّةِ فِي «عَبَّاسٍ» وَ«الْفَضْلِ» وَ«الرَّبِيعِ»؛ لِقَصْدِ تَعْظِيمِهِ. وَعَرَّفَ بِ«ال» فِي «الْوُغَى»؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى فِرْدٍ مَبْهُمٍ مِنْ أَفْرَادِ الْحَقِيقَةِ .

- 3 - نُكِّرُ المسند إليه في «شئ»؛ لقصد إفادة التَّحْقِيرِ من وجهة انحطاط شأنه، أو إفادة التَّقْلِيلِ من وجهة قَلَّةِ العدد . وعرِّف بـ «ال» في «النهار» للإشارة إلى الحقيقة .
- 4 - نُكِّرُ المسند إليه في «مقال»؛ لإفادة معنى النوعية؛ إذ أنَّ المعنى هو : لكلِّ مقامٍ نوعٌ خاصٌّ من أنواع المقال .
- 5 - عرِّف المسند إليه بالإضافة في «علماء المسلمين»؛ لإغناء هذه الإضافة عن تفصيل متعذر .
- 6 - عرِّف المسند إليه بالوصول «الذي»؛ لبيان خطأ المخاطب في رأيه .
- 7 - عرِّف المسند إليه بالوصول في «مَنْ»؛ للإشارة بها إلى نوع الخبر .
- 8 - نُكِّرُ المسند إليه في «رسل»؛ لقصد التَّكْثِيرِ؛ فالمعنى : رسل كثيرون .
- 9 - نُكِّرُ المسند إليه في «ورضوان»؛ لقصد التَّقْلِيلِ؛ فالمعنى : ورضوانٌ قليل .
- 10 - نُكِّرُ المسند إليه في «دواء»؛ لقصد بيان النوع، فالمعنى : لكلِّ نوعٍ من الداء نوعٌ من الدواء .

أسئلة وإجاباتها حول التقييد بالتوابع (1)

– حدّد نوع القيد بأحد التوابع والغرض من تقييد المسند إليه في

الجمل الآتية :

- 1 – تلميذٌ مجتهدٌ في مدرستنا . محمد الصياد زارنا البارحة .
- 2 – الكريم الذي يتهلّل وجهه بشراً وطلاقةً عندما يساعد الناس موضع احترامهم وحبّهم .
- 3 – زارني أحمد العالم .
- 4 – صاغ الحكمة المتنبّي لا البحترى .
- 5 – المستقبل الآتي يحمل معه البشائر .
- 6 – زيدٌ السّفِيهُ في الطريق إليك .
- 7 – قال سبحانه : «وما من دابةٍ في الأرضِ ولا طائرٍ بجناحيه إلا أمٌ أمثالكم» .
- 8 – زارني أحمدُ أحمدُ .
- 9 – قال سبحانه : «إنّ اللّه هو الرزاقُ ذو القوّة المتين» .
- 10 – زارني أخوك أخوك .

– الإجابات :

- 1 – تلميذٌ مجتهدٌ في مدرستنا: قيد المسند إليه بالنعته «مجتهد»؛ لتخصيصه بتقليل الاشتراك فيه. محمد الصياد زارنا البارحة : قيد المسند إليه بالنعته «الصياد، لتخصيصه برفع الاحتمال .
- 2 – الكريم الذي يتهلّل ..: قيد المسند إليه بالنعته «الذي»؛ للكشف وتوضيح معناه .

- 3 - زارني أحمدُ العالمُ : قيّد المسندُ إليه بالنعته «العالم»؛ لغرض المدح .
- 4 - صاغ الحكمة المتنيب لا البحترى : قيّد المسندُ إليه بالعطف بـ «لا»؛ لردّ السامع عن الخطأ إلى الصواب .
- 5 - المستقبل الآتي يحمل معه البشائر : قيّد المسندُ إليه بالنعته «الآتي»؛ للتوكيد الذي يشوّق إلى مقدمه .
- 6 - زيدُ السّفِيه في الطريق إليك : قيّد المسندُ إليه بالنعته «السّفِيه» ؛ لقصد الذمّ .
- 7 - «وما من دابةٍ في الأرض .. : قيّد المسندُ إليه بالنعته في «في الأرض» و«سطين»؛ لبيان المقصود وتفسيره وأنّ «دابة» و«طائر» يفيدان زيادة التعميم والإحاطة .
- 8 - زارني أحمدُ أحمدُ : قيّد المسندُ إليه بالتوكيد اللفظي «أحمد»؛ بالتقرير، وتحقيق مدلوله في الذهن .
- 9 - «إنّ الله هو الرزاق ..» قيّد المسندُ إليه بضمير الفصل «هو»؛ بالتاكيد تخصيصه .
- 10 - زارني أخوك أخوك : قيّد المسندُ إليه بالتوكيد اللفظي «أخوك» لتقريره وتحقيق مدلوله في الذهن .

أسئلة وإجاباتها حول التقييد بالتوايع (2)

- حدّد نوع القيد بأحد التوايع والغرض من تقييد المسند إليه في الجمل الآتية :

1 - قال سبحانه : «فسجدَ الملائكةُ كُلُّهُمُ أجمعونَ .

2 - قال سبحانه : «جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للناسِ» .

3 - قال هذا أبو الحسن عليّ كرمَ اللهُ وجهه .

4 - مات حافظ فشوقي .

5 - جاء زيدٌ وأبوه .

6 - وُلِدَ إسحاقُ ثمَّ إسماعيلُ .

7 - مات الأضياء حتى قارون .

8 - زيدٌ أو أخوه راسبٌ .

9 - إنيّ أو إياك لعلّى خطأ .

10 - ليسافر أحمد أو سعيد .

- الإجماليات :

1 - قيّد المسند إليه بالتوكيد «كُلُّهُمُ» و«أجمعونَ»؛ لتقريره ودفع توهم عدم الشمول .

2 - قيّد المسند إليه بعطف البيان «البيت الحرام»؛ لقصد المدح والثناء .

3 - قيّد المسند إليه بعطف البيان «عليّ»؛ لقصد إيضاحه وتفسيره .

4 - قيّد المسند إليه بالعطف بالفاء؛ لتفصيل المسند مع الاختصار .

5 - قيّد المسند إليه بالعطف بـ «الواو»؛ لتفصيل المسند إليه مع الاختصار

6 - قيّد المسند إليه بالعطف بـ «ثم»؛ لتفصيل المسند مع الاختصار

- 7 - قيّد المسند إليه بالعطف بـ «حتى»؛ لتفصيل المسند مع الاختصار
- 8 - قيّد المسند إليه بالعطف بـ «أو»؛ للتعبير عن شك المتكلم، أو لقصد تشكيك السامع .
- 9 - قيّد المسند إليه بالعطف بـ «أو»؛ لإبهام الحكم على المخاطب .
- 10- قيّد المسند إليه بالعطف بـ «أو»؛ لقصد التخيير أو الإباحة .

أسئلة وإجاباتها حول التقييد بالتوابع (3)

- حدّد نوع القيد بأحد التوابع والغرض من تقييد المسند إليه في الجمل الآتية :

- 1 - ماجاء خالد بل وليد .
- 2- ولدي حسام مجتهد .
- 3- ذهب الأصدقاء معظمهم .
- 4 - أعجبنى الأستاذ علمه .
- 5 - قال سبحانه : «ألم يعلموا أنّ الله هو يقبلُ التوبة عن عباده» .
- 6- جاء أحمد لا محمد .
- 7- المحسنُ هو الذي يعبدُ اللهَ كأنه يراه .
- 8 - سبقَ في حلبة الشعر عمر أبو ريشة ونزار قباني .
- 9- وقعَ الأمرُ الأمينُ نفسه .
- 10- أزعجني أحمدُ بل سعيدُ .

– الإجابات :

- 1 – قيّد المسند إليه بالعطف بـ «بل»؛ لرد السامع عن الخطأ في الحكم إلى الصواب .
- 2 – قيّد المسند إليه بالبدل «حسام»؛ لزيادة التقرير .
- 3 – قيّد المسند إليه ببديل البعض «معظمهم»؛ لزيادة تقريره .
- 4 – قيّد المسند إليه ببديل الاشتمال «علمه»؛ لزيادة تقريره .
- 5 – قيّد المسند إليه بضمير الفصل «هو»؛ لتخصيصه .
- 6 – قيّد المسند إليه بالعطف بـ «لا»؛ لردّ السامع عن الخطأ إلى الصواب .
- 7 – قيّد المسند إليه بضمير الفصل «هو»؛ لتمييز الخبر عن الصفة .
- 8 – قيّد المسند إليه بالعطف بـ «الواو»؛ لتفصيل المسند إليه مع الاختصار .
- 9 – قيّد المسند إليه بالتوكيد المعنويّ «نفسه»؛ لدفع توهم التجوّز أو السهر .
- 10 – قيّد المسند إليه بالعطف بـ «بل»؛ لصرف الحكم من المحكوم عليه الأول إلى الثاني .

أسئلة وإجاباتها حول تقديم المسند إليه (I)

- حدّد في الجمل الآتية الغرض من تقديم المسند إليه :
- 1 - عدلُ السُّلْصانِ خير من خصبِ الزمان .
- 2 - «إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم» .
- 3 - محمّدٌ قادمٌ .
- 4 - قال سبحانه : «النارُ وعدّها الله الذين كفّروا» .
- 5 - الجنّةُ موعدُ الذين آمنوا .
- 6 - ثلاثةٌ يذهبن الحزن الماء والخضراء والوجه الحسن .
- 7 - اسمُ الله حافظي .
- 8 - الجائزة مُنحت لك .
- 9 - العفوُّ والعافيةُ والمعافاةُ الدائمةُ خير ما يسألُ عبداً ربّه .
- 10 - رحمةُ الله خير من كلّ شيء .

الإجابات :

- 1 - قدّم المسند إليه «عدل»؛ لأنّه الأصل المحكوم عليه، ولا مقتضى للعدول عنه .
- 2 - قدّم المسند إليه «أكرمكم»؛ لتمكين الخبر في ذهن السامع؛ لأن في المبتدأ تشويقاً إليه .
- 3 - قدّم المسند إليه «محمّد»؛ لكونه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه .
- 4 - قدّم المسند إليه «النار»؛ لتعجيل المساءة للتطير .
- 5 - قدّم المسند إليه «الجنّة»؛ لتعجيل المسرة للتقاؤل .

- 6 - قدّم المسند إليه «ثلاثة يذهبن الحزن»؛ لتمكين الخبر في ذهن السامع؛ لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه .
- 7 - قدّم المسند إليه «اسم الله»؛ للتبرّك به .
- 8 - قدّم المسند إليه «الجائزة»؛ لتعجيل المسرّة للتفاؤل به .
- 9 - قدّم المسند إليه «العفو»؛ لإيهام أنّه لا يزول عن البال لكونه مطلوباً .
- 10 - قدّم المسند إليه «رحمة الله»؛ لإيهام أنّه لا يزول عن البال؛ لكونه مطلوباً .

أسئلة وإجاباتها حول تقديم المسند إليه (2)

- حدّد في الجمل الآتية الغرض من تقديم المسند إليه :
- 1 - حبيبيك سيسافر فانهض لتوديعه .
 - 2 - رجلٌ عظيمٌ القدرُ زارنا اليوم .
 - 3 - الثقليلُ الظلّ رحلَ عنّا اليوم .
 - 4 - ما أحمد فعل هذا .
 - 5 - رجلٌ مادخلُ هذا المكان .
 - 6 - أنا ما رأيت هذا الكتاب .
 - 7 - مثلك يساعد الناسَ، غيرك لا يصلي .
 - 8 - كلّ ذي روحٍ لا يستغني عن الهواءِ .
 - 9 - مروّضُ الوحوشِ فلانُ .
 - 10 - ماكلُ ما يتمنى المرءُ يدركه .

الإجابات :

- 1 - قدّم المسند إليه «حبيبك»؛ لإيهام أنه لا يزول عن البال .
- 2 - قدّم المسند إليه «رجلٌ عظيم القدر»؛ للتعجيل بإظهار تعظيمه .
- 3 - قدّم المسند إليه «الثقل الظلّ»؛ للتعجيل بإظهار تحقيره .
- 4 - قدّم المسند إليه «أحمد»؛ بالإفادة التخصيص .
- 5 - قدّم المسند إليه «رجلٌ ما»؛ لإفادة التّخصيص أو تقوية الحكم .
- 6 - قدّم المسند إليه «أنا»؛ لإفادة التخصيص أو تقوية الحكم .
- 7 - قدّم المسند إليه «مثلك» و«غيرك»؛ لغرض إثبات الحكم بالطريق الأبلغ .
- 8 - قدّم المسند إليه «كلّ ذي روح»؛ لإفادة عموم السلب أو شمول النفي .
- 9 - قدّم المسند إليه «مروض الوحوش»؛ لتمكين الخبر في الذّهن؛ لأنّ في المبتدأ تشويقاً إليه .
- 10 - قدّم المسند إليه «كلّ»؛ لإفادة سلب العموم، أو نفي الشّمول .

أسئلة وإجاباتها حول خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في المسند إليه (1)

- بين ما يقتضيه ظاهراً الحال من إيراد المسند إليه، وحدد الغرض من إيراده على خلاف مقتضى الظاهر فيما يأتي :

- 1- نعم شاعراً أبو ريشه بنسَ خَلَّةِ الظُّلْمِ
- 2- هي الدنيا تقول بملء فيها : حذارِ حذارٍ من وقعي ومتكي
- 3- قال سبحانه : «يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد».
- 4- قال سبحانه : «قل هو الله أحد الله الصمد» .
- 5- هو أحمد يعرف كيف يتصرف في الشدائد ،
- 6- قال سبحانه : «واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن دبي رحيم ودود».
- 7- سأل ضريرٌ : من رماني بالحجر؟ - ف قيل له : هذا الذي رماك بالحجر - 8- كتب ولدٌ لوالده : «ولدك الحبيب يكتب إليك» .
- 9- قلت لصديقك الذي يناقشك في مسألة : هذا أمر بدهي .
- 10- شددنا شدة الليثِ غدا والليثُ غضبانُ

الإجابات .

- 1 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالاسم الظاهر لا بالضمير، وذلك لعدم تقدم المرجع، حيث يقال: «نعم الشاعر أبو ريشة» و«بئس الخلة الظلم». لكنه خولف المقتضى وأتى بالمسند إليه ضميراً في الموضعين؛ لغرض الإيضاح بعد الإبهام؛ ليتمكن المعنى في الذهن .
- 2 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالاسم الظاهر، فيقال: «الحال أو الشأن الدنيا تقول ..»، لكنه عدل عنه إلى الضمير تمكيناً له في ذهن السامع لما فيه من الإيضاح بعد الإبهام .
- 3 - مقتضى الظاهر أن يكتفي بالضمير، فيقال: «هو الضلال البعيد» لتقدم المرجع معنى وهو دعاء مالا يضر ومالا ينفع، لكنه عدل عنه إلى اسم الإشارة «ذلك» لكمال العناية بتمييز المسند إليه بسبب اختصاصه بحكم غريب. ويجيء هذا كثيراً في القرآن الكريم .
- 4 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير فيقال «هو الصمد»؛ لتقدم المرجع؛ لكنه عدل عن ذلك إلى الاسم الظاهر لفظ الجلالة «الله»؛ لزيادة تمكينه في ذهن السامع .
- 5 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالاسم الظاهر فيقال: «الحال أو الشأن أحمد يعرف ..» لكنه عدل عنه إلى الضمير؛ تمكيناً له في ذهن السامع لما فيه من الإيضاح بعد الإبهام .
- 6 - مقتضى الظاهر أن يعبر عن الذات بالخطاب فيقال: «إن ربكم» مجازة لظاهر السياق فيما تقدم، لكنه عدل عن الخطاب إلى التكلم؛ لإظهار الاغتراب بإضافة الرب إليه .

7 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير فيقال : هو فلان؛ بالتقدم المرجع في السؤال، لكنه عدل عنه إلى اسم الإشارة؛ لقصد السخرية من المخاطب والتهكم به؛ إذ منزلته من يرى ويبصر .

8 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بضمير التكلم؛ لأن المقام مقام التكلم؛ لكنه عدل عنه إلى الظاهر؛ لغرض التودد والتحبب .

9 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير فيقال : «هو أمر بدهي»؛ لتقدم مرجعه فيما تقدم من النقاش، لكنه عدل عنه إلى اسم الإشارة؛ لادعاء كمال ظهور الأمر، وأنه بلغ من الوضوح مبلغ المدك بحاسة البصر .

10 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير فيقال : «وهو غضبان»؛ لتقدم مرجعه لفظاً، لكنه عدل عنه إلى الاسم الظاهر؛ لزيادة تمكينه في ذهن السامع .

أسئلة وإجاباتها حول خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في المسند إليه وفي غيره(2)

- بين مقتضى ظاهر الحال، وحد الغرض من إيراد الكلام على خلاف فيما يأتي :

1 - قال سبحانه : «الحاقّة ما الحاقّة»

2 - قال مرؤوس لرئيسه : «يعطيني الرئيسُ دقيقةً من وقته» .

3 - قال رئيس مرؤوسه : «رئيسك يأمرك» .

4 - قال حسان بن ثابت يذكر صاحبه «شعثاء»:

كانَ سبيئُهُ من بيت رأسٍ يكونُ مزاجها عَسَلٌ وماءٌ

- على أنيابها أو طعم غضٍّ من التفاح هصره الجناءُ
- 5 - قال خادم لسيدته : «خادمك المذنب يسألك العفو» .
- 6 - قال مدرس لأحد طلابه : «هذه نظرية واضحة» .
- 7 - قال سبحانه : «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ» .
- 8 - تقول لرجل لا يحب أن يكذبك : «تجيءُ غداً» .
- 9 - تقول في رسالةٍ إلى صديق بعيد : «جمع الله الشمل» .
- 10 - يقول القائد مخاطباً جنده : «تفتكون بالأعداء، وتستأصلون شأفتهم، وتذيقونهم الردى» .

الإجابات :

- 1 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالضمير فيقال : «الحاقّة ماهي»؛ لتقدم المرجع، ولكن عدل إلى الإسم الظاهر؛ ليتمكن في ذهن السامع تمكناً قوياً؛ لما في الاسم الظاهر من التصريح .
- 2 - مقتضى الظاهر أن يأتي بصيغة الطلب فيقول : «أعطني»، لكنّه وضع الخبر موضع الإنشاء؛ قصداً إلى التأدّب بالاحتراز عن صورة ما يدلّ على الاستعلاء .
- 3 - مقتضى الظاهر أن يأتي بالضمير؛ لأنّ المقام للتكلم فيقول : «أنا أمرك»، لكنّه عدل عنه إلى الاسم الظاهر؛ لقصد إدخال الروع والمهابة في قلب السامع، ولأنّ ذلك أدعى إلى الاستجابة .
- 4 - مقتضى ظاهر السياق أن يقول حسّان : «يكون مزاجها عسلاً وماء»، لكنه قلب، للضرورة.

- 5 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بضمير المتكلم؛ لأن المقام له فيقال : «أنا المذنب أسألك العفو لكنه عدل عنه إلى الاسم الظاهر؛ قصداً إلى الاستعطاف والاستمالة، لما في لفظ «خادمك» من معنى الخضوع .
- 6 - مقتضى الظاهر أن يأتي بالضمير فيقول : «هي نظرية واضحة»؛ لتقدم المرجع في أثناء الحديث، لكنه عدل عنه إلى اسم الإشارة للتنبية على كمال فطانة الطالب، وأن المدرك بالعقل عنده كالمدرك بحاسة البصر .
- 7 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالنهي فيقال «لا تسفكوا»، لكنه عدل عنه إلى الخبر «لا تسفكون» مبالغة في النهي، حيث أوحى الخبر بأنم نهوا عن السفك فامتثلوا، ثم أخبر عنهم .
- 8 - مقتضى الظاهر أن تأتي بصيغة الالتماس : «جئ غداً»؛ لأن المقام لطلب شيء غير حاصل وقت الطلب، لكنك عدلت عنه إلى الخبر «تجئ غداً»؛ لتحمل المخاطب على الفعل بالطف أسلوب، إذ يحمله هذا الأسلوب على المجيء؛ لأنه إن لم يأت غداً صرت كاذباً من حيث الظاهر؛ لأن كلامك في صورة الخبر .
- 9 - مقتضى الظاهر أن يؤتى بالمضارع فيقال : «يجمع»؛ لأن الجمع لم يحصل، لكنه عدل عنه إلى الماضي؛ إظهاراً للرغبة الشديدة في حصوله .
- 10- مقتضى الظاهر أن يؤتى بالأمر فيقال : «افتكوا بالأعداء»، واستأصلوا شأقتهم ..»؛ لأن المقام لطلب أمر غير حاصل وقت الطلب على جهة الاستعلاء، لكنه عدل عنه إلى الخبر؛ تنبيهاً على تيسر المطلوب لو فرغ الأسباب واستكمال العدة .

المبحث الثالث - أحوال المسند

ويتضمن :

- المسند ومواضعه

- أحوال المسند - وهي :

أولاً : ذكر المسند

ثانياً : ترك المسند

ثالثاً : إيراد المسند فعلاً

رابعاً : إيراد المسند اسماً

خامساً : إيراد المسند الفعل وما يشبهه مقيداً بأحد المفاعيل ونحوها.

سادساً : إيراد المسند فعلاً غير مقيد بشيء مما تقدم.

سابعاً : إيراد المسند فعلاً مقيداً بالشرط :

- الفرق بين «إن» و«إذا» و«لو» :

- الأغراض البلاغية لاستخدام «إن» في مقام الجزم بوقوع الشرط

- استخدام «إذا» في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه

- العدول عن استقبالية جملتي الشرط والجواب لفظاً ومعنى إلى استقباليتهما معنى فقط.

- الأغراض البلاغية لدخول «لو» على الجملة المضارعية

ثامناً : إيراد المسند معرفة

تاسعاً : إيراد المسند نكرة

عاشراً : إيراد المسند مقدماً

المسند ومواضعه :

المسند هو المحكوم به أو المحدث به، وهو أحد ركني الجملة. والمسند ثمانية مواضع هي :

- 1- خبر المبتدأ، نحو «أَبْلَجُ» و«أَجْلَجُ» في المثل المشهور : «الحقُّ أبلجُ والباطلُ لجلجُ».
- 2- الفعل التَّام، نحو «جاءَ» و«زَهَقَ» في قوله سبحانه : «قُلْ جاء الحقُّ وزهقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كانَ زهوقاً».
- 3- اسم الفعل، نحو : «شَتَّانَ - أفٌ - إيه» في قولك : لشَتَّانَ ما بين الثُّرَيَّا والثُّرَيِّيَّ»، «أفٌ لك»، «إيه يا بلبلُ ترنُّمُ».
- 4- المبتدأ الوصفُ المستغنى عن الخبر بمرفوعه، نحو «راغبٌ» في قوله سبحانه : «أراغبُ أنتَ عن آلِهَتِي يا إبراهيمُ»
- 5- أخبار التَّوَسُّعِ «كان وأخواتها» و«إن وأخواتها».
- 6- المفعول الثاني لظل المفعول الثاني لظن وأخواتها.
- 7- المفعول الثالث لـ «أرى» وأخواتها.
- 8- المصدر النائب عن فعل الأمر، نحو : ضريباً وإهانةً في قولك : «ضريباً المسيءَ وإهانةً المتجاوزَ».

أحوال المسند :

أحوال المسند هي الأمور العارضة له في أساليب البلغاء من ذكر وترك، وتعريف وتكبير، وتقديم وتأخير ومن مجيئه مفرداً وجملةً، وغير ذلك. ولكلٍّ من

من هذه الأحوال نواع تقتضيه سنأتي على ذكرها مفصلة إن شاء الله تعالى.

أولاً - ذكر المسند :

يذكر المسند للأغراض التي أشير إليها في ذكر المسند إليه، ومن ذلك:

1- كون ذكره هو الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، كقوله سبحانه: «الرجال قوأمون على النساء»، ذكر المسند الخبر «قوأمون»؛ لكون ذكره هو الأصل، ولا مقتضى للعدول عنه.

2- ضعف التعديل على القرينة، كما في قولك: «عقل في السماء وحظ مع الجوزاء»؛ ذكر المسند «مع الجوزاء»، لأنه لو حذف لما دل عليه الكلام السابق؛ فقد يكون الحظ عاثراً. ومثله: «حالي مستقيم ورزقي ميسور».

3- التعريض بغباوة السامع، كقوله سبحانه: «بل فعله كبيرهم هذا»، بعد قوله سبحانه حكاية عن قومه: «أأنتَ فعلَ هذا بالثنا يا إبراهيم؟» فقد ذكر المسند «فعله» في الإجابة تعريضاً بغباوة السامعين.

4- تعيين كونه «فعلاً» فيفيد التجدد والحدوث مقيداً بأحد الأزمنة «يخادعون الله وهو خادعهم»، جيء بالمسند الأول «يخادعون» فعلاً لإفادة التجدد مرة بعد أخرى، مقيداً بالزمان من غير حاجة إلى قرينة تدل عليه كذكر (الآن - أو الغد) وجيء بالمسند الثاني «خادعهم» اسماً لإفادة الثبوت مطلقاً من غير نظر إلى زمان.

5- الاستلذاذ بذكره، كقولك: «هي ليلى» في إجابة من سألك: «هل هذه

« ليلي؟ ». تذكر المسند الخبر «ليلي» تلذذاً بذكر اسمها.

ثانياً - ترك المسند :

يذهب البلاغيون إلى أن ترك المسند عند قيام القرينة عليه يحقق ثلاث مزايا على قدر كبير من الأهمية : إيجاز العبارة وامتلاءها، تصفيتها وصونها من الترهل والتمدد، إثارة الحس والفكر اللذين يأخذان في تعرف جزء المعنى الذي لم يذكر لفظاً دالاً عليه. ويمكن القول، على الجملة، إن المسند يحذف من الكلام للأغراض التي أشير إليها في حذف المسند إليه، ومن ذلك :

1- أن تدل عليه «قرينة» ويتعلق بحذفه غرض مما جاء في حذف المسند إليه. والقرنية نوعان :

- مذكورة، كقوله سبحانه : «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله»، أي : خلقهن الله. حيث المسند «خلقهن»؛ لدلالة القرينة عليه. والقرينة هنا مذكورة ضمن السؤال «خلق».

- مقدرة، كقوله سبحانه : «يسبغ له فيها بالغبو والاصال رجال»، أي : يسبغ رجال. كأنه قيل : من يسبغه.

2- الاحتراز عن العبث، كما في قوله سبحانه : «إن الله بريء من المشركين ورسوله»؟ أي : ورسوله بريء منهم أيضاً.

3- ضيق المقام عن إطالة الكلام، كقول الشاعر :

قالت وقد رأت اسفراي : من به وتنهدت، فأجبتها : المتنهدة

أراد : المتنهدُّ هو المطالب بشأن اصفراري ونحواي وسقمي؛
حذف المسند الخبر «المطالب» يضيق المقام عن إطالة الكلام. ومثله
قول الشاعر
نحنُ بما عندنا وأنت بما عندك راضٍ والرأي مختلفُ

أي : نحنُ بما عندنا راضون، حيث حذف خبر المبتدأ الأول
«نحن»؛ لضيق المقام ودلالة القرينة، وهي خبر المبتدأ الثاني، عليه.

4- اتِّباع الاستعمال العربي، كقوله سبحانه : «لولا أنتم لكنَّا مؤمنين»، أي
: لولا أنتم موجودون؛ حذف المسند الخبر «موجودون»؛ لورود
الاستعمال العربي على ترك المسند في مثل هذا الأسلوب. وكقولك :
«خرجتُ فإذا أحمدُ»، أي : فإذا أحمد بالباب، مثلاً.

5- الاستهانة به. والحذف هنا إحدى الكيفيات التي كثر ورودها في
الذكر الحكيم، كقوله سبحانه : «أفمن هو قائم على كلِّ نفسٍ بما
كسبتُ»، إذ الاسم الموصول «من» مبتدأ ههنا، وخبرة محذوف تقديره
: «كمن ليس كذلك». وجلي أن القائم على كلِّ نفس هو الله سبحانه
أي المتولي الأمر كلِّ نفس والحافظ لشأنها، والمحذوف الذي هو «كمن
ليس كذلك» هو المعبود بالباطل. وقد جاء حذف المسند الخبر هذا،
ليعلن الفارق الهائل بين الواجب الموجود وبين المفقود. ألا يكون في
الحذف هنا إشعاراً بإهمال المحذوف وازدراؤه وعدم الالتفات إليه
حتى لكأنه غير موجود، وحتى لكانَ إغفال الذكر في الكلام خيراً
تعبير عن الإهمال والتغاضي ومن ذلك أيضاً قوله سبحانه : «أفمن
شرح الله صوره للإسلام فهو على نورٍ من ربِّه فويلٌ للقاسية قلوبهم»،

أي : أهذا خيرٌ أمْ مَنْ جعلَ صدره ضيقاً حرجاً . وكقوله سبحانه :
«أَمْ مَنْ هُوَ قَانَتْ أَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ
رَبِّهِ».

ثالثاً - إيراد المسند فعلاً :

يؤتي بالمسند لأغراضٍ، أهمها :

1 - إفادة تخصيصية بأحد الأزمنة الثلاثة مع الاختصار وإفادة التجدد،
كقوله سبحانه : «فويلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ»،
فقد أفاد المسند الفعل الماضي «كَتَبَ» حصول الكتابة في الزمان
الماضي دون حاجة إلى ذكر ما يدلّ على الزمان كقولنا «أمس» أو
نحوه. ومن هنا جاء الاختصار، كما أفاد الفعل التجدد؛ لأنّ الزمان
جزء منه، والتجدد لازم للزمان. وكذا أفاد المسند الفعل المضارع
«يكسب» حصول الكسب منهم في الزمان الحاضر مع الاختصار
والدلالة على حصول الكسب شيئاً فشيئاً والتجدد الذي يفيد الفعل
نوعان :

- تجدد زمنيّ : ومعناه التقضيّ والحصول شيئاً فشيئاً على وجه
الاستمرار.

- تجدد حدثيّ : ومعناه الحصول بعد العدم دون مراعاة
الاستمرار فيه.

3 - إفادة التجدد الاستمراريّ بوجود القرينة وكون الفعل مضارعاً، كقوله
سبحانه : «إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ»، إذ

المراد هنا حصول التسبيح من الجبال أننا إثر أن وحالاً بعد حال.
وكقوله سبحانه : «هل من خالق غير الله يرزقكم؟»، ولو قيل : هل من
خالق غير الله رازق لكم؟ - لما كان المعنى مثلما هو عليه. ومنه قول
طريف بن تميم العنبري يفتخر بشجاعته :

أو كَلِّمَّا وَرَدَتْ عَكَازَ قَبِيلَةَ بَعَثُوا إِلَى عَرِيفِهِمْ يَتَوَسَّمُ

عكاظ : سوق للعرب بين نخلة والطائف كانوا يجتمعون فيه فيتنشرون
ويتفاخرون و«عريفهم» أي: القيم بأمرهم الذي شهر وعرف بذلك. ويتوسَّمُ :
يتفرَّس الوجوه متعرفاً. وفي قوله : «يتوسَّمُ» جاء المسند فعلاً مضارعاً؛
ليفيد أن تفرَّس الوجوه وتأمَّلها يصدر عنه شيئاً فشيئاً ولحظةً بلحظة.

رابعاً - إيراد المسند أسماً :

يؤتي بالمسند اسماً لفرض أساسي هو :

إفادَةُ الثَّبوتِ والدَّوامِ من غير دلالةٍ فيه علي معنى التَّجددِ والحدوثِ.
ويلاحظ ههنا أمران :

(أ) أن إفادة الثبوت آتية من أصل وضع الاسم ففي قولك : «زيدٌ
مغادِرٌ» لا يعني المسند «مغادِرٌ» هنا أكثر من إثبات المغادرة فعلاً لزيد من
غير مراعاة لمعنى التَّجددِ والحدوثِ ولا لمعنى الدوامِ والاستمرارِ.

(ب) أن إفادة الدوام والاستمرار طارئَةٌ تُستمدُّ من قرائن تحفُّ
بالمسند، كأن يكون السياق سياق مدح، كما في قول النضر بن جذبة
يفتخر بالكرم :

إنّا إذا اجتمعتم يومئذاهمنا ظلّت إلى طُرُقِ الخيراتِ تَسْتَبِقُ
لا يَألفُ الدرهمُ المضروبُ صُرْتَنَا لكنْ يَمُرُّ عليها وهو منطلقُ

فقوله «منطلق» - المسند الخبر - يفيد أن الانطلاق ثابت لدرهم دائماً لا ينقطع، وهذا موافق لسياق المدح.

واسمع ما يقول الشيخ عبد القاهر في هذا الشأن :

«موضوع الاسم على أن يُثبت به الشيءُ للشيء من غير اقتضاء أنه يتجدد ويحدث شيئاً فشيئاً؛ فلا تعرّض في قولنا : «زيدٌ منطلقٌ» لأكثر من إثبات الانطلاق فعلاً له، كما في «زيدٌ طويلٌ» و«عمرٌ قصيرٌ».

خامساً - إيراد المسند الفعل وما يشبهه مقيداً بأحد المفاعيل ونحوها :

يؤتى بالمسند الفعل وما يشبهه (من اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة واسم التفضيل) مقيداً بمفعول مطلق، أو مفعول به، أو مفعول فيه، أو مفعول له، أو مفعول معه، أو نحو ذلك (كالحال والتمييز والاستثناء) لغرضٍ أساسي هو :

تربية الفائدة وتكثيرها؛ لأنّ الحكم كلما زاد خصوصاً زاد غرابةً، وكلما زاد غرابةً زاد إفادة.

والفارق كبير بين قولنا : «درسٌ أحمدٌ» وقولنا : «درسٌ أحمدٌ القانون دراسةً واعيةً في جامعة قاريونس بدءاً من سنة 1980 م .

سادساً - إيراد المسند فعلاً غير مقيد بشيءٍ مما تقدّم :

يؤتى بالمسند الفعلى غير مقيد بأحد القيود والتي أثينا على ذكرها

لمانع يحول دون تربية الفائدة. وقد ذكر البلاغيون جملة موانع، منها :

- 1 - خشية فوات الفرصة، كأن تقول لصائدٍ نصب شركاً لطائر أو نحوه : «وَقَعَ» تريد : «وقع في الشرك»؛ تأتي بالمسند فعلاً غير بشيء انتهازاً لفرصة إدراك الطائر أو نحوه قبل فراره، أو إدراكه حياً .
- 2 - إخفاء زمان الفعل أو مكانه أو مفعوله، كأن تقول لمن ضمك وإياه مجلسٌ : «أخوك أزعج الناس» لا تذكر المكان والزمان، حتى لا يطلع الحاضرون على زمان الفعل أو مكانه. وكأن تقول : «أخوك شتم وأساء»، لا تحدّد المشتوم والمساء إليه، حتى لا يعرف عنه ذلك فيفتضح أمره بين الناس .
- 3 - عدم العلم بالمقيّدات، كأن تقول : «ضربتُ»، دون ذكر المضروب لعدم علمك به.
- 4 - الاختصارُ لحالٍ من أحوال النفس يبعث على ذلك، كأن يقول المريضُ : «شربتُ»، يريد «الدواء»، دون أن يذكره لضيق صوره.
- 5 - خشية إسّام السامع، كأن يقول المتكلم لمخاطب أطلال عليه الحديث وخشي سأمته : «باختصارٍ، سافرتُ»، دون أن يذكر متى، وإلى أين، ومع مَنْ، وبأيّة وسيلة....

سابعاً - إيراد المسند فعلاً مقيداً بالشرط :

يؤتى بالمسند الفعليّ مقيداً بالشرط لدواعٍ تقتضي تقييده به. وتُعرف هذه الدواعي بالوقوف على معاني أدوات الشرط، وهو ما يبحثه علم النحو مفصلاً. ولا بدّ ههنا من الوقوف عند ثلاث من أدوات الشرط هي : إن،

إذا، لو؛ لما لها من أهمية في الاستخدام الجمالي للغة. ولكن قبل ذلك لا غنى عن بعض الملاحظات :

1- أن الشرط قيدٌ للفعل الواقع مسنداً في جملة الجزاء؛ أي إن الكلام المقصود بالإفادة في الجملة الشرطية (مجموع الشرط والجزاء) هو الجزاء، وليست جملة الشرط مقصودة لذاتها. بل هي قيدٌ في الخبراء.

2- أن جملة الخبراء قبل تقييدها بالشرط هي التي تحدّد نوع الجملة الشرطية (مجموع الشرط والجزاء) من حيث الخبرية والإنشائية؛ فقولك : «إن تحسّن إلى الناس تستعبد قلوبهم» جملة خبرية؛ لأن جملة الخبراء «تستعبد» خبرية قبل تقييدها بالشرط.. أما قوله سبحانه : «إن جامكُم فاسق بنبا فتبينوا» فجملة إنشائية؛ لأن جملة الجزاء «فتبينوا» قبل تقييدها بالشرط جملة إنشائية.

3- أن الأداة أخرجت فعل الشرط عن الخبرية واحتمال الصدق والكذب، كما أخرجته عن الإنشائية لأنه بفعل الأداة صار مركباً ناقصاً، ولا يوصف بالخبر والإنشاء إلا ما كان مركباً تاماً.

- الفرق بين «إن» و«إذا» و«لو» :

1- تُستخدم «إن» الشرطية أصلاً في كلّ ما يشكّ بوقوعه في المستقبل؛ ومن هنا كثرت إتيانها لفظاً المضارع لاحتمال الشكّ في وقوعه.

2- تُستخدم «إذا» الشرطية أصلاً في كلّ ما يقطع المتكلّم بوقوعه في المستقبل؛ ومن هنا لا تستخدم إلا في الأحوال الكثيرة الوقوع،

ويتلوا لفظ الماضي لدلالته على الوقوع والحصول قطعاً.

ومما يمثل الصورتين من أي الذكر الحكيم قوله سبحانه: «فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ».

جاء في جانب الحسنة بلفظ الماضي مع «إذا»: لأن المراء الحسنة المطلقة، وهذه حصولها أمرٌ محقق؛ ولهذا عُرِّفَت الحسنة تعريف الجنس (الحقيقة)؛ لأن وقوع الجنس كالواجب لكثرة واتساعه؛ وجاء في جانب السيئة بلفظ المضارع مع «إن»، لأن السيئة نادرة الوقوع بالنسبة إلى الحسنة المطلقة؛ ومن ثم نكَّرت السيئة تنكير التقليل.

3- تستخدم «لو» للشرط في الماضي مع القطع بانتفائه، فيترتب على ذلك انتفاء الخبراء، مع إمكان وقوع الجزاء لو وُجد الشرط. ويجب أن تكون جملتها فعليتين ماضويتين، كقوله سبحانه: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا»، وقوله سبحانه: «فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ، فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ».

- الأغراض البلاغية لاستخدام «إن» في مقام الجزم بوقوع الشرط :
أسلفنا أن الأصل في «إن» أن تُستخدم في المعنى المشكوك فيه، أو المتوهم وقوعه، لكنها قد تخالف هذا الأصل، فتستخدم في المعنى المجزوم به إثباتاً ونفيًا؛ لتحقيق أغراضاً كثيرة، منها :

1- التجاهل حين يستدعى المقام ذلك - كما في قوله سبحانه: «قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَكَدِّ فِتْنَا أَوْلُ الْعَابِدِينَ». استخدمت «إن» الموضوع للشك

والتردد في المعنى المجزوم بنفيه (نفي الورد عن الله تعالى): تجاهلاً، لأن الموقف يستدعي عدم مصادمة المعاندين والتنزل معهم ومسايرتهم وإرخاء العنان ولهم؛ لكي تلزمهم الحجة. وكما إذا استطلت ليلتك فتقول: «إن يطلع الصبح وينقض الليل أفعل كذا» تتجاهل طلوع الصبح وانقضاء الليل، وكلّ منهما أمر مجزوم به، بسبب التولّ والتضجّر.

2- إجراء الكلام على اعتقاد المخاطب؛ بأن يكون المخاطب غير جازم بوقوع الشرط، والمتكلم جازم بوقوعه، فيسوق المتكلم وفقاً لاعتقاد المخاطب، كقولك لمن يكذبك: «إن صدقت فماذا تفعل؟» مع تحقّقك من صدقك.

3- تنزيل المخاطب العالم بوقوع الشرط - أو بعدم وقوعه - منزلة الجاهل؛ لمخالفته مقتضى علمه.

- الأول كقولك لمن يؤذي أياه: «إن كان أباك فلا تؤذِهِ». فالمخاطب جازم بأنه أبوه، وكان المقتضى أن تستخدم «إذا» التي للجزم، لكنّ تصرفه المتمثل في إيذائه أباه اقتضى تنزيهه منزلة الجاهل بأن أبوه، فعبر به «إن»؛ إجراءً للكلام على سنن حاله.

- الثاني كقولك لمن تستيقن كذبه: «إن صدقت فلا تخشى بأساً». فالمخاطب عالم بعدم وقوع الشرط (أي إنه غير صادق)، فكان المقتضى أن يعبر له بـ «إذا» اليقينية، لكنّ المتكلم حين رآه يكذب: ويتمادى نزله منزلة الجاهل، فعبر به «إن» إجراءً للكلام على سنن حاله تنزيلاً.

4 - التوبيخ وتعبير المخاطب أو غيره على وقوع الشرط منه أو اعتقاده إياه، كما في قوله سبحانه: «أفنزربُ عنكم الذكرَ صفحاً إن كنتُ قوماً مسرفين» - على قراءة من كسر همزة «إن». والشاهد هنا استخدام «إن» الموضوع للشك والتردد في مقام الجزم (كونهم مسرفين)؛ بقصد التوبيخ وتصوير أن الإسراف من العاقل - أي استهزأه بكتاب الله - لا ينبغي أن يكون إلا على سبيل الفرض والتقدير كالمحلات، وذلك لاشتمال المقام على الآيات الدالة على أن الإسراف مما لا ينبغي أن يصدر عن العاقل أصلاً.

5 - تغليب غير المتصف بالشرط على المتصف به - كما إذا كان السفر أمراً مؤكداً لـ «أحمد» وغير مؤكداً لـ «سعد»، فتقول لهما: «إن سافرتما عاقبتكما». استخدمت «إن» الموضوع للمشكوك فيه في المجزوم به، وهو سفر «أحمد»، لأنك غلبت مَنْ لم يُقطع بسفره «سعد» على من تحقّق منه السفر «أحمد». ومثله قوله سبحانه: «وإن كُنتُم في ريب مما نزلنا على عبدنا». والشاهد استخدام «إن» الموضوع للشك والتردد في المجزوم به، وهو كون بعضهم مرتابين لا محالة، وحقّ التعبير عن هذا المجزوم به «إذا» الدالة على القطع، لكنه حصل هنا تغليب غير المرتابين على المرتابين؛ إذ إنه لا بدّ أن يكون بين المخاطبين من يعرف الحق وإنما ينكر عناداً وكِبْراً، فجعل الجميع في صورة من لا ارتباب لهم.

– استخدام «إذا» في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه :

وقد تستخدم «إذا» الدالة على القطع أصلاً في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه لأغراض، منها :

1- الإشعار بأنّ الشكّ في ذلك الشرط لا ينبغي أن يكون مشكوكاً فيه، بل يجب الجزمُ به، كقولك : «إذا كثّر المطرُ في هذا العام أخصبَ الناسُ». والشاهد مجيء «إذا» الدالة على القطع مع الشرط المشكوك فيه، وهو كثرة المطر هذا العام؛ لنكتة وهي إشعار المخاطب أن الشكّ في كثرة المطر هذا العام أمرٌ ثابت ولا ينبغي أن يُشكَّ فيه، بل يجب الجزمُ به.

2- تغليب المتّصف بالشرط على غير المتّصف به، كقولك : «إذا لم تسافرْ عاقبتك». إلى غير ذلك من الأغراض التي يدلّ عليها السياق.

قاعدة بلاغية :

وجوب كون جملتي الشرط والجواب مع «إن» و«إذا» فعليتين استقباليّتين :

لأنّ كلا من «إن» و«إذا» لتعليق حصول مضمون الجزاء بحصول مضمون الشرط في الاستقبال وجب أن يكون كلٌّ من جملتي الشرط والجواب مع كلّ منهما فعلية استقبالية؛ وذلك لأنّ الشرط مفروض الحصول في الاستقبال فيمتنع ثبوته ومضيه، والجزاء معلقٌ حصوله على حصول الشرط في الاستقبال، ويمتنع تعليق حصول الحاصل الثابت على حصول ما يحصل في المستقبل. وذلك كقوله سبحانه : «وإن يستغيثوا

يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ، وَكَقَوْلِ أَبِي ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيِّ

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تَرَدُّ إِلَى تَقْلِيلٍ تَقْنَعُ

- العدول عن استقبالية جملتي الشرط والجواب لفظاً ومعنى إلي
استقباليتهما معني فقط :

يُعدّل عن لفظ الفعل المستقبل في شرط «إن» و«إذا» وجزائهما
لغرضٍ أساسيٍّ، هو :

إبراز غير الحاصل في معرض الحاصل

أما أسباب هذا الإبراز وعلله فكثيرة، من أهمها :

1 - قوة الدواعي المقتضية لحصوله، كقولك حال انعقاد أسباب الاشتراء
: «إن اشترينا كذا كان كذا». كان مقتضى الظاهر أن يؤتى . بجملتي
الشرط والجزاء فعليتين استقباليتين لفظاً ومعنى، وهو ما تستدعيه
«إن»، فيقال مثلاً : «إن نشتر كذا يكن كذا»، ليتفق منطوق الكلام مع
الواقع، إذ لم يحصل الاشتراء في الواقع، ولكن خولف الظاهر فعبّر
بالماضي لقصده إبراز المعنى الاستقبالي الذي لم يحصل باللفظ
الدالّ على المعنى الحاصل فعلاً؛ لقوة أسباب انعقاد الاشتراء.

2 - كون المعنى الاستقباليّ ممّا شأنه الوقوع حتماً، فيعدّ كأنه واقع في
الماضي، كقولك : «إن مت ورثني فلان». كان مقتضى الظاهر أن
يؤتى في الجملتين بالفعل المضارع لأنّه الدالّ على المعنى الاستقبالي
الموافق للواقع، فيقال مثلاً : «إن أمّت يرثني فلان»، ولكن خولف
الظاهر فعبّر بلفظ الماضي؛ لغرض إبراز ما لم يحصل باللفظ الدالّ

على المعنى الحاصل فعلاً؛ ومرجع ذلك أن الموت من شأنه الوقوع الحتمي، فعومل معاملة ما قد وقع حقاً .

3 - تفاؤل السامع به أو إظهار رغبة المتكلم في وقوعه، كقولك : «إن ظفرتُ بحسن العاقبة تصدقتُ بكذا». مقتضى الظاهر أن يعبرَ في الجملتين بلفظ المضارع، لكنّه خولف هذا الظاهر فعبرَ بالماضي لغرض إبراز المعنى المستقبل باللفظ الدال على المعنى الحاصل بالفعل؛ لأحد أمرين : بحصول التفاؤل للسامع بحصول ما يُسرّ به، وإظهار الرغبة من المتكلم في بوقوعه ، فإنّ الطالب إذا عظمت رغبته في حصول أمرٍ يكثر تصوّره إياه، فربّما يخيلُ إليه حاصلًا، فيعبرُ عنه بلفظ الماضي .

4 - التعويض، وهو أن يُنسب الفعل إلى واحدٍ، والمراد غيره مع وجود القرينة، كما في قوله تعالى : «لئنْ أشركتَ ليحبطنَّ عملك» والخطابُ هنا للمصطفى صلّى الله عليه وسلم، وعدمُ إشراكه أمرٌ مقطوع به، فكان المقتضى أن يؤتى في جملة الشرط بالفعل المضارع الدال على المعنى الاستقبالي، لكنّه خولف الظاهر فعبرَ بلفظ الماضي إبرازاً للإشراك، وهو غير حاصل البتّة، في معرض الحاصل على سبيل الغرض والتقدير ؛ تعريضاً بمن صدر عنهم الإشراك بأنهم قد حبطت أعمالهم . ومما هو بيّنٌ في ذلك قوله سبحانه : «لئنْ أتبعنَّ أهواءهمْ بعدما جاءك من العلمِ إنكُ إنا لمن الظالمين». قال صاحب الكشاف : هذا كلام ورد على سبيل الغرض والتقدير، وفيه لطف بالسامعين معين وزيادةً تحذير ، واستفطاعٌ لحال من يترك الدليل بعد إنارته ويتبع الهوى .

وعن حسن التعريض في هذا الموضع يقول الخطيب القزويني :
«ووجهُ حُسْنِهِ اسْمَاعُ الْمُخَاطَبِينَ الْحَقَّ عَلَى وَجْهِ لَا يَزِيدُ غَضَبَهُمْ، وَهُوَ
تَرْكُ التَّصْرِيحِ بِنَسَبَتِهِمْ إِلَى الْبَاطِلِ، وَيُعِينُ عَلَى قَبُولِهِ لِكَوْنِهِ أُدْخِلَ فِي
إِمْحَاضِ النَّصِيحِ، حَيْثُ لَا يَرِيدُ إِلَّا مَا يَرِيدُ لِنَفْسِهِ.»

- الأغراض البلاغية لدخول «لَوْ» على الجملة المضارعية :

أسلفنا القول إن «لَوْ» للشرط في الماضي مع القطع بانتفاء الشرط؛
فبترتب على ذلك عدم الثبوت والمضي في جملتها. وهذا هو مقتضى
الظاهر، لكنّه قد يُخالف هذا المقتضى وتدخل «لَوْ» على المضارع لأغراض
يقتضيها المقام ، ومن ذلك :

1 - الإشارة إلى أن المضارع الذي دخلت عليه يُقصد استمراره فيما
مضى : وقتاً بعد وقت، وحصوله مرة بعد أخرى، كما في قوله سبحانه
: «وَأَعْلَمُوا أَنْ فِيكُمْ رَسُولًا لَوْ يَطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ» .
مقتضى الظاهر أن تدخل «لَوْ» على ماضٍ فيقال مثلاً : «لو أطاعكم»
لكنّه خوفاً للمقتضى وعبراً عن الشرط بلفظ المضارع للدلالة على
امتناع استمرار فعل الإطاعة منه - عليه الصلاة والسلام - في
الماضي . قال الزمخشري : «إنما قيل يطيعكم لكون أطاعكم للدلالة
على أنه في إرادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه» .

2 - تنزيل المضارع منزلة الماضي؛ لصدوره عن المستقبل عنده كالماضي
في تحقق الوقوع ولا تخلف في إخباره، كما في قوله سبحانه : «وَأَوْ
تَرَى إِذِ الْمَجْرَمُونَ نَاكِسُ رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ» . معلوم أن رؤية المجرمين
ناكسي رؤوسهم تحدث يوم القيامة، أي في المستقبل، ومن ثمّ عبر

عنها بالمضارع الدال على المستقبل، لكن دخول لو على المضارع خروج على المقتضى، لقصد تنزيل الفعل المضارع منزلة الماضي في تحقق الوقوع، ولم يعبر عن هذا المستقبل بصيغة الماضي بعد تنزيله منزلة لأمرين :

1 - صدور الإخبار عمّن لا خلاف في إخباره ولا اختلاف في كلامه - وهو الباريء سبحانه - فالتعبير بالماضي والمستقبل عنده سواء في تحقق الوقوع .

2 - استحضار الصورة عند المخاطب، وهي صورة رؤية المجرمين ناكسي رؤوسهم، واعتادها حاصله مائة أمام العين استثناعاً لها

ثامناً - إيراد المسند معرفة :

يؤتى بالمسند معرفاً بإحدى طرق التعريف لأغراض بلاغية، منها :

1 - إفادة السامع الحكم على أمر معلوم عنده بإحدى طرق التعريف بأمر آخر مثله في كونه معلوماً للسامع بإحدى طرق التعريف، كقولك : «على أخوك» و«زيد المنطلق» . ويحدث هذا عندما يكون المخاطب عالماً بأن هناك في الخارج ذاتاً معينة تسمى «علياً، ويعلم أن له في الخارج أخاً، لكنه لا يعرف أن تلك الذات المسماة «علياً» هي نفسها المتصفة بالأخوة، فتقول له أنت : «علي أخوك»؛ فهنا المتصفة بالأخوة، فتقول له أنت : «علي أخوك»؛ فهنا تكون قد أفدته الحكم . والأمر كذلك في «زيد المنطلق» .

2 - إفادة السامع لازم الحكم على أمر معلوم بأخر مثله، كقولك : «خالد الفائز»، ويحدث هذا عندما يكون المخاطب عالمٌ بأن ثمة في الخارج

ذاتاً معينة تسمى «خالداً» وأن هذه الذات هي التي تتصف بـ «الفوز»، فتقول له أنت: «خالد الفائز»، فههنا تكون قد أفدته لازم الحكم؛ وهو أنك عالمٌ بنسبة الفوز إلى خالد .

3 - إفادة قصره على المسند إليه «حقيقة» كقولك : «زيد الأمير» إذا لم يكن أميراً سواه - أو «ادعاء»، كقولك : «عمرو الشجاع»؛ أي الكامل الشجاعة، فيخرج الكلام في صورة توهم أن الشجاعة لم توجد إلا فيه ، وذلك لعدم الاعتداد بشجاعة سواه .

4 - تقريره للمسند إليه وبيان أن ثبوته له أمرٌ مقرر لا يشك فيه أحد، وأنه ظاهر تماماً. ومنه في القريض قول حسان رضي الله عنه :

وإن سنامَ المجدِ من آلِ هاشمٍ بنُ بنتِ مخزومٍ ووالدك العبدُ
والشاهد قوله : «ووالدك العبدُ»، حيث عرّف المسند، ذلك يقصد تقرير صفة العبودية لوالده وإثباتها له، وإعلان أن حاله في العبودية مما لا شبهة فيه، قال عبد القاهر : «ووالدك عبد لم يكن قد جعل حاله في العبودية حالة ظاهرة متعارفة» .

ومنه قول الآخر :

أسودٌ إذا ما أبدت الحربُ نأبها وفي سائرِ الدهرِ الغيوثُ المواطرُ
فقد أكد سخاهم وقرره .

5 - الإشارة إلى بلوغ المسند إليه في الصفة مبلغ الكمال، وذلك كقولك : هو البطل المحامي» .

وفي هذا الوجه يقول عبد القاهر : «إن للخبر فيه مسلماً دقيقاً ولحاً كالخلس يكون المتأمل عنده - كما يقال - يعرف وينكر»، ويقول فيه أيضاً:

«وهذا فنٌ عجيبٌ الشأن وله مكانٌ من الفخامة والنبل، وهو من سحر البيان الذي تقصر العبارة عن تأدية حقه»، ومنه في الشعر قول ابن الرومي :

هو الرجلُ المشروكُ في جُلِّ مالهٍ ولكنّه بالمجد والحمدِ مفردُ
وقول الفرزدق يهجو الحجاج :

زمانٌ هو العبدُ المقرُّ بذلِّه ولكنّه بالمجد والحمدِ مفردُ
وقول الأخطل في خالد بن عبد الله بن أسيد :

هو القائدُ الميمونُ والمتبقي بهِ ثَبَاتُ رَحَى كَانَتْ قَدِيمًا تَزَلُّ

ولعلك أدركتَ أنّ مجيء المسند الخبر معرّفًا بـ «أل» في الأبيات الثلاثة قد فعل فعله في تأكيد بلوغ المسند إليه مبلغ الكمال في الصفة التي تضمنها الخبر، فكان ابن الرومي قال : هو الرجل المتصف بكمال الرجولة؛ وكان الفرزدق قال : هو العبد المتصف بكمال العبودية؛ وكان الأخطل قال : هو القائل المتصف بكمال القيادة .

تاسعاً - إيراد المسند نكرة :

يؤتى بالمسند نكرة لأغراض بلاغية، أهمها :

1- إرادة عدم الحصر والعهد، كأن تقول : «عليّ فارسٌ» و«محمدٌ طبيبٌ» حيث تريد مجرد الإخبار بثبوت الفروسيّة لـ «عليّ» والطّب لـ «محمد»، لا حصر الفروسيّة في عليّ، ولا الطّب في محمد، وكذا لا يراد أنّ أحدهما معهود، بحيث يُراد الفروسيّة المعهودة، أو الطّب المعهود .

2 - التّفخيم والتّعظيم، كما في قوله سبحانه : «هدى للمتّقين»؛ فـ «هدى»

يصح أن تكون خبراً لـ «ذلك الكتاب»، أو خبر المبتدأ محذوف أي :
«هو هدى للمتقين»، حيث جيء بالمسند منكرًا للدلالة على فخامة هداية
الكتاب وكمالها، وأنها بلغت مبلغاً عظيماً. ومثله قوله سبحانه : «إن
زلزلة الساعة شيء عظيم» .

3- التَّحْقِيرُ وَالْإِمَانَةُ، كما تقول : «الحاصلُ لي من هذا المالِ شيء
حقير».

عاشراً - إيراد المسند مقدماً :

يقدم المسند على المسند لأغراض، منها :

1 - تخصيصه بالمسند إليه على المسند، كقولك : «مسلمٌ أنا» و«عربيٌّ أنا».
حيث أفاد تقديم المسند في المثالين «مسلم» و«عربي» قصرَك على صفة
الإسلام، ثم العروبة، لا تتجاوزها إلى صفة أخرى ككونك شرقياً أو
غريباً، مثلاً .

ومن هذا قوله سبحانه : «لا فيها غولٌ». الغول ما يتبع شرب الخمر
في الدنيا من وجع الرأس وثقل الأعضاء، وتقديم المسند هنا لإفادة
قصر المسند إليه «غول» على هذا المسند «لا فيها». ويقول البلاغيون
إن المراد هنا أحد أمرين :

- قصرُ الغول على اتصافه بعدم حصوله في خمور الجنة، فلا يتجاوز
إلى اتصافه بحصوله في خمور الدنيا .

- قصرُ عدم الغول على اتصافه بحصوله في خمور الجنة، فلا
يتجاوزه إلى اتصافه بعدم حصوله في خمور الدنيا .

ومنه قوله سبحانه: «لكم دينكم ولي دين» أي: دينكم مقصورٌ على اتصافه بكونه لكم، لا يتجاوز إلى اتصافه بكونه لي؛ وديني مقصورٌ على الاتصاف بكونه لي لا يتجاوز إلى اتصافه بكونه لكم .

2- التنبية من أول الأمر على أن المسند خبرٌ لا نعت، كتقول حسن يمدح المصطفى عليه الصلاة والسلام:

لَهُ هِمَمٌ لَا مَنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصُّغْرَى أَجْلٌ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مَعَشَرَ جُودِهَا عَلَى الْبِرِّ كَانَ الْبِرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ
والشاهد في قوله: «له همم»، حيث قدّم المسند على المسند إليه تنبيهاً من أول الأمر على أن المقدم خبرٌ لا نعت. ومثله قوله: «له راحة»؛ إذ أفاد تقديم المسند «له» على المسند «راحة» أن المقدم خبر لا نعت .

ومنه قوله سبحانه: «ولكم في الأرض مستقرٌّ» من أول الأمر أن المقدم خبر لا نعت .

3- التفاؤل، أي إسماع المخاطب من أول الأمر ما يسرّ، كما تقول لمن ينتظر إجابةً منك: «إيجاب» أي «إيجابُ الأمر أو الحال»، وتقول العامة في زماننا: «حِنْطَةٌ» أي «حِنْطَةُ الأمر»؛ بمعنى: حيد، لإيثارهم الحِنْطَةَ على الشعير، وتقول لصاحبك: «ناجحٌ أنت»، ومنه في الشعر قول الشاعر:

سَعِدَتْ بِفِرَّةٍ وَجْهَكَ الْأَيَّامُ وَتَزَيَّنَتْ بِبِقَائِكَ الْأَعْوَامُ
حيث قدم المسند «سعدت» والمسند «تزينت» على المسند إليه «الأيام» و«الأعوام» يقصد إسماع المخاطب منذ البدء ما يتفاعل به .

4- التَّشْوِيقُ إِلَى ذِكْرِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ بِتَضَمُّنِ الْمَسْنَدِ مَا يَشْوِقُ إِلَى تَعْرِفِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ. وَمِنْهُ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ وَهَيْبٍ يَمْدَحُ الْخَلِيفَةَ الْمُعْتَصِمَ :
ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
جِيءَ بِالْمَسْنَدِ الْخَبِيرِ «ثَلَاثَةٌ» مُقَدِّمًا ؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى وَصْفِ مَشْوِقٍ لَذِكْرِ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ .

وكذا قول الشاعر :

وَكَالنَّارِ الْحَيَاةُ فَمَنْ رَمَادٌ أَوَّخَرُهَا وَأَوْلَهَا دَخَانٌ
قَدَّمَ الْمَسْنَدَ الْخَبِيرَ «كَالنَّارِ» عَلَى الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ «الْحَيَاةُ»؛ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى وَصْفِ مَشْوِقٍ إِلَى الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ .

5- الْمِسَاءَةُ نَكَايَةً بِالْمَخْطَبِ، كَقَوْلِ الْمُتَنَبِّيِّ :

وَمَنْ نَكَدَ الدُّنْيَا عَلَى الْحَرِّ أَنْ يَرَى عَدُوًّا مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدُّ
قَدَّمَ الْمُتَنَبِّيُّ الْمَسْنَدَ «وَمَنْ نَكَدَ» عَلَى الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ (المصدر المؤول المقدر
بـ «رؤية»): لِإِظْهَارِ أَنَّهُ مُسْتَاءٌ مِنَ الْمَخَاطَبِ مُرِيدًا لِإِغْضَابِهِ . وَتَقْدِيرُ
الْكَلَامِ : رُؤْيَا الْحَرِّ عَدُوًّا لِأَبَدٍ مِنْ صِدَاقَتِهِ مِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا وَإِيْلَامِهَا .

أسئلة واجاباتها حول أحوال المسند (1)

- أذكر نواعي إيراد المسند على أحواله المختلفة من : ذكر وحذف، وتعريف وتكبير ، وتقديم وتأخير ، وغير ذلك من الأحوال في الجمل الآتية :

- 1 - ذاك نهرُ الفراتِ .
- 2 - أنتَ في بيتك ونحن في بيوتنا مقيمون .
- 3 - الله ربِّي . محمدٌ نبِيُّ . أبو ريشةُ الشاعِرُ . هو الوفيُّ حين تشدُّ الخطوبِ .
- 4 - لو نحن نعلم ما في الغيب لاخترنا الواقعِ .
- 5 - أنتَ أحيِرُ .
- 6 - يقدَسُ له آناء الليل وأطراف النهار رجالٌ مخلصون .
- 7 - قال سبحانه : «هدى للمتقين» .
- 8 - عنتره فارسٌ شاعرٌ وحسانٌ شاعرُ الرسولِ عليه الصلاة والسلامِ .
- 9 - قال سبحانه : «لم يكن شيئاً مذكوراً» .
- 10 - قال سبحانه : «اللهُ ملكُ السمواتِ والأرضِ» .

- الإجابات :

- 1 - عرف المسند «نهر الفرات» بالإضافة؛ لإفادة السامع حكماً بأمرٍ معلوم له على أمر آخر معلوم له كذلك .
- 2 - حذف المسند إلى أنت؛ احترازاً عن العبث في ذكره لقيام القرينة

عليه في قوله «ونحن في بيوتنا مقيمون»؛ إذ يقدر الكلام هكذا أنت
في بيتك مقيم ونحن في بيوتنا مقيمون

3 - عرّف المسند «رَبِّي» و«نَبِيِّ»؛ لإفادة قصره على المسند إليه حقيقة؛
وعرّف المسند «الشاعر»؛ لقصره على المسند إليه «أبوريشة» ادعاءً،
مبالغةً لكمال معنا. في المسند إليه؛ فإنّ معنى هذا التعبير : أبوريشة
هو الكامل الشاعرية وعرّف المسند «الوفّي»؛ لإفادة قصره على المسند
إليه على سبيل الحقيقة منظوراً فيها إلى التقييد بالظرف .

4 - حذف المسند إلى «نحن» وتقديره «نعلم»؛ اتباعاً للاستعمال الوارد
على حذفه في مثل هذا التركيب، فإنّ «لو» لا تدخل في استعمالات
العرب إلا على الأفعال.

5 - حذف المسند إلى «رجال» وتقديره «يقدّس»؛ لتقدّم قرينة عليه، هي
وقوعه في جواب سؤال مقدر؛ فكان سائلاً سأل : ومن يقدّس له؟
فقال : رجال مخلصون أي يقدّس له رجال مخلصون.

6 - حذف المسند إلى «رجال» وتقديره «يقدّس»؛ لتقدّم قرينة عليه، هي
وقوعه في جواب سؤال مقدر؛ فكان سائلاً سأل : ومن يقدّس له؟
فقال : رجال مخلصون، أي يقدّس له رجال مخلصون.

7 - نكر المسند «هدى»؛ لإفادة التفخيم؛ إذا المعنى - والله أعلم - حدى
لا يكتنه كُنْهه.

8 - خصّص المسند «فارس» بالوصف «الشاعرية» وخصّص المسند
«شاعر» بالإضافة إلى الرسول عليه الصلّاة والسّلام؛ لتكون الفائدة
أتمّ ببيان أنّ عنتره فارس، وهو مع ذلك شاعر لا مفحّم، وأنّ حسان

شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام لا شاعر غيره من الناس.

9 - نكّرا المسند «شيئاً»؛ لقصد التحقير.

10 - قدّم المسند «تُكْمٌ»؛ لإفادة تخصيصه بالمسند إليه؛ أي قصر المسند إليه على المسند؛ فإنّ المعنى هو : ملكُ السمواتِ والأرضِ مقصورٌ على الاتصافِ بآئنه لله.

أسئلة وإجاباتها حول أحوال السند (2)

— أذكر دواعي إيراد المسند على أحواله المختلفة من : ذكر وحذف، وتعريف وتكثير وتقديم وتأخير، وغير ذلك من الأحوال في الجمل الآتية:

1 - أبو عبيدة انتصر، وعمر أمره نافذ

2 - قال سبحانه : «ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين».

3 - له عزمةٌ لاتنتهي.

4 - سعدنا بقدمك.

5 - أحمد حفظ القرآن في بيته

6 - ثلاثة ليس لها إياب الوقت الجمال والشباب

7 - في عافية أنت.

8 - صحتي جيدة ورزقي على ربي.

9 - عربي أنا.

10 - «محمدٌ نبياً» في إجابة من قال : من نبيكم؟

- الإجابات :

- 1 - جيء بالمسند الأول «انتصر» جملةً لقصد إفادة تقوي الحكم. وجيء بالمسند الثاني «أمره نافذ» جملةً لكون هذا المسند سببياً أي جملةً علقت على مبتدأ بعائد ليس هو مسنداً إليه في هذه الجملة.
- 2 - قدم المسند «له» للتنبيه من أول الأمر على أنه خبر لا نعت.
- 3 - قدم المسند «سعدنا» للتفاؤل بسماع ما يسرّ المخاطب
- 4 - قيد المسند «حفظ» بالمفعول «القرآن» والظرف «في بيته» لقصد تربية الفائدة وتكثيرها
- 5 - قدم المسند «ثلاثة...» يقصد التشويق إلى المسند إليه.
- 6 - قدم المسند «في عافية» لقصد التفاؤل بسماع ما يسرّ.
- 7 - ذكر المسند «على ربي» لضعف التعويل على القرينة السابقة؛ إذ لو حذف «على الله» لما دلّ عليه «جيدة»..
- 8 - قدم المسند «عربي»؛ لإفادة تخصيصه بالمسند إليه؛ أي قصر المسند إليه على المسند.
- 9 - ذكر المسند «نبينا» رغم علمه من قرينة السؤال؛ للتعريض بغباوة السائل والإشارة إلى أنه بليد، لا يفهم مما تقدّمه القرينة.

أسئلة وإجاباتها حول أحوال السند (3)

- أذكر دواعي إيراد المسند على أحواله المختلفة من : ذكر وحذف، وتعريف وتنكير، وتقديم وتأخير، وغير ذلك من الأحوال في الجمل الآتية :

- 1 - الطلبة يذكرون دروسهم.
- 2 - قال سبحانه : «يخادعون الله وهو خادعهم».
- 3 - قال سبحانه «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله».
- 4 - قال سبحانه : «إن الله بريء من المشركين ورسوله».
- 5 - الطلاب في فصولهم.
- 6 - دين الإسلام فخر للمسلمين.
- 7 - قال سبحانه : «كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا».
- 8 - قال سبحانه : «لولا أنتم لكننا مؤمنين».
- 9 - أحمد الأديب وسعيد خطيب الحي».
- 10 - وصل القطار».

- الأجابات :

- 1 - جيء بالمسند «يذكرون» فعلاً؛ لقصد تقييده بأحد الأزمنة الثلاثة، والدلالة على التجدد والاستمرار على أخصر وجه.
- 2 - ذكر المسند الأول يخادعون؛ لإفادة أنه فعل، حيث يفيد التجدد

والحدوث، والتقييد بأحد الأزمنة الثلاثة. وذكر المسند الثاني «خادعهم»؛ لإفادة أنه اسم، حيث يفيد الثبوت مطلقاً.

3 - حذف المسند إلى «الله» ويقدر بـ «خلقهن»؛ لدلالة القرينة عليه في السؤال.

4 - حذف المسند إلى «ورسوله»، ويقدر بـ «بريء منهم أيضاً». للاحتراز عن العبث: إذ لو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثاً؛ لأنه لا حاجة إليه.

5 - جيء بالمسند ظرفاً (جاراً ومجروراً) لقصد اختصار الكلام؛ فهو أخصر من أن يصرح فيه بالمتعلق.

6 - ذكر المسند «فخر»، للدلالة على كمال الفخر، وأنه بلغ مبلغاً عظيماً.

7 - قيّد المسند «دخل» بالشرط؛ لإفادة تكرار وجود الرزق عندها بتكرار الدخول.

8 - حذف المسند إلى «أنتم»، ويقدر بـ «موجودون» إتباعاً للاستعمال الوارد على حذفه.

9 - عرف المسند الأول بـ «ال»، والمسند الثاني بالإضافة؛ لإفادة السامع الحكم بأمر معلوم له على أمر آخر معلوم له كذلك.

10 - جيء بالمسند مجرداً عن التقييد؛ لقيام المانع من إكمال الفائدة؛ وهو خوف فوات الفرصة لو أنه قال: وصل القطار إلى الموقف.

دواعي تقديم بعض المعمولات علي بعض :

يحدث أن يقدم بعض معمولات الفعل على بعض لدواع، أهمها :

1 - أصالة تقدم بعضها على بعض، ولا مقتضى للعدول عن تلك الأصالة، كالفاعل في قولك : «قرأ أحمدُ الكتابَ»؛ حيث قُدِّمَ الفاعل على المفعول لأنه عمدة في الكلام، وحقه أن يلي الفعل. ويشبهه في أصالة التقديم «المفعول الأول»، كقولك : «أعطيتُ محمدًا ديناراً»؛ حيث قُدِّمَ المفعول الأول «محمدًا»؛ لأنَّ أصله التقديم، لما فيه معنى الفاعلية، أي أخذَ العطاء.

2 - كون ذكره أهمَّ والعناية به أتمَّ، وذلك بأن يكون تعلق الفعل بذلك المقدم هو المقصود بالذات تبعاً لاعتناء المتكلم أو السامع بشأنه، كقولك : «أنشأت الجامعة شركة وطنية»، ذلك لأن الأهم في تعلق الإنشاء هو الجامعة المنشأة، ليرتادها نشأة الثقافة. ويتجلى ذلك واضحاً في الأيتين الكريمتين :

«وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ»

«وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ»

حيث قُدِّمَ ذكرُ المخاطبين في الأولى «نرزقكم وإياهم» دون الثانية «نرزقهم وإياكم» لأنَّ الخطاب في الأولى للفقراء، وهؤلاء رزقهم أهمُّ عندهم من رزق أولادهم لأنهم يعيشون بأنفسهم آثار الفقر والفاقة، وهكذا قُدِّمَ الوعدُ برزقهم على الوعد برزق أولادهم لاستدعاء المقام ذلك. أمَّا الخطاب في الثانية فللأغنياء وهؤلاء رزق أولادهم هو المطلوب عندهم دون رزقهم لأنهم مرزوقون، وهكذا قُدِّمَ الوعد برزق

أولادهم على الوعد برزقهم لاستدعاء المقام ذك.

3 - أن يتضمّن تأخير المفعول إخلالاً بالدلالة المرادة، فداعي التقديم دفعُ توهم غير المراد. كما في قوله سبحانه : «وقال رجلٌ مؤمنٌ من آل فرعونَ يُكتمُ إيمانه». قُدّم قوله سبحانه : «من آل فرعونَ» على قوله «يكتمُ إيمانه» حتى لا يُتوهم أن «من آل فرعونَ» متعلقٌ بـ «يكتمُ»؛ ويترتب على ذلك إخلال بالمعنى المراد، وهو بيان أن الرجل من آل فرعون لإفادة ذلك مزيدَ عناية به ورعاية له من الباريء، سبحانه.

4 - أن يتضمّن التأخيرُ إخلالاً بالتناسب الموسيقي، فيقدّم لرعاية الفاصلة، كما في قوله سبحانه : «فأوجسَ في نفسه خيفةً موسى». حيث قُدّم في الآية الكريمة الجار والمجرور «في نفسه» والمفعول له «خيفة» على الفاعل «موسى» لرعاية مابعدَه من الفواصل المختومة بالآلف، لتكون الألفاظُ على نسقٍ واحدٍ يخلب اللبُ ويأخذ بزمام السمع. وهذا ملمح موسيقيّ تحرص عليه لغة البيان العالِي.

أغراض حذف المفعول :

يُحذف المفعول أحياناً من اللفظ، ويجعل البلاغيون لحذفه شرطين : وجود القرينة، الغرض الموجب للحذف. والحق أن الأغراض الموجبة للحذف كثيرة، ولكن أهمها :

1 - البيان بعد الإبهام، كما في فعل المشيئة والإرادة ونحوهما، إذا وقع شرطاً. وذلك كما في قوله سبحانه : «ولو شاء الله لهداكم أجمعين». أي : لو شاء الله هدايتكم لهداكم أجمعين». وتتمثل جمالية الحذف هنا في أنه عندما قيل «لو شاء» وقع في نفس المتلقي أن ثمة شيئاً تعلق

به فعلُ المشيئة من حيث وقوعه عليه، لكنّه مبهمٌ عنده، فعندما جاء
الجوابُ أبانه وأوضحه بعد الإبهام الذي اكتنفه أولاً، وإذ ذاك تتلقاه
النفس تلقى المترقب المنتظر فيقع منها موقع الماء البارد من فؤاد
الظاميء.

ومثله قوله سبحانه: «فإن يشأ الله يخيم على قلبك»؛ أي إن يشأ الله
الختم على قلبك يختم عليه.

ومنه في حالة النفي مما جاء في الشعر قول البحتري :

لوشئت لم تُفسد سماحة حاتمٍ كرماء، ولم تهدم مآثر خالدٍ

أي : لوشئت عدم إفساد سماحة حاتم وعدم هدم مآثر خالد لم
تفسد ولم تهدم، لكنّه حذف مفعول المشيئة قصداً إلى البيان بعد
الإبهام.

واشترط البلاغيون ألا يكون في تعلق الفعل بالمفعول غرابة، إذ
بوجود الغرابة لا غنى عن ذكر المفعول لتقررده في نفس السامع
وتؤنسّه به، كأن تقول : «لوشئت أن أغدو وزيراً غداً لغدوت»، ولو
أردت أن أردّ على الأمير لرددت». ويستشهدون على ذلك بقول
الشاعر :

لوشئت أن أبكي دماً لبكيتّه عليه، ولكن ساحة الصبر أوسع

والشاهد قوله : «أن أبكي دماً»، حيث ذكر المفعول بعد فعل المشيئة
في الشرط لغرابة أن يبكي الإنسان دماً؛ وذلك ليتقرر في نفس

السّامع ويأنس به.

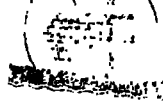
2 - دفع توهم إرادة غير المراد ابتداءً - كقول البحترى :

وكم ذُدتَ عني من تحاملِ حادثٍ وسورةِ أيامِ حَزْزَنَ إلى العظم
معنى «حززن» : قطعن اللحمَ إلى العظم. وههنا حُذِفَ المفعول
«اللحم»؛ لئلا يتوهم السّامع، قبل ذكر «إلى العظم»، أن الحزّ كان في
بعض اللحم، ولم ينته إلى العظم، وهكذا جاء الحذف دفعاً لهذا
التوهم ابتداءً قبل مجيء القيد.

3 - إرادة ذكر المفعول ثانياً، على نحو يتضمّن إيقاعَ الفعل على صريح
لفظه، لا على الضمير العائد إليه؛ إظهاراً لكمال العناية بوقوع الفعل
عليه. كما في قول البحترى :

قد طلبنا فلم نجد لك في السُّؤِّ ددٍ والمجدِ والمكارمِ مثلاً
الشاهد في قوله : «قد طلبنا»، حيث حذف مفعول طلب وهو «مثلاً»؛
لقصد إيقاع الفعل «لم نجد» على صريح لفظ «مثلاً» بدلاً من ضميره
كأن يقول : قد طلبنا مثلاً لك فلم نجده. وما جاء به البحترى مناسباً
للمبالغة في المدح التي يناسبها ما يكون نصّاً صريحاً. ولأجل هذا
المعنى عكس ذو الرّمة في قوله ما جياً :

ولم أمدح لأرضية بشعري لنيماً أن يكون أصاب ما لا
إذ كان مراده إيقاع نفي المدح على اللئيم صريحاً وإيقاع الإرضاء



على ضميره، وفي هذا ما فيه من قصد التحقير والتّهوين.

4 - قصد التعميم في المفعول المحذوف مع الاختصار، كأن تقول : «لقد حدث مايفجع»؛ أي كلُّ أحدٍ، فقد حذف المفعول ههنا لقصد إفادة العموم بقرينة أن المقام للمبالغة في وصف الفاجعة.

ومنه قوله سبحانه : «واللهُ يدعُو إلى دارِ السّلام»؛ أي جميعَ عباده، وفارق ما بين إفادة العموم في المثالين أنّها في الأول على طريق المبالغة، وفي الآية الكريمة على طريق التّحقيق.

5 - قصد الاختصار الصّرف عند قيام قرينة، كقولهم : «أصغيتُ إليه» أي : أذني. وقد حذف المفعول هنا لمجرد الاختصار. ومنه قوله سبحانه : «ربّ أرني أنظرُ إليك»؛ أي أرني ذاتك.

6 - رغبة الفاصلة أو مراعاة الوزن في المنظوم :
- الأول كقوله سبحانه : «والضحى والليل إذا سجى ما ودّعك ربُّك وما قلى».

أي : «ما قلاك»، بمعنى : «ما كرهك». وقد حذف المفعول هنا حفاظاً على روى الفاصلة في «والضحى» و«سجى»، و«الأولى».... إلخ آخر السورة.

- الثاني كما في قول الشاعر :

بناها فأعلي والقنا يقرعُ القنا وموجُ المنايا حولها متلاطمُ

أي : «فأعلاها»؛ وقد حذف المفعول حفاظاً على وزن البيت؛ فهو ضرورة.

7 - استهجان ذكر المفعول - كما في قول السيدة عائشة رضي الله عنها
تحدثت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم : «مارأيتُ منه ولا رأيتُ
منِّي»، أي العورة؛ وقد حذف المفعول استهجاناً لذكره.

8 - قصد إخفائه عن الآخرين خوفاً عليه، كقولك : «السلطانُ يحبُّ
ويكره»، ويكون ذلك بوجود القرينة على المحذوف كأن تريد أن تقول :
يحبُّني ويكره أحمد، مثلاً.

9 - التمكن من إنكاره إن مسّت الحاجةُ إليه - كأن تقول : «قاتلَ اللهُ»
وتسكت، تريد «فلاناً» من الناس بوجود قرينة عليه، وهنا حذف
المفعول ليكون في مقدورك إنكاره إذا ما اتهمت بالدعاء على فلان.
فتقول مثلاً : ما قصدته.

10 - تعيينه حقيقةً أو ادعاءً :

- الأول كقولك : «نحمدُ ونشكرُ»، تقصد «الله» سبحانه، حذف
المفعول وهنا لتعین (ثبوت) أنه المحمود المشكور حقيقة، وكقولك :
«شربت الدابة» تريد : الماء، وقال سبحانه: «لينذر بأساً شديداً»، أي :
الذين كفروا .

- الثاني كأن تقول : «تمرُّ وتزورُ»؛ أي تمرُّ دار فلانٍ وتزوره، حذف
المفعول لادعاء تعيينه وأنه مستحقُّ الزيارة الأوحى في البلد.

11 - إيهام صونه عن لسانك لسمو منزلته، أو صون لسانك عنه لدنو
منزلته :

- الأول كقولك : «نخشى ونتقي»، تريد : الله جلّ وعلا.

- الثاني كقولك : «لعن الله وطرد»، تريد : إبليس، عليه لعنة الله.

أغراض تقديم المفعول ونحوه علي الفعل :

الأصل في العامل أن يُقدّم على معموله، لكن الأمر قد يُعكس فيتقدّم المفعول من مفعول ونحوه من سائر المعمولات على الفعل لأغراض بلاغية تستدعيها المقامات، ومن ذلك :

1 - إفادة التخصيص، أي قصر الفعل على معموله لا يتعداه إلى غيره، كما في قوله سبحانه : «إياك نعبد وإياك نستعين». أي : نخصك بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك، ولا نستعين به. وكقولك : «خالداً رأيتُ»، تقدّم المفعول على الفعل بقصد إفادة قصر الرؤية على خالد. وغالباً ما يكون ذلك لردّ خطأ المخاطب في تعيين المفعول.

2 - مجرد الاهتمام بأمر المقدم. كقولك : «الحقّ قلتُ» و«العيش الذليل أبيتُ».

3 - المسارعة في التبرّك به أو التلذذ أو المسرة أو المساءة. وأمثلة ذلك على الولاة :

- «اللّه سألتُ». و«خاتم المرسلين صلّى الله عليه وسلّم، أجبْتُ».

- « طرابلس قصدتُ » و« وطني عشقتُ ».

- « خيراً لقيتُ » و« راحةً أنستُ ».

- « راحلاً غيرُ أيبٍ ودعتُ » و« شرّاً كُفيتُ ».

4 - كون المفعول محطّ إنكار. كأن تقول : «أطولّ الدهرِ ترحلُ وتنزِلُ؟». حيث قدّم معمول ترحل وهو «طولّ الدهر»؛ لكونه محطّ الإنكار. ومن هذا قول أي نؤيب الهذلي :

أمنض المنونٍ وربّها تتوجّعُ والدهرُ ليس بمعبٍ من يجزّعُ

قدّم الشاعر الجار والمجرور «من المنون» - وهما معمول الفعل تتوَجّع
- لكونهما محطّ إنكار وتعجب
وكقول الشاعر :

أَكُلُ امرئٍ تحسبين امرأً ونارٍ توقدُ بالليل ناراً

5 - مجازاة كلام السامع - كأن تقول : «محمدًا قصدتُ» في إجابة من
سألك :

«من قصدتَ؟». قدّمتَ المفعولَ ليوافقَ مقابله في السؤال : مَنْ
الاستفهامية.

6 - الحِفاظ على الوزن في الشعر أو رعاية الفاصلة في النثر :
- الأول كقول الشاعر :

سريعُ إلى ابن العمِّ يلطمُ وجهَهُ وليس إلى داعي الندى بسريع
أي : بسريع إلى داعي الندى، حيث قدّم الجارَ والمجرورَ «إلى داعي»
على متعلّقه «سريع» للمحافظة على الوزن في الشعر.
- الثاني كما في قوله سبحانه : «خُذْرُوهُ فغَلُّوه، ثمَّ الجحيمَ صَلُّوه، ثمَّ
في سِلْسِلَةٍ ذرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ». وكقوله سبحانه : «فَأَمَّا
الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ».

ففي الآية الأولى قدّم المفعول «الجحيم» على الفعل «صَلُّوه»، وقدّم
الجار والمجرور «في سِلْسِلَةٍ» على الفعل «فاسلُكوه» مراعاةً للفاصلة،
وكذا في الآية الثانية قدّم المفعول «اليتيم» على الفعل «تَقْهَرْ»
والمفعول «السائل» على الفعل «تَنْهَرْ» مراعاةً للفاصلة أيضاً.

أسئلة وإجاباتها حول متعلقات الفعل (1)

– بَيِّنْ أسباب حذف المفعول أو تقديمه على الفعل فيما يأتي :

- 1 – قال سبحانه : «فلو شاء لهداكم أجمعين».
- 2 – برُّ حشاي إن استطعت بلفظةٍ فلقد تضرُّ إذا تشاء وتنفع
- 3 – قال سبحانه : «إياك نعبدُ وإياك نستعين».
- 4 – اردنا فلم نجد مثيلاً لك في الشجاعة.
- 5 – قال سبحانه : «خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه».
- 6 – وجدتُ فيك مايسرُّ.
- 7 – قال سبحانه : «والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى».
- 8 – آياتٍ بيناتٍ تلوتُ.
- 9 – قال سبحانه : «أهذا الذي بعثَ اللهُ رسولا».
- 10 – حسنَ السيرة – رافقتُ.
- 11 – قال سبحانه : «ولتكنَّ منكم أمةٌ يدعون إلى الخيرِ ويأمرونَ بالمعروفِ».
- 12 – سلمى كلمتُ.
- 13 – قال سبحانه : «فإن يشأ اللهُ يختم على قلبك».
- 14 – سعدنا إلى القمة.
- 15 – التقيتُ بخصمي فتراشقنا ببذيءِ الكلام، فقال لي، وقلتُ له.
- 16 – الله الكريم أسألُ.

الإجـابات :

- 1- حذف مفعول شاء، وتقديره «هدايتكم»؛ للبيان بعد الإبهام؛ ليكون أوقع في النفس.
- 2- حذف مفعول تضرّ وتنفّع، حيث تقدير الكلام : تضرّني وتنفعني؛ لتنزيل الفعل المتعدّي منزلة اللازم؛ فإن المراد : يحصل منك ضرر ونفع.
- 3- قدم المفعول «إيّاك» في الموضعين؛ للتخصيص؛ إذ المعنى : نخصّك بالعبادة ونخصّك بالاستعانة.
- 4- حذف مفعول أردنا وتقديره «مثيلاً»؛ لإرادة ذكره ثانياً على وجه يتضمن إيقاع الفعل على صريح لفظه؛ لكمال العناية به والاهتمام بوقوعه.
- 5- قدّم المفعول «الجحيم» على الفعل؛ لرعاية الفاصلة.
- 6- حذف مفعول مايسرّ، وتقديره «كلّ أحد»؛ لقصد التعميم مع الاختصار.
- 7- وحذف مفعول «قلّي»؛ لرعاية الفاصلة السابقة؛ إذ تمام الكلام : قلاك.
- 8- قدّم المفعول «آيات» على الفعل؛ للتبرّك به .
- 9- حذف مفعول بعث وتقديره «بعثه»؛ لمجرد الاختصار.
- 10- قدّم المفعول «حسّن»؛ للاهتمام به .

11 - حذف مفعول «يدعون» وتقديره «الناس»، ومفعول «يأمرون»، وتقديره «الناس» أيضاً؛ لقصد التعميم مع الاختصار.

12 - قَدَمَ المفعول «سلمى» على الفعل؛ للتلذذ بذكر المقدم.

13 - حذف المفعول وتقديره «الختم»؛ لبيان بعد الإيهام.

14 - حذف المفعول وتقديره «الجبل» مثلاً؛ لدفع توهم غير المراد ابتداءً؛ إذ لو ذكر الجبل قبل «إلى القمة»، لربما توهم المتلقي أن الصعود كان إلى بعض الجبل، وهو غير مراد.

15 - حذف مفعول قال وقلت؛ لاستهجان التصريح به .

16 - قَدَمَ المفعول؛ للتعجيل بالتيمن به .

أسئلة وإجاباتها حول تقديم بعض متعلقات الفعل (2)

- بين الأسباب التي دعت إلى تقديم بعض متعلقات الفعل فيما يأتي :

1 - أنشأ يمزق أثوابي يؤدبني أبعده شيببي يبغني عندي الأدبا ؟

2 - في منزلي استقبلتك .

3 - أبعده أن بات عبداً لله مرتهاً تحت الثرى يرتجى صفوً وينتظر

4 - فرحاً قلت لك .

5 - بيد العفاف أصون عز حجابي وبعصمتي أسمو على أترابي

6 - قال سبحانه : « وبالآخرة هم يوقنون » .

7 - قال سبحانه : « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم

شهاداً » .

- 8 - قال سبحانه : «بَلِ اللّٰهَ فاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشّٰكِرِينَ» .
- 9 - إلى الله كلُّ الأمرِ في الخلقِ كلِّهمُ وليس إلى المخلوق شيءٌ من الأمرِ
- 10- سريعٌ إلى ابنِ العمِّ يلطمُ وجهَهُ وليس إلى داعي النّدى بسريع
- 11- إلى الله أشكو لا إلى الناسِ حبُّها ولا بدُّ من شكوى حبيبٍ يروءُ
- 12- أكلُ الدهرِ حِلٌّ وارتحالٌ أما يُبقي عليّ ولا يُقيني

- الإجابات :

- 1- قدّم الظرف في قوله : «بعد شيبتي» لأنه محطّ إنكار .
- 2- قدّم الجار والمجرور «في منزلي»؛ لتخصيصه بالفعل .
- 3- قدّم الظرف «بعد»؛ لأنه محطّ إنكار .
- 4- قدّم الحال «فرحاً» ؛ لأنه موضع العناية والاهتمام .
- 5- قدّم الجار والمجرور في مطلع الصدر والعجز؛ لإفادة التّخصيص .
- 6- قدّم الجار والمجرور «بالآخرة»؛ لإفادة التّخصيص .
- 7 - أخّر الجارّ والمجرور بعد شهادتهم في الأول؛ لأنّ الغرض إثبات شهادتهم على الناس، وقدّم في الثاني على شهادتهم؛ لاختصاصهم بكون الرسول عليه الصلاة والسلام شهيداً عليهم .
- 8- قدّم المفعول «الله» ؛ لإفادة الاختصاص .
- 9 - قدّم الجارّ والمجرور في الأول «إلى الله»؛ لاختصاص الله سبحانه بكون كلِّ الأمر له، وقدّم الجارّ والمجرور على اسم ليس في الثاني؛ لاختصاص المخلوق بنفي كون شيءٍ من الأمر له.

تعريف القصر :

القَصْرُ في اللغة : الحَيْسُ، وامرأةٌ مقصورةٌ وقصورةٌ وقصيرةٌ :
محبوسةٌ في البيت، لا تُتْرَكُ أن تخرج، ومنه قوله سبحانه : «حورٌ
مقصوراتٌ في الخيام»، أي محبوساتٌ فيها.

وفي الاصطلاح : تخصيصُ شيءٍ بشيءٍ بطريقٍ مخصوصٍ .

مكَرَوَاتُ أسلوبِ القَصْرِ :

يتكوّن أسلوبُ القصر من طرفين هما : المقصُورُ والمقصُورُ عليه، ومن
أداة القصر . تقول مثلاً : ماشوقِيُ إلا شاعراً. تريد بهذا التعبير
تخصيماً شوقيّاً بـ «الشعر»، وقصره على هذه الملّكة. تقول هذا رداً على
من ظنّ أنّه شاعرٌ وكاتبٌ، مثلاً، وفي مثالنا هذا :

«شوقي» هو المقصور؛ لأنك قصرته على صفة الشعر .

«شاعر» هو المقصور عليه؛ لأنك قصرت شوقياً عليه، حيث جلسته
على هذه الصفة لا يتجاوزها إلى الكتابة مثلاً .

أمّا الطريقُ المخصوصُ للقصر في هذا المثال هو النفي «ما» و
الاستثناء «إلا» .

وفي القصر سنّةٌ موضوعات للبحث :

الأول - تقسيم القصر تبعاً لغرض المتكلم

الثاني - تقسيم القصر تبعاً لحال المقصور

الثالث - تقسيم القصر الإضافي تبعاً لحال المخاطب

الرابع - طرق القصر

الخامس - مواقع القصر في الجملة

السادس - الأغراض البلاغية للقصر

أولاً - تقسيم القصر تبعاً لغرض المتكلم

ينقسم القصر تبعاً لغرض المتكلم إلى قسمين : حقيقي وإضافي.

- الحقيقي : وهو تخصيصُ الشيء بالشيء لا يتجاوزه إلى سواء حقيقةً أو ادّعاء . ومن القصر الحقيقي حقيقة قوله سبحانه : « لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا »، حيث قُصِرَتْ صفةُ الألوهية على ذات الله (سبحانه) قصراً حقيقياً؛ ويعني هذا أنها لا تتجاوزه (جلّ وعلا) إلى سواء .

أما القصر الحقيقي الادّعائي فكتقول الشاعر :

لا سيفَ إِلَّا ذو الفقارِ رولا فتى إِلَّا عليّ

فكلُّ من هذين القصريين حقيقيُّ على وجه الادّعاء من الشاعر؛ ذلك أنه يزعم هذا على سبيل المبالغة الشعرية مفترضاً أن غير «ذي الفقار» من السيوف، وغير «عليّ» من الفتيان، في حكم المعلوم. وواضح أن الحقيقي حقيقة ينظر فيه إلى الحقيقة والواقع، والحقيقي ادّعاءً يُنظر فيه إلى الادّعاء اعتماداً على جعل ماسوى المقصور عليه في حكم غير الموجود.

- الإضافي : وهو تخصيصُ الشيء بالشيء قياساً أو إضافةً إلى شيء معين، بحيث لا يتعداه إلى ذلك الشيء، وإن صحَّ أن يتعداه إلى شيء آخر. تقول : «ما شاعرٌ إِلَّا شوقي»؛ أي لا حافظ مثلاً. فأنت هنا قصرت

الشعر على شوقي بحيث لا يتجاوزه إلى «حافظ». ويصح أن تخلع الصفة على غير حافظ. فقصرُ الشعر على شوقي جاء مقارنة مع حافظ لا مع كل الشعراء.

ثانياً - تقسيم القصر تبعاً لحال المقصور :

ينقسم القصر تبعاً لحال المقصور على قسمين :

- (أ) قصر الصفة على الموصوف ، وذلك بتقديم الصفة على الموصوف، كأن تقول من القصر الحقيقي حقيقةً : « لا إله إلا الله»، حيث قصرت صفة الألوهية على ذات الله (سبحانه) قصراً حقيقياً حقيقة؛ حيث لا تتجاوزه هذه الصفة إلى غيره (سبحانه). وتقول من الحقيقي ادعاءً : «ما عادل إلا عمر»؛ حيث قصرت صفة العدل على عمر رضي الله عنه مدعياً أن عدالة غيره مما لا يُعتدّ به، وهي في حكم المعلوم. وتقول من الإضافي : «ما شاعر إلا عمر أبو ريشة» أي : لا نزار القباني، مثلاً .
- (ب) قصر الموصوف على الصفة ، وذلك بتقديم الموصوف على الصفة، لقولك من القصر الحقيقي : «ما زيد إلا كاتب»، إن أردت عدم اتصافه بغير صفة الكتابة. وهذا الضرب لا يكاد يوجد لتعذر الإحاطة بصفات الشيء. ومن هنا يُحمل هذا المثال على القصر الحقيقي الإدعائي الذي يقصد فيه المبالغة وعدم الاعتداد بصفة غير الصفة المقصور عليها. ومثله من الإضافي قولك : «ما حسنان إلا شاعر الرسول عليه الصلاة والسلام»، أي : لا خطيبه، مثلاً .

ثالثاً - تقسيم القصر الإضافي تبعاً لحال المخاطب :

ينقسم القصر الإضافي تبعاً لحال المخاطب على ثلاثة أقسام :

1 - قصر القلب - ويخاطب به من يعتقد عكس الحكم الذي أثبتته المتكلم .
كقولك من قصر الصفة على الموصوف : «مامجتهدُ إلا أحمدُ» رداً
على من اعتقد أن المجتهد «محمدٌ» لا «أحمدُ». وسمي هذا الضرب
قصر قلبٍ، لأنك تقلب به الحكم على المخاطب، وهو هنا قلبُ الحكم
بالاجتهاد من محمد إلى أحمد .

2 - قصر الأفراد - ويخاطب به من يعتقد الاشتراك. كقولك من قصر
الصفة على الموصوف : «ماناجحُ إلا خالدٌ»، ردّاً على من اعتقد
اشتراك سعيد - مثلاً - مع خالد في صفة النجاح هذه . وسمي
قصر أفرادٍ؛ لأنه يقطع الاشتراك الذي اعتقده المخاطب، وهو هنا
اشتراك سعيد مع خالد في النجاح.

3 - قصر التعيين - ويخاطب به المتردد بين شيئين. كقولك من قصر
الصفة على الموصوف : «مانكيُّ إلا حسينٌ»، خطاباً لمن تردد بين
ذكائه وذكاء أخيه «حسن» مثلاً. وسمي قصر تعيينٍ؛ لتعيينه ما هو غير
معين عند المخاطب، وهو هنا تعيين الذكاء في «حسين» دون «حسن» .

رابعاً - طُرقُ القصر :

طرق القصر الاصطلاحية التي يركّز عليها البلاغيون أربع :

1 - النفي والاستثناء - ويلي المقصورُ عليه فيهما أداة الاستثناء، ومثاله
من قصر الصفة قصرأ حقيقياً قولك : «لا هادي إلا الله»، ومن قصر

الموصوف قوله سبحانه : «وما محمد إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل». ومن قصر الصفة إضافياً قوئك : «ماشاعرُ إلا زهير»، أي : لا النَّابِغَة ، مثلاً. ومن قصر الموصوف إضافياً قوئك : «ما الجاحظ إلا كاتبٌ»، أي : لا شاعر.

2- «إنما» - والمقصود عليه معها هو المؤخر . ومثاله من قصر الصفة قصرأ حقيقياً قوئك : «إنما شاعرُ زهيرٌ» أي : لا غير زهير . ومن قصر الموصوف قوئك : «إنما زهيرٌ شاعرٌ» أي : لا غير شاعر . ومن قصر الصفة إضافياً قوئك : «إنما شاعرُ زهيرٌ» أي : لا النَّابِغَة . ومن قصر الموصوف قوئك : «إنما زهيرٌ شاعرٌ» أي : لا خطيب .

ويذهب البلاغيون إلى أنّ «إنما» أفادت معنى القصر؛ لأنها تتضمن معنى (النفي والاستثناء)؛ فقوئك : «إنما زهيرٌ شاعرٌ» معناه: ما زهير إلا شاعر .

كما يقول علماء البلاغة إنّ أحسن مواقع «إنما» في الاستعمال عندما يراد بها التعريض . ومن ذلك قوله سبحانه : «إنما يتذكرُ أولو الألباب». فالآية الكريمة تنقل حقيقةً هي قصر التذكُر وبيّن الحق على نوي العقول؛ لكنّ هذه الحقيقة غير مرادة هنا؛ لأنها تحصيل حاصل. بل المراد كما يقولون : التعريض بدم الكفار وتبيان أنهم لفرط عنادهم وتمكّن الهوى منهم في حكم من لا عقل له ولا أمل البتة في تذكره .

3- العطف بـ «لا» وبـ «بل» وبـ «لكن» :

- أما في العطف بـ «لا» فيكون المقصودُ عليه هو المقابل لما بعدها،

ومنه في قصر الصفة قصراً حقيقياً قولك : «زهيرٌ شاعرٌ لا غير زهير»؛ قصرتَ الشعرَ على زهير . ومنه في قصر الموصوف قولك : «زهير شاعرٌ لا غير شاعر»؛ قصرتَ زهيراً على الشعر . ومنه في قصر الصفة إضافياً قولك : «زهيرٌ شاعرٌ لا النابغة»؛ قصرتَ الشعرَ على زهير بالنسبة إلى النابغة، ومنه في قصر الموصوف إضافياً قولك : «زهيرٌ شاعرٌ لا خطيب»؛ قصرتَ زهيراً على الشعر بالنسبة إلى الخطابة .

- وأما في العطف بـ «بل» وبـ «لكن» فيأتي المقصور عليه بعدهما . مثال العطف بـ «بل» في قصر الصفة قولك : «ما زهيرٌ خطيبٌ العرب بل قسّ ابنُ ساعدة»؛ قصرتَ خطابة العرب على قسّ بن ساعدة . ومنه في قصر الموصوف قولك : «ما زهيرٌ خطيبٌ بل شاعرٌ» . قصرتَ زهيراً على الشعر . وتقول في العطف بـ «لكن» في قصر الصفة : «ما زهيرٌ فارسٌ لكنّ عنترَةٌ»؛ قصرتَ الفروسيّة على عنتره . وفي قصر الموصوف : «ما زهيرٌ فارسٌ لكنّ شاعرٌ»؛ قصرتَ زهيراً على الشعر .

4 - تقديم ماحقسه التأخير :

والمقصور عليه في هذا الضرب هو المقدم، ومنه في الذكر الحكيم قوله سبحانه : «إياك نعبدُ وإياك نستعين»؛ قصرتَ العبادة والاستعانة على البارئ جلّ وعلا . ويكون المعنى عندئذ : نخصّك بالعبادة والاستعانة . والآية من قصر الصفة على الموصوف . ومن قصر الموصوف في هذا الباب قولك : «تميميُّ أنا»؛ قصرتَ الموصوف «أنا» على الصفة «تميمي» . وقد أفاد ذلك تقديم الخبر على المبتدأ .

وجوه الاختلاف بين طرق القصر :

تتشترك طرق القصر الأربع في إفادتها القصر كما أسلفنا، لكنها تتباين فيما بينها في أمور :

1 - دلالة «التقديم» على الحصر بالفحوى أي بمفهوم الكلام، ودلالة الثلاثة الباقية بالوضع. ويعني هذا أن القصر الذي يفيد تقديم ماحقه التأخير يعرفه صاحب الذوق السليم بتأمله مفهوم الكلام وإن لم يعرف اصطلاح البلاغيين في ذلك . أما القصر الذي تقيده الثلاثة الباقية فبالوضع، فقد بين العلماء أنّ «لا» العاطفة موضوعة للنفي بعد الإثبات، و«بل ولكن» موضوعتان للإثبات بعد النفي، وهذان المعنيان مفيدان للقصر . والنفي والاستثناء موضوعان للنفي والإخراج من حكم النفي، ويدلّ هذا المعنى على القصر. وتتضمن «إنما» معنى النفي والاستثناء؛ ومن ثم تفيد القصر .

2 - الأصل في العطف النصّ على المثبت والمنفي معاً. تقول : «زهيرٌ شاعرٌ لا النابغة»، فتنصّ على من أثبت له صفة الشعر وهو «زهير»، وعلى من نفيتها عنه، وهو «النابغة». وكذا الشأن مع «بل» و«لكن». وأما في الثلاثة الباقية فالنصّ على المثبت فحسب .

3 - أنّ النفي بـ «لا» العاطفة لا يجامع النفي والاستثناء، فلا يصحّ أن تقول : «مازيدٌ إلا قائمٌ لا قاعدٌ»؛ لأنّ شرط جواز النفي بـ «لا» أن لا يكون ما قبلها منقياً بغيرها من أدوات النفي . لأنك إذا قلت : «مازيدٌ إلا قائمٌ» قصدت نفي كل صفة وقع فيها التنازع، والصفة التي تنفيها بـ «لا» بعد هذا (لا قاعدٌ، في مثالنا المتقدم) داخلة فيما وقع

فيه التنازع . وهكذا فإنك عندما تقول «لا قاعد» بعد «مازید إلا قائم» تكون قد نفيت بها شيئاً هو منفيٌ قبلها . ويصح الإتيان بـ «لا» العاطفة مع «إنما» و«التقديم» فتقول : «إنما أنا تميمي لا قيسي» و«محمدأ أكرمتُ لا علياً» .

4 - أن أصل «النفي والاستثناء» أن يستعملا في أمرٍ من شأنه أن يجهله المخاطب وينكره أو فيما هو منزلٌ هذه المنزلة؛ فلا يصح استعمالهما في الأمر الظاهر . ومثال الأول أن تقول لصاحبك وقد بدا لك شبحٌ من بعيد : «ماهو إلا زيد»، إذا وجدته يعتقدُه غيرَ زيد ويصرُّ على الإنكار، ومنه قوله سبحانه : «وما من إله إلا الله».. ومثال ما نزلَ منزلة المجهول المنكر مع وضوحه قوله سبحانه : «وما محمدٌ إلا رسول». ويعني هذا أنه - عليه الصلاة والسلام - لا يتعدى الرسالة إلى التبري من الهلاك؛ نزلَ استعظامهم هلاكه منزلة إنكارهم إياه . ومثله قوله سبحانه : «وما أنت بمسمعٍ من في القبور إن أنت إلا نذير». لشدة حرص المصطفى - عليه الصلاة والسلام - على هداية الناس كان يكرر دعوة الممتنعين عن الإيمان دون كلل أو تراجع؛ فنزلَ منزلة من ظنَّ أنه يمتلك مع صفة الإنذار إيجاد الشيء فيما يمتنع قبوله إياه .

ومنه في الشعر قول زهير :

وما الحربُ إلا ما علمتمُ وذقتمُ وما هوَ عنها بالحديثِ المرجمُ

نزلَ زهيرُ الأمر الظاهر المعروف الذي علموه وذاقوا ويلاتِه وهو الحرب منزلة المجهول الذي ينكرونه؛ لما رأى منهم من مواصلة للحرب واستمرار في إيقاد نيرانها دون هوادة .

وأصل «إنمًا» أن تُستعمل في أمر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته، أو فيما ينزل هذه المنزلة. مثال الأول قولك للرجل: «إنمًا هو أخوك» و«إنمًا هو صاحبك القديم». وأنت لا تقول هذا لمن يجهله ويدفع صحته، بل لمن يعلمه ويقرّ به، ولكنك تنبّه على الذي يجب عليه من حقّ الأخ وحرمة الصاحب. ومثاله من الذكر الحكيم قوله سبحانه: «إنمًا تُنذِرُ من اتبع الذكرَ وخشى الرحمنَ بالغيبِ»، وقوله سبحانه: «إنمًا أنت منذرٌ من يخشاها». ومثاله في الشعر قول المتنبي مخاطباً كافوراً الإخشيديّ:

إنمًا أنت والدُ والأبُ القا طبعُ أحنى من واصلِ الأولادِ

ومثال ما نزل منزلة المعلوم قول ابن قيس الرقيّات:

إنمًا مصعبٌ شهابٌ من اللّ به تجلّت عن وجهِ الظلماءِ

ادّعى الشاعر أن كون مصعب على هذه الصّفة أمرٌ معلوم للجميع، فاستخدم في قصره أداة القصر التي تستخدم فيما من شأنه أن يكون معلوماً للمخاطب غير منكر لديه، تنزيلاً للمجهول منزلة المعلوم. ومثاله في الذكر الحكيم قوله سبحانه حكاية عن اليهود:

«وإذا قيلَ لهم لا تُفْسِدوا في الأرضِ قالوا إنّما نحنُ مُصلِحون»،
ادّعوا أنّ كونهم مُصلِحين أمرٌ ظاهر معلومٌ.

5 - مزيّة «إنمًا» على العطف أنّه يُعقل منها الحُكْمان (الإثبات والنفي) دفعةً واحدة. فعندما تقول: «إنمًا زيدٌ كاتبٌ» تكون قد أثبتت له الكتابة ونفيت عنه الشعر، مثلاً، دفعةً واحدة، بخلاف «العطف» في قولك:

«زيدٌ كاتبٌ لا شاعرٌ»؛ حيث يكون ثمة إدراك تدريجيّ: ثبوت الكتابة لخالدٍ أولاً، ثم نفي الشاعرية عنه. ويقول البلاغيون إن تعقل الحكمين معاً أرجح من تعقلهما التدريجيّ؛ إذ يدرك الحصر دفعة واحدة مع «إنما»، ويتوقّم عدم الحصر أول الأمر مع «العطف».

خامساً - مواضع القصر في الجملة :

يقع القصر بين المبتدأ والخبر كما قدّمنا، ويقع أيضاً بين الأشياء الآتية :

1- بين الفعل والفاعل، كما في قوله سبحانه: «إنما يخشى الله من عباده العلماء». قُصر الفعل «يخشى» على الفاعل «العلماء»، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف.

2 - بين لافاعل والمفعول، كقولك: «ماضرب زيدٌ عمراً» ومنه من قصر القلب قوله سبحانه حكايَةً عن السيد المسيح عليه السلام: «ماقلتُ لهمُ إلا ما أمرتني به أن اعبُدوا الله». وفي قصر المفعول على الفاعل تقول: «ماضرب عمراً إلا زيداً».

3 - بين المفعولين، كقولك: «ما أعطيتُ زيداً إلا درهماً» و«ما أعطيتُ درهماً إلا زيداً».

4 - بين متعلقات الفعل كالحال، والتمييز، والظرف، والجار والمجرور. تقول في قصر ذي الحال على الحال: «ما جاء خالدٌ إلا راكباً»، وفي قصر الحال على ذي الحال: «ما جاء راكباً إلا خالدٌ»، وتقول في التمييز: «ماحسُن إبراهيمُ إلا خلقاً» و«ماحسُن خلقاً إلا إبراهيمُ». وتقول في

الظرف : « ما وصلتُ إلا بعدَ الظهرَ »، وفي الجار والمجرور : « ما كتبتُ إلا إليه ».

سادساً - الأغراض البلاغية للقصر :

يحقق البلاغ باستخدام أسلوب القصر أغراضاً كثيرة، يتلمسها من يتأمل السياقات التي يرد فيها هذا الأسلوب. ومن ذلك :

1 - تمكين الكلام وتقريره في الذهن - كقوله سبحانه : « وما محمدُ إلا رسولٌ ».

وكقول الشاعر :

وما المرءُ إلا كالشَّهابِ وضوئِهِ يحوزُ رماداً بعدَ إذ هو ساطعٌ
وقول الآخر :

وما لامرئٍ طولُ الخلودِ وإنما يخلده طولُ النِّناءِ فيخلدُ

2 - المبالغة في المعنى وتصوير الحد الأقصى فيه، كقول الشاعر :

وما المرقُ إلا الأصفرانِ : أسانئُهُ ومعقولُهُ، والجسمُ خلقٌ مصورٌ
وقول الآخر :

لا سيفَ إلا ذو الفقارِ رولا فتىً إلا عليٌّ

3 - التهوين وإصغار الشان، كقول المصطفى عليه الصلاة والسلام، عندما جرحته إصبعه :

« إن أنتِ إلا إصبعٌ دميتُ وفي سبيلِ الله ما لقيتُ »

4- التّعريض، كقوله سبحانه: «إنمَّا يتذكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ». ليس المراد من الآية الكريمة الحقيقة التي تقرّها وهي قصر التذّكر على أرباب العقول، فذلك تحصيل حاصل، بل المراد - والله أعلم - الإشارة إلى أنّ المشركين بسبب عنادهم وفرط مكابرتهم في حكم من لا عقل له ولا لبّ.

ومن جماليات «القصر» أنّه ضربٌ من الإيجاز، ووسيلةٌ لتكثيف الدلالة والتعبير بالقليل من اللفظ عن الكثير من المعنى؛ وتعالُّ جملة القصر جملتين تقريباً، فقولنا: «لا هادي إلا الله» يكافيء قولنا: الهداية من الله، وليس هادياً غيره سبحانه. ويُستعان بهذا الأسلوب في تحديد المعاني تحديداً كاملاً، وخاصة في المسائل العلمية وما هو قريب منها .

أسئلة وإجاباتها حول أسلوب القصر (1)

- بين نوع القصر وطريقه فيما يأتي :

- 1 - ليس عاراً بأن يقال فقيرٌ إنما العار أن يقال بخيلٌ
- 2 - قد علمت سلمى وجاراتها ما قطرَ الفارس إلا أنا
- 3 - وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
- 4 - محاسن أوصاف المغنين جمّة وما قصبات السبق إلا لمعبد
- 5 - ما الدهر عندك إلا روضة أنف يامن شمائله في دهره زهر
- 6 - سيذكرني قومي إذا جدّ جدّهم وفي الليلة الظلماء يفقد البدر
- 7 - قال المصطفى عليه الصلاة والسلام : «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبقيته، أو تصدقت فأبقيته».
- 8 - بكم أدرك الله البرية بعدما سعى لصها فيها وهب غشومها
- 9 - ولو حملتني السرّ سلمى حملته وهل يحمل الأسرار إلا كتومها
- 10 - قال سبحانه : «إن أنتم إلا تكذّبون» .

- الإجابات :

طريقة القصر	نوع القصر تبعاً للمخاطب	نوع القصر تبعاً للواقع	نوع القصر تبعاً للمقصود	الجملة التي جاء فيها القصر
إنما	قلب	إضافي	موصوف على صفة	1- إنما العارُ أن يقال بخيلُ
النفي والاستثناء	تعيين	»	صفة على موصوف	2- ما قطرُ الفارسِ إلا أنا
إنما	تعيين	حقيقي ادعائي	موصوف على صفة	3- إنما الأممُ الأخلاقُ ..
النفي والاستثناء	إفراد	إضافي	صفة على موصوف	4- ما قصباتُ البقِ إلا لعبد
النفي والاستثناء	»	»	موصوف على صفة	5- ما الدهرُ إلا روضةٌ
تقديم الجار والمجرور	»	»	صفة على موصوف	6- وفي الليلة الظلماء يفقد البدرُ
النفي والاستثناء	»	حقيقي	موصوف على صفة	7- ليس لك من مالك إلا
تقديم الجار والمجرور	»	إضافي	صفة على موصوف	8- بكم أدرك الله
النفي والاستثناء	»	»	صفة على موصوف	9- وهل يحمل الأسرار إلا كثرها
النفي والاستثناء	»	»	موصوف على صفة	10- «إن أنتم إلا تكذبون»

أسئلة وإجاباتها حول أسلوب القصر (2)

- بين نوعَ القصر وطريقه فيما يأتي :

- 1 - الله الغفورُ الرحيم .
- 2 - المرءُ بأدابه لا بثيابه .
- 3 - ليس اليتيمُ الذي قد مات والدُه بل اليتيمُ يقيمُ العلمُ والأدبِ
- 4 - وهل يُنبِتُ الخطيُّ إلا وشيجهُ وهل تنبُتُ إلا في مغارسِها النخلُ
- 5 - قال سبحانه: «إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ»
- 6 - عمرُ الفتى ذكرُه لا طولُ مدته وموتهُ خزِيه لا يومه الدأني
- 7 - إلى الله أشكو لا إلى الناس حبُّها ولا بدُّ من شكوى حبيبٍ يروُّع
- 8 - ومن البليَّةِ عدلٌ من لا يرعوي عن غيِّه وخطابٌ من لا يفهمُ

- 9- إنَّ الجديدين في طولِ اختلافهما لا يفسدانِ ولكن يفسدُ الناسُ
10- وما منعتُ داراً ولا عزَّ أهلها من الناسِ إلاَّ بالقنا والقنايلِ

- الإجابات :

طريقة القصر	نوع القصر تبعاً للمخاطب	نوع القصر تبعاً للواقع	نوع القصر تبعاً للمتصور	الجملة التي جاء فيها القصر
تعريف المسند بـ «ال العطف بـ «لا» العطف بـ «بل» النفي والاستثناء	إفراد قلب » إفراد	حقيقي إضافي » حقيقي ادعائي	صفة على موصوف موصوف على صفة صفة على موصوف صفة على موصوف في الموضعين	1- الله الغفور الرحيم 2- المرء بأدابه لا بثيابه 3- ليس اليتيم .. بل اليتيم 4- وهل ينبت إلا .. وهل تثبت إلا
إنما العطف بـ «لا»	حسب المخاطب قلب	إضافي »	صفة على موصوف موصوف على صفة في الموضعين	5- «إنما يخشى الله .. العلماء» 6- عمر الفتى نكروه لا طول .. وموته خزيه لا يومه الداني
التقديم والعطف بـ «لا» تقديم الخبر على المبتدأ العطف بـ «لكن»	» إفراد قلب	» » »	صفة على موصوف موصوف على صفة صفة على موصوف	7- إلى الله أشكو 8- ومن البلية عدلٌ من .. 9- إنَّ الجديدين لا يفسدانِ ولكن يفسدُ الناس
النفي والاستثناء	إفراد	»	صفة على موصوف	10- وما منعتُ داراً .. إلا

أسئلة عن القصر تُطلب إجابتها :

أولاً - حدّد موضع القصر فيما يأتي :

- 1- قال سبحانه: «ما أرتكّم إلا ما أرى». 2- لم ينجح إلا حامدٌ.
- 3- إنما يخشى الآخرة المتقون. 4- ما أعطيتُ إلا لرهمين.
- 5- إنما أعطيتُ أخى ما يحتاج إليه .
- 6- إنما ضربه عليٌّ وهو غاضب . 7- حسنٌ سعيدٌ فكراً لا عملاً .

8 - إنما ذهبتُ إلى طرابلس . 9 - ماسكنتُ إلا عندك .

10- إنما أحزنني سعيدُ تصرفه .

ثانياً - حدّد المقصور والمقصور عليه، ونوع القصر وطريقه فيما يأتي :

1 - قال سبحانه : «إنما أنت مذكرٌ لست عليهم بمسيطر» .

2 - وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

3 - وما الخوفُ إلا ماخوفه الفتى ولا الأمنُ إلا مارأه الفتى أمنا

4 - وما الحربُ إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديثِ المرجم

5 - قال المصطفى عليه الصلاة والسلام : «إن أنت إلا إصبعٌ دُميت وفي سبيل الله مالقيت» .

6 - وما الحرصُ إلا فضلةٌ لو نبذتها لما فاتك الرزقُ الذي أنت آكله

7 - ليس التغرّبُ أن تشكو نوى سفرٍ وإنما ذاك فقد العز في الوطن

8 - إنما هذه الحياةُ متاعٌ والسفیه الغبی من یصطفیها

مامضى فات ، والمؤملُ غيبٌ ولك الساعةُ التي أنت فيها

9 - ولا تصطنعُ إلا الكرامَ فإنهم يجاوزون بالنعماءِ من كان منعما

10- بالعلمِ والمالِ يبني الناسُ ملكهم لا يبني ملكاً على جهلٍ وإقلال

المبحث السادس - الأساليب الإنشائية

ويتضمن:

- الإنشاء لغة واصطلاحاً

- قسماً الإنشاء (غير الطلبي - الطلبي)

- الإنشاء الطلبي وأنواعه :

1 - الأمر (صيغته - خروج صيغته عن دلالتها الأصلية)

2 - النهي (صيغته - الدلالات المجازية لصيغته)

3 - الاستفهام (أنوات الاستفهام : الهمزة - هل - أنواته الأخر -

الدلالات المجازية لأنوات الاستفهام)

4 - التمني (صيغته - استخدام ليت في الترجي لغرض بلاغي)

5 - النداء (صيغ النداء - تنزيل البعيد منزلة القريب - تنزيل

القريب منزلة البعيد - خروج النداء عن دللته الحقيقية إلى

دلالات مجازية)

- وقوع الخبر موقع الإنشاء والأغراض البلاغية لذلك .

الإنشاء لفظة واصطلاحاً :

الإنشاء في اللغة : الإيجاد والإحداث، وكل ما قد حدث فقد نشأ.

وفي اصطلاح البلاغيين : ذلك الكلام الذي لا يحتمل صدقاً ولا كذباً، كقولك : اعلم، هداك الله، أعندك نبأ من كذا ؟ .. الخ. فليس في مقدورك أن تقول لقائل ذلك إنه صادق أو كاذب .

وفي مستطاع المتأمل أن يأنس الفرق بين الإنشاء والخبر اعتماداً على الدلالة اللغوية نفسها :

فالإنشاء إيجاد لصيغة كلامية لا توجد دلالتها قبل النطق بها؛ إذ يقصد المنشئ التعبير عن دلالة تحدث بنطقه بالتعبير الإنشائي. وهذا خلاف الخبر الذي يصف حقيقة يرمي المتكلم إلى إعلام المخاطب بها. ومن ثم يقول البلاغيون في تعريف الإنشاء : «هو ما لا يحصل مضمونه ولا يتحقق إلا إذا تلفظت به».

قسما الإنشاء :

الإنشاء قسماً : طلبياً ، وغير طلبياً .

أما غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب. ويضم مجموعة من الصيغ :

1 - المدح والذم ويكونان بـ «نعم» و«بئس» و«حسن» و«حبذا» و«لا حبذا» .. الخ .. وأمثلة ذلك من الذكر الحكيم قوله سبحانه :

«واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير» .

«ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون» .

«وَحَسُنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا» ، «وَحَسُنَتْ مَرْتَفَعًا» .
«فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ» ، «أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ» .
وتقول : «حَبِذَا الْجَاهِلِيَّةُ بِلَدَاءِ» ، و«لَا حَبِذَا دِيَارُ أَنْتَ فِيهَا مَظْلُومٌ»

2 - العُقُود : وتكثر في الماضي كقولهم : بَعْتُ ، اشْتَرَيْتُ ، وَهَبْتُ ، أَعْتَقْتُ ، قَبِلْتُ . وقد تجيء بغيره كقولهم : «أنا بائعٌ» ، «عبي حُرٌّ» ، «موافقٌ» ... الخ .

3 - القَسَمُ : ويكون بالواو ، والباء ، والتاء - ويغيرها . كقوله سبحانه:
«وَاللَّهُ رِيئًا مَّا كُنَّا مُشْرِكِينَ» .
«لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ» .
«تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ» .
وكقوله : «لعمرك ما أخطأت في هذا» .

4 - التَّعْجِبُ : ويكون قياساً بصيغتيه المعروفتين «ما أفعله» و«أفعل به» .
كقوله سبحانه : «قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ» ، وقوله سبحانه : «أَسْمِعْ بِهِمْ
وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا» .

ويكون سماعاً بغيرهما ، نحو : «لله أنت!» و«لله نزه فارساً» . وكقوله
سبحانه : «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم» . وقوله سبحانه :
«أتأمرون الناس بالبر وتتسون أنفسكم وأنتم تفلون الكتاب» .

5 - الرجاء ويكون بحرف واحد هو «لعل» ، وثلاثة أفعال هي : عسى ،
حرى ، اخلوق .

ومثال الرجاء بـ «لعل» قول ذي الرمة :

لعل انحدارَ الدَّمعِ يُعقِبُ راحةً منَ الوجْدِ، أو يشفي شجِيَّ البَلابلِ
ومثاله بـ «عسى» قوله سبحانه: «عسى الله إن يأتي بالفتح أو أمرٍ من
عنده» .

ومثاله بـ «حري» قول الأعشى :

إن يقلُّ هنُّ من بني عبدِ شمسٍ فحريُّ أن يكونَ ذاك، وكانا
ومثاله بـ «اخلاق» قولك : «اخلاق الحق أن يظهر» .

وسوى ذلك من الصيغ التي لا يطلب بها شيء .

ولا يهتم علماء المعاني بالإنشاء غير الطبي لقلة الأغراض البلاغية
المتعلقة به، ولأن جمهرة صيغة أخبار نُقلت إلى معنى الإنشاء .

الإنشاء الطبي وأنواعه :

وهو «ما استدعي مطلوباً غير حاصلٍ وقت الطلب»، أو هو «ما يتأخر
وجودُ معناه عن وجود لفظه» . تقول لصديقك : «ادرس ، يا محمد» .
وتعبيرك هذا يتضمن صيغتين من صيغ الإنشاء الطبي هما : الأمر،
والنداء . فقولك «ادرس» استدعي شيئاً مطلوباً هو «الدراسة»، وهي شيء
غيرها غير حاصلٍ عند تلفظك بطلبه . وقولك : «يا محمد» استدعي مطلوباً
هو «إقباله» عليك وانتباهه، وهو شيء غير حاصلٍ عند تلفظك بطلبه .
وكذا فإن مدلول كل من التعبيرين يتأخر عن وجود لفظه .

وما نبخته من أنواع الإنشاء الطلبي هنا خمسة هي :

1 - الأمر 2 - النهي 3 - الاستفهام 4 - التمني 5 - النداء

وسنأتي على بحثها مفصلة إن شاء الله تعالى .

مبحث الأمر :

الأمرُ هو طلبُ حصولِ الفعلِ على جهة الاستعلاء. ويعني الاستعلاءُ أن يَعدَّ الأمرُ نفسهَ عالياً، سواء أكان عالياً على الحقيقة ونفس الأمر أم ادعاءً. ومثال الأمر، بمعنى طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء الحقيقي، قولُ السيدِّ لعبده : احضِرْ حالاً. ومثاله على جهة الاستعلاء الادعائي قولُ العبد لسيدِّه : احضِرْ حالاً، على سبيل التعاضم .

ويتخذ الأمرُ أربعَ صيغٍ هي :

1 - فعل الأمر - كقوله سبحانه حكايةً عن اليهود لموسى عليه السلام : «اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا»، وقوله سبحانه : «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ»، وقوله سبحانه : «ذُرُّهُمْ يَخُوضُوا ويلعبوا حتى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ».

2 - المضارع المقرون بلام الأمر - كقوله سبحانه : «لِنُنْفِقَ نَوْ سَعَةً مِنْ سَعَتِهِ»، وقوله سبحانه : «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ»، وقوله سبحانه : «وَأَيُّكُمُ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ».

3 - اسم فعل الأمر - ومنه «عَلَيْكُمْ»، وهو اسم فعل أمر بمعنى «الزموا»، وقد جاء في قوله سبحانه : «عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لا يضرُّكُمْ مَنْ ضلَّ إِذَا

اهتديتُمْ». و«بَلَّة» بمعنى «دَع»، وقد جاء في قول الشاعر :
تَدْرُ الْجَمَاجِمُ ضاحياً هاماتها بَلَّةُ الأَكْفُ كَانَتْها لم تُخَلِّقِ
و«إِيه» بمعنى «استمر»، كما في قول محمد الفراتي :
إِيهٍ يا بلبِلَ الفراتِ ترنمُ فوقَ شُطآنِهِ وحيُّ الوُودِأ
4 - المصدر النائب عن فعل الأمر - كقوله سبحانه : «وبالوالدين
إحساناً»، أي : أحسنوا إلى الوالدين إحساناً، وكقوله سبحانه : «وإذا
لقيتُم الذين كفروا فضرب الرقاب» ، أي : اضربوا الرقاب ضرباً .
وكقولك : «صبراً في الضراءِ وشكراً في السراءِ» .
وهكذا فالدلالة الحقيقية للأمر هي : الطلبُ على جهة الاستعلاء .

خروج صيغ الأمر عن معناها الأصلي :

قد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي وهو «الطلب على جهة
الاستعلاء» إلى معانٍ آخر، تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال. وأهم
هذه المعاني :

1 - الدعاء - حين تُستعمل الصيغة في سياق التضرع والاستغاثة
والاستعانة. ويكون عادةً في خطاب الأدنى لمن هو أعلى منزلةً منه،
كما في قوله سبحانه حكاية عن إبراهيم عليه السلام : «ربِّنا فاجعلْ
أفئدةً من الناس تهوي إليهم». .
وكقوله سبحانه : «ربُّ أوزعني أنْ أشكرَ نِعْمَتَكَ التي أنعمتَ عليّ» .

ومنه في الشعر قول المتنبي يخاطب سيف الدولة :

أخا الجود، أعطِ الناسَ ما أنتَ مالكُ ولا تُعطينَ الناسَ ما أنا قائلُ
وقول عمر أبو ريشة يدعو ربه أن يحيل ديار العروبة فقراً إن كانت
ستعطي الرجال الشجمان :

رُدِّهَا قَفَرَاءَ إِنْ شَسْتِ وَمَوْجِهَا رِمَالاً

نَحْنُ نَهَوَاهَا عَلَى الْجَدْبِ إِذَا أُعْطَتْ رِجَالاً

2 - الالتماس - وهو طلب حصول الفعل حين يصدر عن شخص إلى مساويه قدرأً ومنزلةً. ومن أمثله هذه الصيغ للأمر التي تتقاطر في خطاب أحد الشعراء لصاحبه :

يا مزاجاً من رقة الزهر والفج	ر ومن روعة الضحى والمساء
بلكي التفريد صوتك يسري	في خيالي منورا كالرجاء
شجيعني على الجهاد تربي	أنطق الصخر أرتقي للسماء
علميني معنى الطلاقة والخل	د مقيماً ياربة الإيحاء
طهريني بفيض قدسك ما استطع	ت، وألقي علي ثوب الرضاء
وارفعيني إلى سمائك أنشد	ك شِعراً يمجج موج الضياء
وأفيض علي بالوحي أبداع	كل لحن معبر عن وفائي

ويتبين المتأمل بيسر أن أفعال الأمر التي تضمنتها الأبيات خرجت عن دلالتها الأصلية، وهي طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء، إلى معنى الالتماس؛ لأن الشاعر وصاحبه على مستوى واحد من القدر والمنزلة .

3 - التَّهْدِيد - حين تُستعمل الصيغة في سياق عدم الرضى بالأمور به، كقوله سبحانه: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ». وقوله سبحانه: «فَتَمَتُّوْا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»، وقوله سبحانه: «فَذَرْنِي وَمَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ».

ومثله في الشعر قول الشاعر:

فَطَلَّقَهَا فَلَسْتَ لَهَا بِكَفٍّ وَالْأُ يَعْلُ مَفْرَقَكَ الْحُسَامُ

4 - التَّعْجِيز - حين تُستعمل الصيغة في سياق إظهار عجز المدعي، كقوله سبحانه: «فَاتُّوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ»، وقوله سبحانه: «يامعشر الجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُتُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُتُوا لَا تَنْفُتُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ».

ومنه في الشعر قول الشاعر:

أُرُونِي بِخَيْلٍ طَالَ عُمُرًا يَبْخُبُ وَهَاتُوا كَرِيماً مَاتَ مِنْ كَثْرَةِ الْبَذْلِ

5 - التَّسْخِير - حين تُستعمل الصيغة في سياق يكون فيه المأمور منقاداً لما أمر به، كقوله سبحانه: «كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ». فليس في مقدورهم أن يفعلوا ما أمروا به، وهو أن يكونوا قردة، لكنهم وجدوا قدرة الله سبحانه قل تسلطت عليهم وأحالتهم إلى قردة صاغرين مطرودين، دون أن يكون لهم سلطان فيما حل بهم .

6 - الإهانة - حين تستعمل الصيغة في سياق عدم إقامة وزن للمأمور، كقوله سبحانه: «كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً»، وقوله سبحانه: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ»، وقوله سبحانه حكايةً عن موسى عليه السلام

يخاطب السحرة : «أتقوا ما أنتم ملقون» .

وقارق ما بين التسخير والإهانة أنه في التسخير يحصل الفعل، أي صيورتهم قردة، وفي الإهانة لا يحصل، إذ المقصود هو قلة المبالاة بهم .

7 - الإباحة - حين تُستعمل الصيغة في سياق توهم المخاطب حظر الإتيان بالشيء، كقول سبحانه : «كُلُوا واشربُوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر»، وقوله سبحانه : «فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض»، وقوله سبحانه : «فكاتبهم إن علمتم فيهم خيراً» .

ومنه في الشعر قول كثير عزة :

أسيئي بنا أو أحسنني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت

أي : مهما اخترت في حقي من ضروب الإساءة والإحسان فانا واخر به غاية الرضا، وإن تفاوت حالي إزاءك في الحالين .

8 - التسوية بين الشيتين - حين تُستعمل الصيغة في سياق يتوهم المخاطب فيه رجحان أحد الطرفين المتساويين، كقوله سبحانه : «اصبرُوا أو لا تصبرُوا»، وقوله سبحانه : «أنفقُوا طوعاً أو كرهاً لن يُقبلَ منكم» . فليس المراد في الآيتين الأمر بالصبر أو الإنفاق، بل بيان أن الصبر وعدمه سيان (في الأولى)، والإنفاق طوعاً والإنفاق كرهاً سيان في القبول (في الثانية) .

ومنها في الشعر قول المتنبي :
عِشْ عَزِيزاً أَوْ مَتَّ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ مَلْعَنِ الْقَنَا وَخَفَقِ الْبُنُودِ
9 - التمني - حين تُستعمل الصيغة في سياق طلب أمر لا طمع في
حصوله، كقول امرئ القيس :

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انجَلِ بِصَبْحٍ، وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْتَلٍ
وقول عنقرة :

يَادَارَ عِبَلَةٌ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي وَعِمِّي صِبَاحاً دَارَ عِبَلَةٍ، وَاسْلَمِي
فالليل لا يصح أن يطلب منه الانجلاء، ودار عبلة لا يصح أن يطلب
منها التكلّم .

10- الامتنان - حين تُستعمل الصيغة في سياق إظهار الفضل وإسداء
الشكر، كقوله سبحانه : «فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ»، وقوله سبحانه : «كُلُوا
مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ» .

11- الإكرام - حين تُستعمل الصيغة في سياق بيان الأهلية والاستحقاق،
كقوله سبحانه : « ادْخُلُوا بِسَلَامٍ آمِنِينَ»، وقوله سبحانه : «فادْخُلِي
فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي» .

12- الدوام - حين تُستعمل الصيغة في مطلوب حاصل عند الطلب، كقوله
سبحانه : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا»، وقوله سبحانه : «اهدنا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ». والمعنى : داوموا على إيمانكم، وأدِّم علينا هداية الصِّرَاطِ
المستقيم .

13- الإِذْنُ - حين تُستعمل الصَّيْفَةُ في سياقِ بيانِ جوازِ الأمرِ والإِذْنُ به .
تقول لمن طرق الباب : « ادخل »، تريد أنك أذنت له بالدخول .

14- النُّصْحُ والإِرشاد - حين تُستعمل الصَّيْفَةُ في سياقِ التعلِيمِ وبيانِ ما ينبغي فعله، كقوله سبحانه : « إذا تدايبتُمُ بدينٍ إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل » .

ومن الأمر الذي خرج إلى النُّصْحِ والإِرشاد قولُ ابنِ الورديّ :
واهجرِ الخمرَةَ لا تحفلِ بها كيف يسعى في جنونٍ من عقلٍ
وقول أحمد شوقي :

تخلقِ الصُّفْحَ تُسَعِّدُ في الحياةِ بهِ فالنفسُ يسعدها خلقٌ ويشقيها
15- الإِعبار - حين تُستعمل الصَّيْفَةُ في سياقِ أخذِ العظة، كقوله سبحانه :
« انظروا إلى ثمرِهِ إذا أثمرَ »، وقوله سبحانه : « قلِّ سيرواً في الأرضِ
فانظروا كيف كان عاقبةَ المجرمين » .

16- التَّعجُّبُ - حين تُستعمل الصَّيْفَةُ في سياقِ الاستغراب، كقوله
سبحانه : « انظرْ كيف ضربوا لك الأمثالَ »، وكقولك متعجباً :
« اسمعوا ما يقول فلان ! » .

17- التَّلهيفُ أو التحسير - حين تُستعمل الصَّيْفَةُ في سياقِ النكايَةِ
والتَّشفيِّ بالخصم، كقوله سبحانه : « قلِّ موتوا بغيظِكُمْ » . ومنه في
الشعر قول جرير :

موتوا من الغيظِ غمّاً في جزيرتِكُمْ لَنْ تقطعوا بطنَ وادٍ دونه مضرُّ

والحق أن ثمة معاني كثيرة غير هذه يخرج إليها الأمر، ويتبينها المتأمل بشيء من إعمال البصيرة .

مبحث النهي :

وهو طلب الكف عن الفعل استعلاءً. والاستعلاء المراد هنا ضربان :
حقيقي، كقول السيد لعبده : لا تفعل كذا . وأدعائي، كقول العبد لسيدّه :
لا تفعل كذا، متعظماً .

صيغة النهي :

لأنه صيغة واحدة هي الفعل المضارع المقرون بـ «لا» الناهية، كقوله سبحانه : «ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً» .

الدلالة الحقيقية لصيغة النهي :

تعني صيغة النهي أصلاً طلب الإقلاع عن الفعل طلباً جازماً ملزماً .
وتدل - مع ذلك - على الفور والاستمرار. فقولك لمن يشرب الخمر : «لا
تشرب الخمر» يستدعي منه أن يكف في الحال ويستمر كافئاً عنها . ولا يعدّ
ممتثلاً إذا كف في الحال ثم عاد إليها، أو إذا استمر يشرب ثم كف عنها
بعد ذلك .

الدلالات المجازية لصيغة النهي :

قد تخرج صيغة النهي عن دلالتها الحقيقية، أي طلب الإقلاع عن
الفعل طلباً جازماً ملزماً، إلى دلالات مجازية يحددها السياق وتدل عليها
قرائن الأحوال . وأهم هذه الدلالات :

1- الدّعاء - حين تُستعمل الصّيغة في سياق التّخضّع والاستعطاف، كقوله سبحانه: «رَبُّنَا لَا تُؤَاخِذُنَا إِنَّا نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا»، وقوله سبحانه: «رَبُّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا»، وقوله سبحانه: «رَبُّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» .

2- الاتّمسك - حين تُستعمل الصّيغة في سياق نَهْي صادرٍ من شخصٍ إلى مساويه سنّاً ومقاماً، كقوله سبحانه حكاية عن هارون يخاطب موسى عليه السلام: يا ابنَ أمِّ لا تأخذُ بلحيتي ولا برأسي». وكقولك لصديقك: «لا تدع الحَيْرَةَ تستبدّ بك» .

3- التّهديد - حين تُستعمل الصّيغة في سياق عدم الرضى بالمنهيّ عنه والتلويح بسوء العاقبة في حال الاستمرار على هذا المنهيّ عنه، كقولك لمن هو دونك: «لا تمتثلْ لأمرِي، وسترى النّتيجة» . وكقول القائد لأحد جنده: «لا تطعْ أمرِي، ولا تفعلْ ما أمرتك به ، .. الخ» .

4- الإرشاد - حين يُستعمل الصّيغة في سياق التعلّم وإسداء النّصح، كقوله سبحانه «لا تسألوا عن أشياء إن تبدّ لكم تسؤكم». ومنه في الشعر قول الشاعر:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تقلْ خلوتُ ، ولكنْ قلْ عليّ رقيبُ
ولا تحسبنَ اللهَ يغفلُ ساعة ولا أنْ ما تخفيهِ عنه يغثيبُ

5- التّينيس - حين تُستعمل الصّيغة في سياق قطع الأمل في حصول المراد، كقوله سبحانه: «لا تعتذروا اليومَ إنّما تُجزّونَ ما كنتم تعملونَ». وقوله سبحانه: «لا تعتذروا قد كفرتم بعدَ إيمانِكُمْ» .

ومنه في الشعر قول المتنبي يمدح سيف الدولة :

لا تطلبنُ كريماً بعدَ رؤيتِهِ إنَّ الكرامَ بأسخاهمُ بدأ ختُمُوا

6 - الدوام - حين تُستعمل الصيغَة في النهي عما هو مكفوفٌ عنه، كقوله سبحانه : «ولا تحسبنُ اللهَ غافلاً عما يعملُ الظالمونَ»، وقوله سبحانه : «فلا تحسبنُ اللهَ مخلفٌ وعدهِ رسلهُ إنَّ اللهَ عزيزٌ ذو انتقام.»

7 - التمني - حين تُستعمل الصيغَة في نهي غير العاقل، كما في قول الشاعر :

يا ليلُ طُلِّ ، يانومُ زُلُّ يا صبحُ قِفِّ ، لا تطلِّعِ

8 - التَّحْقِير - حين تُستعمل الصيغَة في سياق الحطِّ من قدر المخاطب والاستهانة به، كقول الشاعر :

لا تطلبِ المجدَ ، إنَّ المجدَ سلْمُهُ صعبٌ ، وحِشُّ مستريحاً ناعمُ البالِ
وكقول الحميئة في الزبيرقان بن بدر :

دِعِ المكارِمَ لا ترحلْ لِبيغيتِها واقعدْ فإنك أنتَ الطاعمُ الكاسِي

9 - التَّوْبِيخ - عندما تستعمل الصيغَة في النهي عن أمر يشين الإنسان ولا يليق به أن يصدر عنه، كقوله سبحانه : «لا يسخرُ قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم»، وكقول الشاعر :

لا تنهَ عنْ خُلُقٍ وتأتي منلَّهُ عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيم

10- الانتناس - حين تُستعمل الصيغَة في سياق بثِّ الطمأنينة والأنس، كقوله سبحانه : «لا تحزننَّ إنَّ اللهَ معنَّا»، وقوله سبحانه : «فلا تخشوا الناسَ واخشونَ» .

11 - بيان العاقبة - حين ترد الصيغة في سياق الدعوة إلى التبصر وإدراك حقائق الأمور، كقوله سبحانه: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون» .

وعلى الجملة، فإن المعاني التي يخرج إليها النهي عصبية على التحديد الدقيق، ويكفي في إدراكها قدر من نفاذ البصيرة والنوق المميز .

أسئلة وإجاباتها حول الأمر والنهي (1)

- حدد دلالة صيغ الأمر والنهي فيما يأتي :

- 1 - قال سبحانه : «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين» .
- 2 - يا دارَ عبلةَ بالجواءِ تكلمي وعمي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي
- 3 - أسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً لدينا، ولا مقليةً إن تقلت
- 4 - قال سبحانه : «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا» .
- 5 - ياليلُ طلُ يانومُ زكُ ياصبحُ قِفْ لا تطلع
- 6 - لا تعاندُ من إذا قال فعل .
- 7 - عِشْ ماابدا لك سالماً في ظلِّ شاهقة القصور
- 8 - قال سبحانه : «يا أرضُ ابلعي ماءك» .
- 9 - قال سبحانه : «وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور» .
- 10 - قال سبحانه : «لا يسخر قومٌ من قومٍ» .

الإجابات :

- 1 - جاء الأمر فيه للإرشاد 2 - جاء الأمر فيه للتمني 3 - جاء الأمر فيه للتسوية
- 4 - جاء النهي فيه للدعاء 5 - جاء النهي فيه للتمني 6 - جاء النهي فيه للإرشاد
- 7 - جاء الأمر فيه للدعاء 8 - جاء الأمر فيه للتمني 9 - جاء الأمر فيه للتسوية
- 10 - جاء الأمر فيه للتوبيخ

أسئلة وإجاباتها حول الأمر والنهي (2)

- جدد دلالة صيغ الأمر والنهي فيما يأتي

- 1 - ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عابء
- 2 - اتخذ لنفسك سلماً في السماء .
- 3 - أرى العنقاء تكبر أن تُصادا فعاند من تطيق له عنادا
- 4 - أعيني جردا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندي
- 5 - أريني جواداً مات هزلاً لعني أرى ماترين أو بخيلاً مخذلاً
- 6 - لا تقم لأداء واجبك
- 7 - قال سبحانه : «قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين».
- 8 - اربياً بنفسك أن ترعى مع الهمل .
- 9 - لا تبارح أيها الشباب .
- 10 - قال سبحانه : «رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري».

الإجابات :

- 1 - جاء الأمر فيه للدعاء 2 - جاء الأمر فيه للتعجيز 3 - جاء الأمر فيه للإمانة
- 4 - جاء النهي فيه للتمنى 5 - جاء النهي فيه للتعجيز 6 - جاء النهي فيه للتهديد
- 7 - جاء الأمر فيه للتعجيز 8 - جاء الأمر فيه للإرشاد 9 - جاء النهي فيه للتمنى
- 10 - جاء الأمر فيه للدعاء

مبحث الاستفهام :

الاستفهام - لغة - طلبُ الفهم، واصطلاحاً : طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل، بوساطة واحدة من أدواته .

أدوات الاستفهام :

للاستفهام إحدى عشرة أداة هي : الهمزة - هل - ما - مَنْ - متى -
أَيَّانَ - أينَ - كيفَ - أنى - كمَ - أيّ .

وهذه الأدوات على ثلاثة أقسام من حيث ما يُطلب بها :

- 1 - ما يُطلب به التصوّر تارةً، التصديق أخرى - وهو الهمزة .
 - 2 - ما يُطلب به التصديق فحسب - وهو «هل» .
 - 3 - ما يُطلب به التصوّر فحسب - وهو بقية أدوات الاستفهام .
- وسنتناول كلاً منها على نحو مفصل إن شاء الله .

الهمزة - ولها حالان :

أولاً- أن يُطلب بها تصوّر المفرد كإدراك المسند إليه وحده أو المسند وحده. تقول في طلب تصوّر المسند إليه : أعلى زارك أم أحمد؟. أنت ههنا تعرف أن أحدهما زارَ ولكنك لا تعرف أهو علي أم أحمد ؛ فتطلب بالسؤال بالهمزة تعيينه وتصوره، فتجيب حينئذ بأنه علي - مثلاً. وتقول في طلب تصوّر المسند : أشاعر علي أم كاتب؟. وأنت ههنا تعرف أنه يتّصف بإحدى هاتين الصفتين : الشعر والكتابة، ولكنك لا تعرف تحديداً أهى الشعر أم الكتابة؛ فتطلب بالسؤال بالهمزة تعيين الصفة، فتجيب بأنه : شاعرٌ، مثلاً. وهكذا يظهر أن التصوّر يعني إدراك المفرد وتعيينه ولذا يجاب بالتعيين. وفي مقدورنا القول إن التصوّر هو طلب معرفة المفرد وتحديده، ويتوصل إلى ذلك باستعمال الهمزة .

وحكم همزة التصوّر هذه أن يليها المسؤول عنه بها. والمفرد الذي يطلب تصوّره وتحديده بالهمزة قد يكون :

1 - مسنداً إليه، كالمثال السابق، وكقولك : أأنتَ نظمتَ هذه القصيدة أم أخوك؟. أنت تعرف أن هذه القصيدة قد نظمها ناظم، ولكنك لا تعرف تحديداً أن ناظمها هو مخاطبك أم أخوه، ولذلك تستعمل همزة التصوّر لطلب تحديد هذا الناظم الذي جاء هنا مسنداً إليه (مبتدأ)، وجاء بعد الهمزة .

2 - أو مسنداً، كقولك : أمدرس أنت أم قاضٍ؟ وأنت تعرف أنه متّصف بإحدى الصفتين، لكنك لا تعرف تحديداً أي الصفتين له، فتستعمل همزة التصوّر لطلب معرفة المفرد (كونه مدرساً أو قاضياً) وتعيينه .

3 - أو مفعولاً به كقولك : «أحلبَ زُرْتَ أم دمشق؟». تعرف أنت أن الزيارة منه حاصلة لا محالة، لكنك لا تعرف تحديداً أزار حلب أم دمشق، ومن هنا تستعمل همزة التصوير تطلب بها تحديد المفرد (المكان المزور : حلب، دمشق).

4 - أو حالاً، كقولك : «أمبتسماً تلقاك أم متجهماً؟». تعرف أنت أن الشَّخص تلقى مخاطبك في إحدى حالين : مبتسماً، مشرق الوجه - أو متجهماً، فتقبض الأسارير. وابتغاء أن تتصور الحال التي تلقاه فيها تستعمل همزة التصور لتطلب تعرف المفرد (كونه مبتسماً أو متجهماً) .

5 - أو ظرفاً كقولك : «أصباحاً وصلت أم ظهراً؟». تعرف أن مخاطبك وصل إما صباحاً وإما ظهراً، وابتغاء تصور أي منهما وتحديده استعملت همزة التصور؛ الأداة المعدة لهذا الغرض .

وقد لاحظت في الأمثلة المتقدمة جميعاً مجيء المسؤول عنه بعد الهمزة التي للتصور، ومجيء معادل لهذا المسؤول عنه بعد «أم» غالباً؛ وتسمى «أم» هذه : متصلة. ويجوز حذف المعادل .

ثانياً - أن يُطلب بالهمزة التصديق بنسبة بين شيئين ثبوتاً أو نفيًا. ومعنى التصديق انقياد الذهن وإذعانه لوقوع نسبة تامة بين شيئين. فعندما تقول : «أجاء أخوك؟» لا تسأل عن ذات المجيء، ولا عن ذات الأخ بل تسأل عن نسبة المجيء إلى الأخ : هل حصل منه هذا المجيء. ونسبة المجيء إلى الأخ هذه تردد عقلك بين أن تكون محققة في الواقع الخارجي أو غير محققة. ويكثر دخول همزة التصديق على الجملة الفعلية كقولك :

أَتَقْرَأُ الْقِصَصَ؟، أَتَحِبُّ السَّفَرَ؟، أَتَحَافِظُ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ؟ ..،
ويقلّ دخولها على الجملة الاسمية كقولك: «أعليّ شاعرٌ»، حيث تسأل عن
نسبة الشعر إليه، حاصلة أو غير حاصلة، ويجاب التصديق بـ «نعم» أو
«لا»، ولا يلي المسؤلُ عنه الهمزة؛ وليس لها لفظ خاصّ يمكن أن يلي
الهمزة.

وحاصل القول أنّ الهمزة تكون للاستفهام عن التّصوّر والاستفهام عن
التّصديق، والاستفهام عن التّصوّر يكون عند العلم بثبوت أصل الحكم
لأحد الشّيئين والتردد في تعيين واحدٍ منهما، والاستفهام عن التصديق
يكون عند الجهل بثبوت أصل الحكم وتردد الذهن في النسبة (الحكم) بين
ثبوتها ونفيها.

فَسَلْ - ولها صفتان :

1 - اختصاصها بطلب التصديق بنسبةٍ بين شيئين ثبوتاً أو نفيّاً؛ بمعنى
أنّ السائل بها ينشدُ معرفةً حصول النسبة أو عدم حصولها. وتدخل
على الجملتين الفعلية كقولك: «هل زاركَ أحمدُ؟»، والاسمية، كقولك:
«هل أحمدُ زائرُك؟». ويذهب البلاغيون إلى أنّ «هلّ» لما كانت إنّما
تجيء لطلب التصديق امتنع أن تأتي في كل تركيب يُذكر فيه المعادل،
كقولك: «هل زاركَ أحمد أم عليّ؟» لأنّ ذكر المعادل يفيد علم السائل
بثبوت أصل الحكم، وهو وقوع الزيارة، ويُطلب تعيين الزائر أهو أحمد
أم عليّ، و«هلّ» تفيد جهل السائل بأصل الحكم (وهي لطلب التصديق
به)؛ ومن ثم فالجمع بين ذكر المعادل (المفيد علم السائل بثبوت أصل
الحكم) وهل (المفيدة جهل السائل بأصل الحكم) في تركيب واحد

يفضي إلى التناقض. ويقبح استعمال «هل» في كل تركيب يقدم فيه المفعول على العامل كقولك : «هل أحمد قابلت ؟»؛ لأن تقديم المفعول على العامل يعني غالباً تخصيص العامل بالمفعول، فقولك «هل أحمد قابلت ؟» يفيد أنك مقرّ بوقوع المقابلة فيه وأنها حصلت حقاً، لكنك تسأل عن الشخص الذي خصّه مخاطبك بالمقابلة. فتقديم المفعول هنا «أحمد» يفيد التصديق بأصل الحكم (حصول المقابلة)، و«هل» مخصصة لطلب التصديق بأصل الحكم. وهكذا .. يجتمع لدينا في تركيب واحد ما يفيد التصديق بأصل الحكم (التقديم) وما يسأل به عن أصل الحكم (هل)، ويؤدي ذلك في النهاية إلى طلب حصول الحاصل والاستفهام عن أمر تقرّ بأنك تعرفه، وهو ضربٌ من العبث .

2- تخليصها المضارع للاستقبال وضعاً، بعد أن كان محتملاً للاستقبال والحال، ومن ثم لا يصح أن يسأل بها عن الفعل الواقع في الماضي أو الحال، فلا يجوز أن نقول : «هل تضرب زيداً وهو أخوك ؟»، فمثل هذا استفهام توبيخ، ويكون التوبيخ على فعل حصل في الماضي أو يحصل الآن. ولأنها مختصة بالتصديق وتخصّص المضارع للاستقبال اختصت بدخولها على الفعل لفظاً أو تقديراً. وقد تدخل على الجملة الاسمية لغرض بلاغيّ هو تصوير ما سيحصل مستقبلاً في صورة الحاصل اهتماماً بشأنه وتدليلاً على شدة الرغبة فيه. تقول : «هل أيامنا الخوالي عائدة ؟». تريد : هل ستعود أيامنا الخوالي فيما بعد ؟؛ لكنّه لما كانت عودتها مما يحبه القائل ويحرص عليه كثيراً أبرزت في صورة الحاصل الآن . وهكذا عبّر بالجملة الاسمية؛ لأنها أدلّ على طلب حصول عودة الأيام الخوالي .

نوعاً «هل» :

«هل» نوعان : بسيطة ومركبة

فأما البسيطة فهي التي يُستفهم بها عن وجود الشيء في نفسه، أو عدم وجوده، كقولنا : هل الحركة موجودة؟ أو «هل هي غير موجودة؟» - وكقولنا : «هل العنقاء موجودة؟» أو «هل هي غير موجودة؟». وسميت هذه بسيطة لأنه يُلاحظ فيها شيء واحد غير الموجود هو «الحركة» في المثال الأول، و«العنقاء» في الثاني .

وأما المركبة فهي التي يُستفهم بها عن وجود شيءٍ لشيءٍ أو لا وجوده له. كقولنا : «هل الحركة دائمة؟». أو «هل هي غير دائمة؟»، وكقولك : «هل الشمس طالعة؟» أو «هل هي غير طالعة؟». وقد سميت هذه مركبة لأنها يُلاحظ فيها شيئان غير الوجود، هما «الحركة» و«الدوام» في المثال الأول، و«الشمس» و«الطلوع» في الثاني. وفارق ما بين الاثنتين أننا في «البسيطة» نسأل عن وجود الشيء نفسه أو عدم وجوده؛ وفي «المركبة» نفترض أن الشيء موجود مسلّم بوجوده، ونحن نسأل عن صفةٍ من صفاته هل هي موجودة أو لا. وعلى الجملة فإنّ مطلوب هل البسيطة هو التصديق بوجود الشيء فحسب ، ومطلوب المركبة هو التصديق بوجود الشيء وجود شيءٍ له .

أدوات الاستفهام الأخرى :

تشترك أدوات الاستفهام الأخرى في أنها تكون لطلب التصور، أي معرفة المفرد، فحسب، وتتباين في أن المطلوب تصوّره بكلّ منها مختلف عن المطلوب تصوّره بالأخرى. وإليك بيان ذلك :

1 - مَا - ويُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنْ غَيْرِ الْعَاقِلِ ، وَهُوَ أَحَدُ أُمْرَيْنِ :

(أ) شرح الاسم وإيضاحه، كقولك : « ما الفُدُوكُس ؟ » طالِباً أَنْ يُشْرَحَ هَذَا الْاسْمَ وَيُوضَحَ مَفْهُومَهُ؛ وَتَجَابَ بِلَفْظِ أَشْهَرَ وَأَنْتَ بِهِ أَعْرَفُ .

(ب) ماهية المسمّى، أي حقيقته وجوهره، كقولك : « ما الحركة ؟ » طالِباً أَنْ يَبَيِّنَ لَكَ حَقِيقَةَ مَسْمَى هَذَا اللَّفْظِ، فَتَجَابَ بِإِيرَادِ ذَاتِيَّاتِهِ وَخِصَائِصِهِ الدَّقِيقَةِ . قَالَ سَبْحَانَهُ : « مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا بِمَا كُنْتُمْ ؟ »، وَقَالَ سَبْحَانَهُ : « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ؟ » . قَالَ الْعَلَمَةُ التَّفْتَازَانِي : « وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَفْهُومِ مِنَ اللَّفْظِ بِالْجُمْلَةِ، وَبَيْنَ الْمَاهِيَةِ الَّتِي تُفْهَمُ مِنَ الْحَدِّ (التعريف) بِالتَّفْصِيلِ غَيْرُ قَلِيلٍ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَنْ خَوَّلَ بِاسْمٍ فَهَمَّ فَهْمًا مَاءً، وَوَقَفَ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْاسْمُ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِاللُّغَةِ؛ وَأَمَّا الْحَدُّ فَلَا يَقِفُ عَلَيْهِ إِلَّا الْمُرْتَاضِ (المدرّب) بِصِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ » .

2 - مَنْ - وَيُسْأَلُ بِهَا عَنِ الْعَاقِلِ، فَيَجَابُ بِمَا يَشْخَصُهُ وَيَعَيِّنُهُ؛ كَأَن يَقَالَ: « مَنْ صَقَرُ قَرِيشٍ ؟ » وَ« مَنْ قَائِدُ مَعْرَكَةِ حِطِّينَ ؟ »، فَيَجَابُ بِاسْمِهِ الْخَاصِّ، فَيَقَالُ : « عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّاحِلِ » فِي إِجَابَةِ الْأَوَّلِ، وَ« صِلَاحُ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ » فِي إِجَابَةِ الثَّانِي. وَقَدْ يَجَابُ بِوَصْفِهِ الْمَعْيَّنِ، كَأَن يُسْأَلَ: « مَنْ أَتَاكَ بِهَذَا الْكِتَابِ ؟ » فَيَجَابُ : « الرَّجُلُ الضَّرِيرُ الَّذِي

رأيته عندي البارحة». قال سبحانه : «فلما نبأها به قالت : مَنْ أنبأكَ هذا ؟ قال : نبأني العليمُ الخبيرُ». وقال سبحانه : «فمن ينصرنا من بأسِ الله إن جاغنا ؟».

3 - متى - ويُسأل بها عن الزمان - ماضياً كان أو مستقبلاً - تقول : «متى جئتَ ؟» - فيُجاب : «البارحة». وتقول : «متى تجيء ؟» - فتُجاب : «غدا». قال سبحانه : ويقولون متى هذا الوعدُ إن كنتمُ صادقين ؟» ، وقال سبحانه : «وزلزلوا حتى يقولَ الرسولُ والَّذين آمنوا معهُ متى نصرُ الله ؟».

4 - أيانَ - ويُسأل بها عن الزمان المستقبل خاصة، وترد كثيراً في مواضع تعظيم المسؤول عنه، كقوله سبحانه : «يسألون أيانَ يومُ الدينِ؟»، وقوله سبحانه : «يسألونك عن الساعة أيان مرساها ؟» .

5 - أين - ويُسأل بها عن المكان، كقوله سبحانه : «ييقولُ الإنسانُ يومئذٍ أين المفرُ؟»، وقوله سبحانه : «أين شركاؤكمُ الَّذِينَ كنتمُ تزعمون ؟».

6 - كيف - ويُسأل بها عن الحال، كقوله سبحانه : «كيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيدٍ ؟». ومثالها في الشعر قول الشاعر :

وكيف أخافُ الفقرَ أو أحرَمُ الفنى ورأى أمير المؤمنينَ جميلُ

7 - أنى - وتستعمل تارة بمعنى «كيف» فيسأل بها عن الحال، ويجب أن يكون بعدها فعل، كقوله سبحانه : «أنى يحيي هذه الله بعد موتها ؟».

وتستعمل تارة بمعنى «من أين» فيسأل بها عن المكان، كقوله سبحانه : «يامريمُ أنى لك هذا ؟»، على معنى : من أين لك هذا الرزق ؟. وتستعمل بمعنى «متى» فيسأل بها عن الزمان، كأن تقول : «أنى

رأيتَ أحمدَ ؟» و«أنتى تسافر ؟». على معنى متى .

8 - كَمْ - ويُسأل بها عن العدد المبهم ، كما في قوله سبحانه : «قالَ قائلٌ منهمُ كَمْ لبثتُمْ قالوا لبثنا يوماً أو بعضَ يومٍ»، وقوله سبحانه : «قالَ كَمْ لبثتَ قالَ لبثتُ يوماً أو بعضَ يومٍ» .

9 - أيُّ - ويُسأل بها عما يميّز أهد المتشاركين في أمرٍ يعُمهما، كقوله سبحانه : «أيُّ الفريقينَ خيرٌ مقاماً ؟»، و«أيُّ الحزبينَ أحصى لِمَا لبثوا أملاً ؟». وتستمد دلالتها مما تضاف إليه، فتفيد المعنى الذي تفيد أدوات الاستفهام من السؤال عن العاقل ، وغير العامل، والزّمان، والمكان، والحال، والعدد .

الدلالاتُ المجازيةُ لأدواتِ الاستفهام :

يجدر الانتباه إلى أنّ أدوات الاستفهام في معانيها الأصلية (طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل) أمرٌ لا ينتمي إلى البلاغة ولا يتجاوز الاستعمال النحوي الصرف. أمّا المهمّ بشأن البلاغة ههنا هو أنّ هذه الأدوات قد يُستفهم بها عن الشيء «مع العلم به» وهكذا يكون لها دلالات مجازية تُفهم من سياق الكلام بواسطة قرائن الأحوال. وأهم هذه الدلالات :

1 - الأمر - كما في قوله سبحانه : «فهلَ أنتمُ منتهونَ ؟» أي : انتهوا. وقوله سبحانه : «فهلَ أنتمُ مسلمونَ ؟» أي : أسلموا. وقوله سبحانه : «ولقد يسرنا القرآنَ للذكرِ فهلَ من مدكرٍ ؟» أي : تذكرُ واتعظُ .

ومن الاستفهام الذي خرج إلى معنى الأمر وورد كثيراً في الذكر الحكيم صيغة «أرأيتَ» بمعنى : «أخبرني». كقوله سبحانه : «أفأرأيتَ

الذّي تولى، وأعطى قليلاً وأكدى؟». أي : أخبرني عن هذا الذي أعطى قليلاً ثم أكدى (توقف عن العطاء). وقوله سبحانه : «أرأيتَ الذي ينهى عبداً إذا صلى، أرأيتَ إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، أرأيتَ إن كذّب وتولى؟»، على معنى : أخبرني أيها السامع عن حال هذا الرجل .

2 - النهي ، كقوله سبحانه : «أتخشونهمُ فاللهُ أحقُّ أن تخشوه؟» أي : لا تخشوهم؛ فاللهُ وحده الجديرُ بأن يُخشى . ومنه قول الشاعر :
أتحسبُ أنّك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ
أي : لا تحسب .
وقول الآخر :

أخالني أرضي الهوان ؟ فحاذرِ واسلمَ بنفسِكَ مِن أبي قادرِ
أي : لا تخلي أرضي الهوان، فحاذرني ..

3 - النَّفسي ، كما في قوله سبحانه : «هلْ جزاءُ الإحسانِ إلا الإحسانُ؟» أي : ما جزاء الإحسان إلا الإحسان. وقوله سبحانه : «مَنْ ذا الَّذي يشفعُ عندهُ إلا بإذنه؟» .

أي : لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه . ومنه قول المتبي :
ومَنْ لَمْ يعشقِ الدنْيَا قديماً ؟ ولكنْ لا سبيلَ إلى الوصالِ
أي : لا أحد لم يعشق الدنيا قديماً .
وقوله :

يفنى الكلامُ ولا يُحيطُ بفضلكمُ أحيطُ ما يفنى بما لا ينفدُ

أي لا يحيط مايفنى بما لا ينفد .

4 - التَّشْوِيق ، كقوله سبحانه : «هل أدللكم على تجارةٍ تُنجيكم منْعذابِ أليمٍ؟» .

يشوقهم الباريء سبحانه إلى تجارةٍ رابحة هي التمسك بكتاب الله وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام. وكقوله سبحانه حكايةً عن إبليس عندما أخذ يوسوس لأدم عليه السلام ويغريه بالأكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الاقتراب منها :

«هل أدلك على شجرة الخلدِ ومكٍ لا يبلى ؟» .

5 - التعجب ، كقوله سبحانه حكايةً عن سليمان عليه السلام : «مالي لا أرى الهدهد ؟» . وقوله سبحانه : مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ؟» .

ومنه في الشعر قول المتنبي يخاطب الحمى :

أبنت الدهرِ عندي كلُّ بنتٍ فكيف وصلتِ أنتِ من الرُحامِ ؟
وقول المرحوم عمر أبي ريشة :

ما أنتِ يا دنيا وما أبقيت للأحلام مني ؟
تطوين بالإغراء أيبَ سامي وأطويها تمنياً
وقول الشاعر وهو في المغترب* :

مالي أغلبُّم الأحرانِ أرمضها : هجرَ الحبيبِ وبعَدَ الدارِ عن بلدي

(*) عيسى الماكوي .

6 - التَّئِبِيهِ عَلَى ضَلَالٍ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ؟»، والمراد تنبيهِهم على أنهم ضالُّون وأنَّ العذاب مدركهم حيثما كانوا . وقوله سبحانه : «أفأنت تُسمع الصَّمُّ أَوِ الْهُدْيِ الْعُمِّيَّ ؟ » .

7 - التَّمَنِّي ، كما في قوله سبحانه : «فهل لنا من شفاء فيشفعوا لنا» بمعنى : ليت لنا شفعا؛ لأنهم يعلمون أن لا شفيع لهم. ومنه في الشعر قول سلطان العاشقين ابن الفارض :

أَيُّ لِيَالِي الْوَصْلِ، هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ وَمِنْ التَّعْلِيلِ قَوْلُ الصَّبِّ أَيُّ

8 - التَّهْكَمُ، كَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : «أصلائك تأمرُكُ أنْ تتركَ ما يعبدُ أبائونا؟». كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة، فإذا رآه قومه يصلي تضحكوا، وقالوا له ذلك؛ قصداً إلى السخرية والتهمك، لا إلى حقيقة الاستفهام. وكقوله سبحانه حكاية عن إبراهيم عليه السلام : «فراغ إلى آلِهِمْ فَقَالَ : أَلَا تاكلونَ ما لكم لا تنطقونَ؟»، وكقوله سبحانه : «أهذا الَّذي يذكُرُ آلِهِتْكُمْ؟».

9 - الاستبطاء ، كقوله سبحانه : «متى نصر الله؟»، ومنه في الشعر قول الشاعر :

حَتَّى مَتَى أَنْتَ فِي لَهْوٍ وَفِي لَعِبٍ وَالْمَوْتُ نَحْوَكُ يَهْوِي فَاتِحاً فَأَهُ؟

وقول الآخر يشتكى طول الترحال :

حَتَامَ أَبْقَى دَائِراً حَوْلَ الْبَسِيطَةِ كَالْقَمَرِ؟

وقول الشيخ عدنان حقي :

فَالِي مَتَى الْأَمَالُ يَسْفِهُهَا اللَّظَى فِي سَجْنِهَا مِنْ دَهْرِنَا الْغِدَارِ؟

10 - الاستبعاد - وهو اعتداد الشيء بعيداً حساً ومعنى ، كقوله سبحانه : «أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ؟»، أي : لا يمكن أن يذكرُوا ويعتبروا ويرجعوا إلى الحق. وكقوله سبحانه : «إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجَعٌ بَعِيدٌ».

ومنه في الشعر قول الشاعر :

أَتَى يَكُونُ ، وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ ،
لِبَنِي الْبَنَاتِ وَرِاثَةُ الْأَعْمَامِ

وقول البعيث يهجو جريراً :

أَتَرْجُو كَلِيبٌ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا
بَخِيرٍ وَقَدْ أَعْيَا كَلِيباً قَدِيمُهَا

11 - التّحْقِيرُ ، كقوله سبحانه حكايةً عن المشركين : «أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً؟». ومنه في الشعر قول أحدهم :

وَمَنْ أَنْتُمْ؟ - إِنَّا نَسِينَا مِنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيِّ رِيحِ الْأَعَاصِرِ؟

12 - التّكْثِيرُ ، كقوله سبحانه : «سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ؟» المراد أن ما أتاهم من الآيات البينات كثير العدد، لكنهم مع ذلك مكابرون.

ومنه في الشعر قول المعري :

صَاحِ ، هَذَا قَبُورُنَا تَمَلَأَ الرَّحَى
بِ، فَأَيْنَ الْقُبُورِ مِنْ عَهْدِ عَادٍ؟

وقول الشاعر يخاطب العرب :

كَمْ تَظْلَمُونَ وَاسْتَمْتُمْ تَشْتَكُونَ وَكَمْ
تُسْتَفْصِبُونَ فَلَا يَبْدُو لَكُمْ غَضَبٌ

13 - التّعْظِيمُ ، كقوله سبحانه : «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ؟».

ومنه في الشعر قول الشاعر :

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسَدَادٍ تُغْفَرُ ؟

أي : أضاعوا فتىً عظيمَ الشأن رفيع المنزلة .

وقول الآخر :

إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ فَتَى ؟ - خَلْتُ أَنَّنِي عُنَيْتُ ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ

14 - التَّسْوِيَةِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ : «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» .

الاستفهام هنا للدلالة على أن إنذار الرسول - عليه الصلاة والسلام - وعدمه سواء عند هؤلاء . وكقوله سبحانه : « وَإِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ؟ » .

أي : قرب ماتوعدون وبعده سواء عندي في عدم الدراسة .

وكقوله سبحانه : «سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ ضَبَّرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ» ،
أي : جَزَعْنَا وَضَبَّرْنَا سَوَاءٌ عَلَيْنَا فَلَا مَحِيصَ لَنَا .

ومنه في الشعر قول المتنبي :

وَلَسْتُ أَبَالِي بَعْدَ إِدْرَاكِي الْعُلَا أَكَانَ تَرَاثًا مَا تَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبًا

أي : كونه تراثاً أو كسباً سواء عندي ولا أبالي بذلك بعد إدراكي العلاء
15 - التَّقْرِيرِ ، وَهُوَ حَمْلُ الْمُخَاطَبِ عَلَى الْإِقْرَارِ بِمَا يَعْرِفُهُ إِثْبَاتًا أَوْ نَفْيًا

لغرض من الأغراض ، كقوله سبحانه : «أَلَمْ نُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ؟» أي :

لقد شرحنا لك صدرك ، وقوله سبحانه : «أَلَمْ تَرَيَا فِينَا وَلِيدًا ؟» أي :

لقد ربيناك فينا وليداً .

ويشترط أن يذكر بعد الهمزة خاصةً ما حمل المخاطب على الإقرار به. وقد جاءت الهمزة للتقرير بالفاعل في قوله سبحانه : «أأنتَ فعلتَ هذا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟». قال عبد القاهر الجرجاني : «لا شبهة في أنهم لم يقولوا ذلك له عليه السلام وهم يريدون أن يقرّ لهم بأن كسر الأصنام قد حصل، ولكن أن يقرّ بأنه منه كان».

وقد تأتي الهمزة للتقرير بالمفعول كقولك : «أنحوا قرأت؟» وقد تأتي لغير ذلك.

16 - الإنكار ، ويكون أيضاً بأن يلي المنكر الهمزة، كقوله سبحانه : «قالوا أبعثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا؟» أي : ما بعث الله بشراً رسولاً، وقوله سبحانه : «أصطفى البنات على البنين؟»، أي : لم يصطف البنات على البنين وقد يرد الإنكار للتوبيخ على أمرٍ وقع في الماضي، ومعناه حينئذ : «ما كان ينبغي أن يكون»، كقولك : «أعصيتَ ربك؟»، أي : لم كان العصيان وما كان ينبغي أن يقع؛ أو يقع في المستقبل، ومعناه حينئذ «لا ينبغي أن يكون» كقولك : «أتعصي ربك؟»، ومعناه حينئذ : لا ينبغي أن يكون منك عصيان .

وقد يرد الإنكار للتكذيب في أمر مضي، فيكون بمعنى : «لم يكن»، كقوله سبحانه : «أفأصفاكم ربكم بالبنين؟»، أي : لم يفعل ذلك؛ أو في أمر يأتي، فيكون بمعنى «لا يكون»، كقوله سبحانه : «أألزمتكموها وأنتم لها كارهون؟» أي : أنكرهكم على قبول الحجّة وأنتم كارهون لها. والمعنى في هذه الحال : لا يكون منا هذا الإلزام. ومن هذا

الأخير في ميدان الشعر قول الشاعر :

أَتْرَكُ، إِنْ قَلَّتْ دَرَاهِمُ خَالِدٍ ، زِيَارَتُهُ ، إِنِّي إِذَا لَلْنَيْمِ

أي : لا يكون مني هذا الترك .

والمنكرُ الذي يلي الهمزة قد يكون :

- الفعل، كقوله سبحانه : «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ الْفِطْرِ فَتَوَلَّى عَلَيْهِمْ إِبْرَاهِيمُ إِذْ يَبْكُ إِذْ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ فَاسْتَبَسَّ وَوَجَّهُهُ خَلْفَهُ لَنَادَاهُ الْكَبِيرُ خذْ هَذَا بَلَدًا خَالِدًا لَهُمَا الْيَوْمَ بِحِمْيَرٍ لَكِنَّا كَانَ بَرًا أَلَمْ نَكُنْ مِنْكُم مِّن بَرٍّ إِذَا تَلَّكُم مِّنْهُ تُرِيدُونَ وَيَزِدُّكُمْ عُذَابًا بِأَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ»

أصناماً ألهة؟» فالمنكر هنا هو الفعل نفسه، أي اتخاذ الأصنام ألهة.

ومنه في الشعر قول امرئ القيس :

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقُ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ

أي : لا يكون قتلي وذلك السيفُ البتَّار وتلك السهامُ المسنونة

سلاحي الذي لا يفارقني .

- الفاعل، كقوله سبحانه : «أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ؟» ينكر عليهم

أن يكونوا من بيده تقسيم رحمة الله سبحانه وإعطاؤها لمن يشاء:

فهذه الرحمة من شأنه وحده سبحانه، وهو المتصرف بها .

- المفعول، كقوله سبحانه : «أَغْيِرَ اللَّهُ أَتَّخَذُ وَايًا؟» أي : لا يكون

اتخاذي غير الله وَايًا . وقوله سبحانه : «أَغْيِرَ اللَّهُ تَدْعُونَ؟» .

17 - التَّهْوِيلُ ، ومثاله ما جاء في قراءة ابن عباس للآية الكريمة : «وَلَقَدْ

نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ . مَنْ فَرِعُونَ؟» بلفظ الاستفهام

ورفع «فريعون». يقول بعض البلغاء إن المراد هنا أنه لما وصف الله

تعالى العذاب بالشدة والفظاعة زادهم تهويلاً بقوله : «مَنْ فَرِعُونَ؟»

أي : هل تعرفون من هو في فرط عتوه وشدة شكيمته فما ظنكم

بعذاب يكون المعذبُ به مثله ؟ - ولهذا قال سبحانه : «إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا
من المسرفين» زيادة لتعريف حاله وتهويل عذابه .

18 - الوعيد ، أو «التهديد» - كقوله سبحانه : «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ
بِعَادِ ؟». وكقولك للمسيء : «أَلَمْ أُوذِّبْ فَلَانَا ؟»، إذا كان ذا علم بذلك
التأديب .

19 - «التحسر ، أكتول أبي البقاء الرندي يبكي حواضر الأندلس التي
سقطت في أيدي الإفرنج :

فاسألْ بِلنُسيَّةٍ ما شانُ مُرُسيَّةٍ أم أينَ شاطِبةٌ بل أينَ جِيانُ
وأينَ قرطِبةٌ دارُ العِطومِ فكمُ منَ عالمٍ قد سَمَا فيها لهُ شانُ
وقول شمس الدين محمود الكوفي :

ما للمنازلِ أصبحتْ لا أهلها أهلي ، ولا جيرانها جيرانِي
وقول شوقي يتحدّث عن جامع بني أمية في دمشق :

مررتُ بالمسجديّ الحزون أسأله هل في المصلّى أو المحراب مروانُ ؟

20 - الاستئناس ، كقوله سبحانه : «وَمَا تَلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ؟» .

والحق أنه حيث يُمتنع حملُ كلمة الاستفهام على حقيقته ينبغي تلمُّسُ
معنى آخر بلاغيّ يحدده السّياق وقرائن الأحوال ، ولا يجوز في حالٍ
من الأحوال حصر المعاني التي يخرج إليها الاستفهام. ويصحّ هذا
الحكم على أدوات الاستفهام جميعاً، فلا تختصّ به أداة دون الأدوات
الأخر .

مبتدأ التمني :

التمنى هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى حصوله :

1- إما لكونه مستحيلاً كقوله سبحانه : «يا ليتني متُّ قبلَ هذا وكنتُ نَسِيًّا
مَنْسِيًّا»، وقوله سبحانه : «يا ليتنا نُردُّ ولا نكذبُ بآياتِ ربِّنا»، ومنه في
الشعر قول الشاعر :

ليت الكواكبُ تدنو لي فأنظمها وعقودَ مدحٍ ، فما أرضى لكمُ كلمي
وقول الآخر :

ألا ليتَ الشبابَ يعودَ يوماً فأخبره بما فعل المشيبُ

2- وإما لكونه ممكناً ولكنه بعيد الحصول وغير مطموح في نيته ، كقوله
سبحانه : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارونُ». وقوله سبحانه : «قال يا ليت
قومي يعلمون بما غفر لي ربي». ومنه في الشعر قول مروان بن أبي
حفصة في رثاء معن بن زائدة :

فليتَ الشامتينَ به فدوهُ وليتَ العُمرَ مُدُّله فطالا

صيغة التمني :

الصيغة الأصلية للتمنى هي «لَيْتَ»، وتتمنى العرب بثلاث صيغ آخر هي :

1 - هَلْ ، ويُتمنى بها، وينصب المضارع بعدها بأن مضمرة على غرار
«ليت». كما في قوله سبحانه : «فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا»،
بمعنى : ليت لنا شفعاء حيث يعلمون أن لا شفعاء لهم، وقوله سبحانه
: «فهل إلى خروج من سبيل ؟».

والفرض البلاغي من التمني بـ «هل» والعدول عن «ليت» إبراز التمني المستحيل في صورة المستفهم عنه الممكن الحصول؛ إظهاراً لكمال العناية به .

2- لَوْ ، وَيُتَمَنَّى بِهَا ، وَيُنْصَبُ الْمَضَارِعُ فِي جَوَابِهَا بِأَنَّ مَضْمُرَةَ عَلَى غَرَارٍ «لَيْتَ» ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : «لَوْ أَنَّ لَنَا كُرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» ، بِمَعْنَى : لَيْتَ لَنَا كُرَّةً .

ومنه في الشعر قول جرير :

وَلِيَّ الشَّبَابِ حَمِيدَةٌ أَيَّامُهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ يُشْتَرَى أَوْ يُرْجَعُ
وقول مسلم بن الوليد الأنصاري :

وَاهَا لِأَيَّامِ الصَّبَا وَزَمَانِهِ لَوْ كَانَ أَسْعَفَ بِالْمَقَامِ قَلِيلاً

والفرض البلاغي من التمني بـ «لو» والعدول عن «ليت» الإشعار بعزّة التمني حيث يبرز في صورة الممتنع؛ لأنّ «لو» حرف يدلّ على امتناع جواب الشرط لامتناع الشرط .

3- لَعَلَّ ، فَقَدْ يُتَمَنَّى بِهَا ، فَتُعْطَى حُكْمَ «لَيْتَ» ، وَيُنْصَبُ فِي جَوَابِهَا الْمَضَارِعُ عَلَى إِضْمَارِ أَنْ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ : «لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَآتُوعَ إِلَى إِلِهِ مُوسَى» ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : «وَاتَخَذُوا مِنْ بَنِي آلِهِ آلَهُمْ لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ» ، وَقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : «وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» . أَصْلُ لَعَلَّ لِلتَّرْجِي ، وَهُوَ طَلَبُ الْأَمْرِ الْمَحْبُوبِ الَّذِي يَرْجَى حَصُولَهُ . وَلَكِنهَا لَمْ تُحْمَلْ هُنَا عَلَى مَعْنَاهَا الْحَقِيقِي (التَّرْجِي) لِاسْتِحَالَةِ بُلُوغِ الْأَسْبَابِ ، وَنَصْرَةِ الْأَصْنَامِ لَهُمْ ،

ورجوعهم عن الكفر. وكان مقتضى الظاهر استخدام الأداة الموضوعية أصلاً للتمني وهي «ليت»، لكنه عدل عن ذلك وجيء بـ «لعل» التي تفيد الرجاء (وهو إمكان الوقوع) لغرض بلاغي هو: إبراز التمني البعيد الحصول في صورة القريب المترقب الحصول؛ دلالة على كمال العناية به والتشوق إليه.

أما كيف نتبين أن هذه الأدوات (هل، لو، لعل) قد خرجت عن معناها الحقيقي واستعملت للدلالة على التمني، فهو أن نلاحظ أنها مستعملة في شيء بعيد الحصول أو مستحيل الوقوع.

استخدام «ليت» في الترجي لغرض بلاغي:

أسلفنا أن أداة الترجي «لعل» قد تستخدم في التمني مكان «ليت»، لغرض بلاغي هو إبراز التمني البعيد الحصول في صورة القريب المترقب الحصول للدلالة على كمال العناية به، ونضيف هنا أن عكس هذه الحال قد يحدث أحياناً، فتستعمل أداة التمني «ليت» في سياق «الترجي» لغرض بلاغي هو: إبراز الممكن في صورة المستحيل أو البعيد المنال مبالغاً في صعوبة نياله. ومن ذلك قول المتنبي:

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

أسئلة وإجاباتها حول الاستفهام (1)

- حدد دلالة الاستفهام فيما يأتي :

- 1- أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ
 - 2- قال سبحانه : «سواءً علينا أجزعنا أم صبرنا».
 - 3- أُنْهَوْا وَأَيَّامُنَا تَذَهَبُ وَنَلْعَبُ وَالْمَوْتُ لَا يَلْعَبُ
 - 4- هل الحياة غير قنطرة تُعْبَرُ وَلَا تُعْبَرُ .
 - 5- متى يبلغ البنيان يوماً تماماً إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
 - 6- قال سبحانه : «أفي الله شكاً» .
 - 7- فعلامٌ يلتمسُ العدوُّ مساعتي من بعدما عرف الخلائقُ شاني
 - 8- أتصونُ يديك عن الأذى ؟
 - 9- وهل نافعِي أن تُرْفَعَ الْحُجُبُ بَيْنَنَا وَدُونَ الَّذِي أَقَلَّتْ مِنْكَ حِجَابُ
 - 10- أتغضبُ والديك ؟
- الإجابات :

- 1- التّقرير والتأكيد؛ لأنّ المقام للمدح، وذلك أبلغ وأقوى؛ فقد وضع جرير معناه في صورة الاستفهام الذي هو إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب، وجعل منه حقيقة لا مشادة فيها . 2- التسوية 3- النهي عن اللعب أو التهكم. 4- النفي . 5- الإنكار وبيان أنّ ذلك لن يكون. 6- النفي. 7- التعجب من عمل لا يعود عليه بطائل . 8- الأمر 9- النفي وبيان أنّ ذلك غير مفيد. 10- النهي .

أسئلة واجباتها حول الاستفهام (2)

- حدد دلالة الاستفهام فيما يأتي :

- 1- أضعوني وأي فتى أضعوا ليوم كريهة وسدادٍ تُغفر
- 2- قهل تسمع قولاً فيه صلاحك ؟
- 3- ومن مثل كافرٍ إذا الخيلُ أحجمتُ وكان قليلاً من يقول لها اقدمي
- 4- من ذا الذي بنى الأهرام ؟
- 5- أعندي وقد م ارسْتُ كلُّ خفيةٍ يصدقُ واشٍ أو يخيبُ سائلُ
- 6- أهذا الذي شغلتَ نفسك به ؟
- 7- فدع الوعيدَ فما وعيدك ضائري ماطنينُ أجنحةَ الذبابِ يضيرُ
- 8- أنتَ الذي نجحَ أم أخوك .
- 9- ومن ذا الذي يدلي بعذرٍ وحجةٍ وسيفُ المنايا بينَ عينيه مُصلتُ
- 10- قال سبحانه : «يسألونَ أيَّانَ يومُ الدينِ» .

- الإجابات :

- 1- التعظيم وإظهار أنه عليّ المنزلة . 2- التشويق . 3- النفي والتنويه بشجاعته . 4- التعظيم . 5- الإنكار وبيان أن ذلك لا ينبغي أن يكون . 6- التحقير . 7- التهكم والتحقير . 8- تصور المسند إليه . 9- التعظيم وبيان هول الموقف . 10- التهويل .

أسئلة واجاباتها حول التمني :

- حدد دلالة صيغ التمني فيما يأتي :

- 1 - قال سبحانه : «فهل إلى خروج من سبيل» .
- 2 - فليت الليل كان فيه شهراً ومرُّ نهاره مرَّ السحابِ
- 3 - علُّ الليالي التي أضنتُ بفرقتنا جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه
- 4 - فياليت ما بيني وبينَ أ حبتي من البعد ما بيني وبين المصائب
- 5 - لعلني أحج فأزورك .
- 6 - فليتك تحلو والحياة مريرةً وليتك ترضى والأنام غضابُ
- 7 - هل زرتَ أخاك . وهلا تزورني فنتذكر الأيام الخوالي
- 8 - لو تسالني الأيام فأتقى شرها .
- 9 - لعلِّي أرى طيفك في المنام .
- 10 - لو تزورني فتسعدني .

- الإجابات :

- 1 - التمني؛ لإبراز المتمني الذي لا طمعية فيه في صورة المطموع في حصوله، إظهاراً لكمال العناية به . 2 - التمني . 3 - التمني، حيث نُزل المرتجى القريب الحصول منزلة المتمني البعدي الحصول . 4 - الترجي، حيث نُزل المرتجى القريب الحصول منزلة المتمني البعيد الحصول؛ لاستبعاد حصوله . 5 - التمني، حيث نُزل المرتجى الممكن الحصول منزلة البعيد الحصول؛ لاستبعاد حصوله . 6 - الترجي، حيث نُزل المرتجى

مبحث النداء :

النداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائبٍ منابٍ «أدعو»، وهذا الحرف قد يكون ملفوظاً كما في قوله سبحانه : «يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي»، وقد يكون مقدراً كما في قوله سبحانه : «يوسفُ أعرض عن هذا»، إذ التقدير : يا يوسف .

- صيغ النداء :

تنادي العربُ بثماني صيغٍ، هي : الهمزة - أي - يا - آ - أي - أيا - هياً - وا . وهي نوعان من حيث الاستعمال :

1 - ما ينادى به القريب ، وهو الهمزة و أي .

2 - ما ينادى به البعيد ، وهو بقية الأنوات .

تنزيل البعيد منزلة القريب :

الأصل في استعمال الهمزة وأي أن تكونا لنداء القريب، كأن تقول في النداء بالهمزة : «أسعيدُ، ذاكرُ دروسك، فالامتحانُ على الأبواب»، وكقول الشاعر :

أُبْنِي، إِنَّ أَبَاكَ كَارِبٌ يَوْمَهُ فَإِذَا دُعِيْتَ إِلَى الْمَكَارِمِ فَاعْجَلِ

وكانَ نقولُ في النداء بـ «أي» : «أيُّ أحمدُ، الزم الصدقَ في كلِّ ما تقول»، وكقول الشاعر :

أيُّ صديقي، إنِّي قصدتُك لما لم أجِد في الحياة غيرَكَ شهماً

هذا هو الأصل في استعمالها، لكنّه قد يُخالف الأصل وتستعملان في نداء البعيد تنبيهاً على أنه حاضرٌ في القلب لا يغيّب عنه أصلاً، كقول الشاعر:

أَسْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا بَأْتِكُمْ فِي رُبْعِ قَلْبِي سَكَانُ

وقول الآخر:

أَعْلِي إِنْ تَكُ بِالْعِرَاقِ نَسِيْتِي فَأَنَا بِمِصْرَ عَلَى هَوَاكَ مَقِيمُ

وقولي قد ذكرت بلادي الحبيبة وأنا في القطر الشقيق ليبي:

أَيِّ شَأْمٍ ، وَأَنْتَ مَهْوَى فُوَادِي كَيْفَ أَحْيَا وَالرُّوحُ عَنِّي بَعِيدُ
هَاجِنِي الشُّوقُ لِلرَّبْوَعِ فِقَلْبِي فِي التِّيَاعِ وَعَيْشَتِي تَنْكِيدُ

تنزيل القريب منزلة البعيد :

وقد ينزل القريب منزلة البعيد، فينادي بغير الهمزة وأي لأغراض بلاغية يحددها السياق وقرائن الأحوال، ومن هذه الأغراض:

1 - الإشارة إلى علو منزلة المنادي، فيُنزَلُ بعد المنزلة منزلةً بعد المكان، كما في قولك: «أيا مولاي» وأنت معه؛ إشارةً إلى أن المنادي عظيم القدر سنيّ المنزلة. ومن ذلك في الشعر قول الشاعر:

يَا مَنُ يَرْجُو لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا يَا مَنُ إِلَيْهِ الْمَشْتَكِي وَالْمَفْرَعُ

وقول الآخر:

يَا رَجَاءَ الْعَيُونِ فِي كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ أَنْ أَرَاكَ رَجَائِي

٢ - الإشارة إلى انحطاط منزلة المنادي، فيُنزَلُ انحطاط المنزلة منزلة

البعد عن ساحة الحضور، كما في قواك لمن يجلس معك «يامسكين،
ابحث عما يفيدك». ومن ذلك في الشعر قول الشاعر

أولئك آبائي فجنني بمتلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجمعُ
وقول الآخر

أيا هذا أطمعُ في المعالي وما يحظى بها إلا الرجالُ

3 - الإشارة إلى غفلة السامع وشروده كأنه غير حاضر في مجلس
الخطاب، كقواك للساهي : «أيا فلان». ومن ذلك في الشعر قول أبي
العتاهية :

أيا مَنْ عاش في الدنيا طويلاً وأفنى العمر في قليلٍ وقال

وأتعِبَ نفسه فيما سيفنى وجمع من حرامٍ أو حلالٍ

هبِ الدنيا تقاد إليك عفواً أليس مصيرُ ذلك للزوالِ

وقول محمود سامي البارودي :

يا أيها السادرُ المزورُ من صلفٍ مهلاً، فإنك بالأيام منخدعُ

وأضاف الزمخشري أغراضاً بلاغية إضافية يؤديها استخدام «يا»

في نداء القريب وهي :

4 - استبعاد الداعي نفسه عن مرتبة المدعو، نحو : «يا الله» .

5 - التنبيه على عظم الأمر وعلو شأنه وأن المخاطب مع شدة حرصه على

الامتثال كأنه غافلٌ عنه، كقوله سبحانه : «يا أيها الرسولُ بلغْ ما أنزلَ

إليك».

6 - الحرص على إقبال المنادي حتى لكأنه أمرٌ بعيد نحو «ياموسى،
أقبل»

خروج النداء عن دلالة الحقيقة :

قد تخرج صيغ النداء السابقة عن دلالتها الحقيقية وهي «طلب
الإقبال» إلى دلالات أخر مجازية يحددها السياق وقرائن الأحوال. ومن
أهمها :

1 - الإغراء ، وهو الحث على التزام الشيء والزيادة فيه، كما في قولك
لمن أقبل يتظلم : «يا مظلوم»، تقصد إلى إغرائه ببث الشكوى وزيادة
التظلم؛ لأن الإقبال حاصلٌ منه .

ومنه في الشعر قول المتنبي يخاطب سيف الدولة :

يا عدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيدها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
2 - الاستغاثة، كقولك : «يا لله من ألم الفراق»، و«يا للعرب لفلسطين»،
و«يا للرجال ليوم الثار» .

3 - التذبة ، كقول الشاعر :

فواكبدي مما الأقي من الهوى إذا حن إلفاً أو نألق باريق

4 - التعجب ، كقول الفرزدق :

فواعجباً حتى كليب تسبني كأن أباه نهل أو مجاشع

5 - الرَّجْرُ ، كقول الشاعر :

أفؤادي ، متى المتأبُ أَلْمَا تَصْحُ والشَّيْبُ فوقَ رأسي أَلْمَا ؟

6 - التحسّر والتوجّع ، كقوله سبحانه : «ويقولُ الكافرُ ياليتني كنتُ تراباً» .
وكقول الشاعر :

فيا قبرَ معنٍ ، كيف وارىتَ جوده وقد كانَ منه البرُّ والبحرُ مُترَعاً

7 - التذكُّر ، كقول الشاعر :

أيا منزلي سلمي ، سلامٌ عليكما هل الأزمنُ اللَّاتي مضينَ رواجعُ

8 - التدلُّه والتحيرُ والتضجُّر ، ويكثر هذا في نداء الأطلال والمنازل والديار
- ، كقول الشاعر :

أيا منازلَ سلمي ، أينَ سلماكِ من أجلِ هذا بكيناها بكيناكِ

وقد يأتي في نداء المطايا كقول الشاعر :

يا ناقَ جدي فقدَ أفنتُ أنانكُ بي صبري وعُمري وأحلامي وأنساعي

ومن التضجُّر قول الشاعر :

يا همومَ الحياةِ فُكِّي إساري وأتركيني لحومتي ونفاري

وقول سلطان العاشقين ابن الفارض :

يا قلبُ أنتَ وعدتني في حبهم صبراً فحانزُ أن تضيقَ وتضجرا

9 - الاختصاص ، حيث تخرج صيغة النداء عن دلالتها الأصلية، وهي

طلب إقبال المنادي عليك، إلى دلالة جديدة هي تخصيص الشيء من

بين أمثاله بما نُسب إليه. تقول: «أنا أساعد المحتاجين أيها الرجل»،

وتقول : «أنا أيها المدرّس أوضحت المسألة»، تريد في المثال الأول أن تقول : أنا مختصٌّ من بين الرجال بمساعدة المحتاجين. وفي الثاني أن تقول : أنا مختصٌّ من بين المدرّسين بإيضاح المسألة. وعلى هذا الايراد بـ «أى» وما جاء بدلاً منه (الرجل) أو وصفاً له (المدرّس) المخاطب، بل هو عبارة عما دلّ عليه ضمير المتكلم السابق (أنا) .

ولا يجوز في هذه الصيغة إظهار حرف النداء؛ لأنه فقد معنى النداء تماماً، وتأتي هذه الصيغة بعد ضمير لبيانه. وما يأتي بعد الضمير يأخذ واحدة من أربع صور :

1 - صورة المنادي ، كما في قولك : «عليك أيها القائد تتوقف نتائج المعركة»، على معنى : أنت مختصٌّ من بين سائر القواد بتوقف نتائج المعركة عليك .

2 - اسماً معرفاً بـ «أل»، كقولك : «نحن الأساتذة نهتمّ بأمور طلابنا». و«نحن العرب أقرى الناس للضيف» .

3 - اسماً معرفاً بالإضافة كقولك : «علينا مدرّسي العربية يقع عبء ثقيل» و«أنت قتيل الحب لا شفاء لك» .

4 - اسماً معرفاً بالعلمية، كقول العربيّ : - بنا تميمياً يكشف الضباب - ويحقق النداء الذي يخرج إلى الاختصاص أغراضاً بلاغية، منها :

1 - التفاخر، كقولك : «أنا أحلّ الصعاب أيها الرجل»، و«نحن نكرم الضيف أيها القوم» .

2 - التّصاغز والتّواضع، كقولك : «أنا الفقير المسكين أيها الرجل»،

و«نحن معشرُ المضطهدين أيها العرب».

3 - تفسير الضمير وبيانه، كقولهم : «اللهم، اغفر لنا أيها العصابة»، ومعناه : اللهم، اغفر لنا مخصوصين من بين العصابات، فالصيغة صيغة نداء، لكنها لا تعني النداء، بل تعني مادلاً عليه ضمير المتكلم السابق «نا» .

وقوع الخبر موقع الإنشاء :

قد يقع الخبر موقع الإنشاء، وذلك لأغراضٍ، منها :

1 - التفاؤل بلفظ الماضي لتصوير الشيء في صورة الواقع المحقق، كما إذا قيل لك في مقام الدعاء لك : «عافاك الله من كل بلية، وعصمك من الزل، وأذاقك حلاوة التقوى، وأودع صدرك برد اليقين». فهذه الأمور جميعاً مما لم يقع، ومقتضى الظاهر أن يعبر عنها بصيغة الدعاء فيقال : اللهم عافه، واعصمه، وأذقه...، وأودع صدره...؛ لكن المتكلم أوردها بصيغة الماضي، ووضع الخبر موضع الإنشاء ليصورها في صورة الأمور الحاصلة التي حقها أن يخبر عنها بالفاظٍ ماضية تفاؤلاً بأن حصولها في حكم الأمر المنتهي .

2 - إظهار الحرص على وقوع الأمر، ذلك أن طالب الشيء حين تعظم رغبته به يظل يهجس به ويكثر من تصوّره، حتى إنه قد يخيل إليه حاصلاً، كما تقول : «رزقني الله حج بيته المعمور وأكرمني بزيارة قبر نبيه»، وأنت هنا تعبر عما لم يقع في صورة ما وقع؛ قصداً إلى إظهار حرصك الشديد على وقوع هذا الأمر؛ ونقول من ثم أن الخبر وقع موقع الإنشاء لهذا الغرض .

3 - الاحتراز عن صورة الأمر تأديباً واحتراماً، كقول الولد لوالده :
يخصني الوالد بساعةٍ من وقته»، بدلاً من «خصني بساعةٍ من وقتك».

4 - حملُ المخاطب على المطلوب، بأن يكون المخاطب ممن لا يجب أن
يكذب الطالب، كقولك لزميل لك يصعب عليه أن تُنسبَ إلى الكذب :
«تنتظرني غداً» بدلاً من : «انتظرني»، فأنت بهذا الصنيع تحمله على
الانتظار بألطف وجه، لأنه إن لم ينتظرك غداً كان خبرك الذي قلته له
«تنتظرني غداً» كاذباً، وهو لا يريد لك ذلك، ومن ثم ينتظرك ويحقق
صيفة الخبر الذي توجهت به إليه.

5 - المبالغة في الطلب للتنبيه على سرعة الامتثال، كقوله سبحانه : «وإذا
أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم»، لم يقل بصيغة النهي : «لا
تسفكوا»، بل جاء بدلاً من ذلك بالخبر «لا تسفكون» قصداً للمبالغة في
النهي، حتى كأنهم نُهوا فامتثلوا ثم جيء بصيغة الخبر لتصوّر هذا
الامتثال .

6 - التنبية على تيسير المطلوب لقوة الأسباب، كقول القائد لجنده :
«تأخذون بنواصي ذوي الهياج، وتذبحونهم ذبَح النعاج». لم يقل خذوا
بنواصيهم، واذبحوهم.. بصيغة الأمر المناسبة لهذا المقام، بل أثر
الصيغة الخبرية لينبّه على سهولة الأمر وقوة أسباب فتك جنده
باعدائهم من نوي الشغب والهياج، حتى كأنهم يقومون بذلك في
الحال دون أي عائق .

أسئلة وإجاباتها حول النداء :

- حدد دلالة النداء فيما يأتي :

1 - قال الضبي يرثي ابنه :

أَبِي لَا تُبْعَدْ وَلَيْسَ بِخَالِدٍ حَيٌّ وَمَنْ تُصَبِّ الْمَنُونُ بَعِيدٌ

2- أولئك آبائي فجتنتي بمثلهم إذا جمعنا يا جرير الجامع

3- يالهِ للمسلمين .

4- يا أيها السائر المزور من صلفٍ محصلاً فإنك بالأيام منخدع

5- فواعجباً كم يدعي الفضل ناقصٌ ووأسفاً كم يظهر النقص فاضلٌ

6- أسكأن العقيق كفى فراقاً .

7- ياهموم الحياة فكي إساري واركيني لصومتي ونفاري

8- أيا منزلي سلمي، سلامٌ عليكما هل الأزمئ الأثني مضين رواجع

9- يالك من قبرة بمغمر خلاك الجوفبيضي وامفري

10- إيه يابلبل الفرات ترئم فوق شطانه وحي الورداء

11- قال سبحانه: «رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيدٌ»

12- أيا شجر الخابور مالك مورقاً كائك لم تجزع على ابن طريف

13- نصحتك يانفس لا تطمعي وقلت حذار فلم تسمعي

فإن كنت تستهلين الوداع كما تدعين إذا ودعي

14- أي بلادي، وأنت مهوى فؤادي كيف أحيأ والروح عني بعيد

15- أيها القلب، قد قضيت مراما فالأم الوسوع بالشهوات

- الإجابات :

- 1 - نزل البعيد منزلة القريب فناداه بالهمزة ؛ للتنبيه على أنه حاضر في القلب، لا يغيب عن خاطر . 2 - نزل القريب «جريراً» منزلة البعيد؛ للإشارة إلى انحطاط منزلته . 3 - الاستغائة. 4 - نزل القريب منزلة البعيد فناداه بـ «يا»؛ إشارة إلى أنه لغفلته وشروء ذهنه كأنه غير حاضر
- 5 - الندبة . 6 - التحسرُ والتحرُّن؛ لعدم تأتي الإقبال من المنادين . 7 - الزجر . 8 - التذكُّر . 9 - التعجب؛ لإيحاء المقام بذلك . 10 - الإغراء؛ لأنه لا يراد منه الإقبال . 11 - الاختصاص . 12 - التحسرُ والتفجع . 13 - الزجر واللوم . 14 - التحير والتضجر . 15 - الزجر واللوم

المبحث السابع - الفصل والوصل

ويتضمن:

- تمهيد في حاجة البليغ إلى إدراك مواطن الفصل والوصل في الكلام
- تعريف الفصل والوصل
- شرط قبول الوصل وجود الجهة الجامعة .
- تأتي بلاغة الوصل بـ «الواو» دون بقية حروف العطف .
- مواضع الفصل :
 - 1 - كمال الاتصال .
 - 2 - كمال الانقطاع .
 - 3 - شبه كمال الاتصال .
 - 4 - شبه كمال الانقطاع .
 - 5 - التوسط بين الكمالين .
- مواضع الوصل :
 - 1 - كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المراد .
 - 2 - التوسط بين الكمالين مع عدم وجود مانع من الوصل .
 - 3 - إشراك الجملة الثانية في المحل الإعرابي للأولى .
- محسنات الوصل .
- العدول عن تناسب الجمل المتصلة لغرض بلاغي .

- تمهيد : حاجة البليغ إلى إدراك مواطن الفصل والوصل :

لا غنى للبليغ عن المعرفة الدقيقة لمواقع الجمل وما ينبغي أن يحدث فيها من عطف بعضها على بعض أو ترك هذا العطف وإرسالها مستأنفة دون دبطها بما سبقها، وعن الاستعمال الصحيح لحروف العطف وإيقاعها مواقعها. وقد نبه الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - على ذلك، فقال في «دلائل الإعجاز» : «أعلم أن العلم بما ينبغي أن يُصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها منشورةً مُستأنفةً واحدةً منها بعد أخرى، من أسرار البلاغة، ومما لا يأتي بتمام الصواب فيه إلا الأعراب الخُصّ والأقوام طُبعوا على البلاغة وأوتوا فنّاً من المعرفة في نوق الكلام، وهم به أفراد» .

تعريف الوصل والفصل :

الوصل هو عطف جملةٍ فأكثُر على جملةٍ أخرى بالواو خاصة؛ لصلة بينهما في المبنى والمعنى، أو دفْعاً لِلْبَسِ يمكن إن يحصل .

والفصل ترك هذا العطف؛ إمّا لأنّ الجملتين متحدتان مبني ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإمّا لأنه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى .

ومثال الوصل قوله سبحانه : «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مَقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ». وليس من البلاغة ترك العطف بالواو في الجملتين الأخيرتين؛ لأسباب سنبينها إن شاء الله .

ومثال الفصل قوله سبحانه : «وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ». لم تعطف جملة «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» على جملة «إِنَّا مَعَكُمْ»؛ لأنها ليست من مقولهم .

شرط قبول العطف (الوصل) وجود الجهة الجامعة :

لا يكون عطف الجملة الثانية على الأولى بالواو مقبولاً حتى يكون بين الجملتين «جهة جامعة»؛ كالتناسب في قوله سبحانه : «فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى»، فبين الإعطاء والاتقاء والتصديق (وهي مسند) تناسب ظاهر في المعنى (كونها من أفعال الخير) والمبنى (كونها أفعالاً ماضية مبنية على الفتح)، كما أن ثمة تناسباً في المسند إليه (الفاعل في الجمل الثلاث، وهو واحد). وقد تكون الجهة الجامعة التضام، كما في قوله سبحانه : «فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً»، فالذهن يتصور البكاء عند ذكر الضحك، كما أن ثمة تناسباً بين الجملتين في الإنشائية .

لا تتأني بلاغة الوصل إلا بـ «الواو» دون بقية حروف العطف :

لا تتحقق بلاغة الوصل إلا بـ «الواو» العاطفة دون سائر حروف العطف الأخر؛ ذلك أن الواو هي التي يقع فيها الاشتباه دون سائر حروف العطف؛ لأنها لمطلق الجمع ولجورد جعل ما بعدها مشاركاً لما قبلها في الإعراب، فيحتاج العطف بها إلى إدراك معنى جامع بين المتعاطفين؛ وهذا المعنى هو ما يحتاج البليغ إلى إدراكه وتعرفه . أما بقية حروف العطف فيفيد العطف بها مع الإشراك في الحكم الإعرابي معاني أخرس كالترتيب مع التعقيب في «الفاء»، وكالترتيب مع التراخي في «ثم»، وكالتخيير مع الإباحة في «أو». ولذلك يحسن العطف بهذه الأحرف حين تحقق هذا المعنى، وإن لم تتوافر الجهة الجامعة بين المتعاطفين .

مواضع الفصل :

يجب الفصل بين الجملتين في كل موضع من المواضع الخمسة الآتية :

الأول - أن يكون بين الجملتين «كمال الاتصال»، ويكون ذلك حين تكون الجملة الثانية بمعنى الأولى أو جزءاً منها، حيث تعامل الثانية كأنها الأولى نفسها. وما هنا يجب الفصل لعدم جواز عطف الشيء على نفسه، أو الجزء على كلاً. وقد حدّد البلاغيون مواضع كمال الاتصال التي يجب فيها الفصل على هذا النحو :

1 - أن تكون الجملة الثانية بمنزلة التأكيد اللفظي للأولى (مضمون الثانية هو مضمون الأولى) - كما في قوله سبحانه: «فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً»، فصل بين الجملتين لأن الثانية في منزلة التأكيد اللفظي للأولى. أو تكون الجملة الثانية بمنزلة التأكيد المعنوي للأولى (أن يختلف مضمونا الجملتين، لكن مضمون إحداهما يقرّر مضمون الأخرى) - كما في قوله سبحانه: «ما هذا بشراً، إن هذا إلا ملك كريم»، فإثبات ملكيته بمنزلة التأكيد المعنوي ليفي بشريته .

2 - أن تكون الثانية بدلاً من الأولى يوضح دلالاتها. وهذا البديل قد يكون

(أ) بديل بعض كقوله سبحانه: «أمدكُم بما تعلمون. أمدكُم بأنعام وينين وجنّات وعيون». وجب الفصل بين الجملتين؛ لأن الثانية بمثابة بدل البعض من الأولى، حيث فصلت النعم التي أجملتها الأولى.

(ب) بديل اشتمال كقوله سبحانه: «اتَّبِعُوا المرسلين، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يسألُكمُ إجرأ وهم مهتدون». وجب الفصل بين الجملتين؛ لأن الثانية

بدل اشتمال من الأولى، إذ يشتمل الاتباع الأول (اتباع المرسلين)
الاتباع الثاني المنطوي على عدم خسران شيء من أشياء الدنيا
وضمن الهداية .

(ج) بدل كل، كقوله سبحانه : «بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ، قَالُوا
أُنْذِرْنَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَنْتَنَا لِمَبْعُوثُونَ». وجب الفصل بين
جملة «قال الأولون» وجملة «قالوا» لأن الثانية بدل كل من الأولى،
إذ هي أوفى من الأولى في بيان المراد .

3 - أن تكون الجملة الثانية بياناً لخفاء في الجملة الأولى مع اقتضاء
المقام إزالة هذا الخفاء، كقوله سبحانه : «فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ،
قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى». وجب فصل جملة
«قال يا آدم» عن جملة «فوسوس»، لأنها موضحة لها مبيّنة لداليتها.
وكذا الأمر في قوله سبحانه : «وإن لكم في الأنعام لعبرة، نُسْقِيكُمْ مِمَّا
في بَطُونِهَا» .

الثاني - أن يكون بين الجملتين «كمال الانقطاع»، ويكون ذلك حين
تكون الجملة الثانية مبيّنة للأولى تمام المبيّنة. حيث يجب الفصل؛ لغياب
الجهة الجامعة بين الجملتين. وقد حدّد البلاغيون مواضع «كمال الانقطاع»
التي يجب فيها الفصل على هذا النحو :

1 - أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً في اللفظ والمعنى، أو في المعنى
وحده .

- مثال اختلافهما لفظاً ومعنى والأولى إنشاء قول الشاعر :

وقال رائدهم أرسوا نزاولها فحتف كل امرئ يجري بمقدار

وجب الفصل بين الجملتين «أرسوا» و«نزاولها» لاختلافهما خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى، حيث الأولى إنشاء لفظاً ومعنى والثانية خبر لفظاً ومعنى .

- ومثال اختلافهما ، لفظاً ومعنى، والأولى خبر قول الشاعر :

لستُ مستمطراً لقبركَ غيباً كيفَ يظما وقد تضمّنَ بحراً ؟

وجب الفصل بين الجملتين «لستُ مستمطراً» و«كيفَ يظما» لاختلافهما خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى .

- ومثال اختلافهما معنى (وهما خبران لفظاً) قولك : «سافرَ محمدٌ وافقتهُ السّلامَةُ». ووجب الفصل بين الجملتين لكمال الانقطاع بينهما، حيث الأولى خبر لفظاً ومعنى، والثانية خبر لفظاً إنشاء معنى؛ إذ هي دعاء بمعنى : «اللهم اجعل السّلامَةَ رفيقهُ له في سفره» .

- ومثال اختلافهما معنى (وهما إنشاءان لفظاً) قولك : «ألّيسَ اللهُ بكافٍ عبدهُ، أحسنُ الظنِّ باللهِ». ووجب الفصل بين الجملتين لاختلافهما معنى، حيث الأولى خبر معنى، أي الله كافٍ عبده، وإن كانت إنشاء لفظاً، والثانية إنشاء معنى ولفظاً .

2- أن تتفق الجملتان خبراً وإنشاء، ولكن لا توجد بينهما جهة جامعة، كأن نقول : «زارني أحمدُ، السّمَاءُ صافيةٌ». حيث وجب الفصل بين الجملتين لكمال الانقطاع ، أي التباين التام بينهما .

الثالث - أن يكون بين الجملتين «شبهُ كمالِ الاتّصالِ»، ويكون ذلك حين تكون الجملة الثانية جواباً لسؤالٍ نشأ عن الجملة الأولى . ويجب

منه

الفصل هاهنا كما يفصل الجواب عن السؤال، ويسمى الفصل في مثل هذه الحال «استئنافاً»، لكون الجملة الثانية جواباً لسؤال اقتضته الأولى. وتسمى الجملة الثانية «استئنافاً»، و«مستأنفة» .

ومن أمثلة ذلك :

قوله سبحانه : «وما أبرئ نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء». وجب الفصل بين الجملتين؛ لأنَّ الثانية جاءت في منزلة جواب عن سؤال ناشيء عن الجملة الأولى؛ فكانَ سائلاً سأل حين ترامي إلى سمعه الحكم الذي تضمنته الجملة الأولى : ولم لا تبرئ نفسك؟ - فأجاب : «إن النفس لأمارة بالسوء» .

وقوله سبحانه : «إذ دخلوا عليه فقلوا سلاماً، قال سلام». وجب فصل الجملة الثانية «قال سلام» عن جملة «فقلوا سلاماً»؛ لأنَّ الثانية جاءت في موقع جوابٍ عن سؤال ناشيء عن الجملة الأولى؛ فكانَ سائلاً سأل حين سمع «فقلوا سلاماً» - : وماذا قال إبراهيم عليه السلام في ردِّ سلامهم؟ فأجاب : «قال سلام». ويشير هذا من وجهة أخرى إلى أن الخليل، عليه السلام حياهم بأحسن من تحيتهم؛ لأنَّ حياهم بالجملة الاسمية الدالة على النوام والثبوت، في حين كانت تحيتهم بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والحوث .

ومنه في الشعر قول الشاعر :

جَزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ عَرَفْتُ بِهَا عَلَوِيَّ مِنْ صَدِيقِي

وقول الآخر :

زَعَمَ العَوَادِلُ أَنَّنِي فِي غَمْرَةٍ صَدَّقُوا، وَلَكِنْ غَمْرَتِي لَا تَنْجَلِي

والملاحظ في الأمثلة المتقدمة جميعاً أن مانع من الربط بين الجملتين في هذا الموضع هو وجود الرابطة القوية بينهما، فأشبهت حالة كمال الاتصال، وعملت معاملتها .

الرابع - أن يكون بين الجملتين «شبه كمال الانقطاع»، ويكون ذلك حين تسبق جملةً بجملتين يصحّ عطفهما بـ أولاهما لوجود الجهة الجامعة، لكنّ في عطفهما على الثانية فساد المعنى؛ وابتغاء تفادي توهم العطف على الثانية، واحترازاً من مساء المعنى، يتخلى عن العطف مطلقاً، ويفصل بين الجملتين .

ويمثّل علماء البلاغة لذلك بقول الشاعر

وتظنّ سلمى أنّي أبغي بها بدلاً أراها في الضلال تهيم

فقد وجب فصل جملة «أراها» عن جملة «تظنّ» - رغم توافر المناسبة بين الجملتين - لكيلا يتوهم السامع أنها معطوفة على جملة «أبغي» القرابية منها وتكون عندئذ من فطنونات سلمى. ويصير المعنى على هذا الظن هكذا : وتظنّ سلمى أنّي أبغي بها بدلاً وأنّني أراها تهيم في الضلال، وفي ذلك فساد للمعنى ينبغي تفاديه. ويقول البلاغيون إن فصل الجملة الثانية عن الأولى في مثل هذه الحال شبه بـ «كمال الانقطاع»؛ لاشتماله على مانع من العطف، ولم يجعل «كمال انقطاع» لكونه خارجياً يمكن التخلّص منه بإقامة القرينة .

الخامس - أن يكون بين الجملتين «توسط بين الكمالين مع قيام المانع من الوصل»، ويكون ذلك حين يلاحظ بين الجملتين تناسب وترابط قوي، لكنّه يحول دون العطف مانع هو معدم صحّة تشريك الجملة الثانية في

حكم الأولى؛ لما ينشأ عن ذلك من اختلال في المعنى .

ومما يمثّل لذلك قوله سبحانه : «وَأَدَّ خَلْوًا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ. اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ». وفي النص القرآني شاهدان :

1 - فصلُ جملة «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» عن جملة «قالوا»؛ لأنّ جملة «قالوا» جواب شرط لـ «إذا»، فهي مقيدة بهذا الظرف، ويعني هذا أنّ قولهم لشياطينهم إنّنا معكم لا يحدث إلا عندما يخلون بهم، ومن ثمّ فإنّ عطف جملة «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» على جملة «قالوا» يشاركها في حكمها وهو «التقييد بالظرف المذكور»، وينشأ عن ذلك أنّ استهزاء الله سبحانه، بهم لا يكون إلا وقت خلوّهم بشياطينهم، وهذا باطل طبعا، وهكذا وجب فصل جملة «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» عن جملة «قالوا»، لتفادي المحذور .

2 - فصلُ جملة «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» عن جملة «إنّا معكم»؛ لأنّ جملة «إنّا معكم» مفعول الفعل «قالوا»، أي إنّها مقول المنافقين؛ ومن ثمّ فإنّ عطف جملة «اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ» عليها يترتب عليه إشراكها في حكمها؛ أي أنّ تكون مفعولاً لـ «قالوا»، وتكون عندئذ من مقول المنافقين؛ وواقع الحال أنّها من مقوله سبحانه، على سبيل الدعاء عليهم :

وإذا كان التّطوّف في رحاب موجبات الفصل بين الجمل قد طال بنا، فيمكننا تلخيص القول في هذا الشأن، وعلى الجملة نقول إنّ الفصل بين الجملتين يكون واجبا في كلّ من المواضع الخمسة الآتية :

- 1 - عندما يكون بين الجملتين «كمالُ الاتصّال»؛ وذلك حين تكون الجملة الثانية بمعنى الجملة الأولى أو جزءاً منها «أن تكون بمنزلة التأكيد اللفظي أو المعنوي، أو البدل، أو البيان والإيضاح، للجملة الأولى» .
- 2 - عندما يكون بين الجملتين «كمالُ الانقطاع»، وذلك حين تكون الجملة الثانية مباينة للأولى تمام المباينة (أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، أن لا توجد بينهما جهة جامعة).
- 3 - عندما يكون بين الجملتين «شبهُ كمالِ الاتصّال»، وذلك حين تكون الجملة الثانية جواباً لسؤال ناشيء عن الجملة الأولى (الفصل الاستثنائي) .
- 4 - أن يكون بين الجملتين «شبهُ كمالِ الانقطاع»، وذلك حين تسبق جملةً بجملتين يصحّ عطفها على أولاهما، لكنه يتخلّى عن العطف البتّة ابتغاء دفع توهم العطف على الثانية، الذي يترتب عليه فساد المعنى
- 5 - أن يكون بين الجملتين «توسّطُ بين الكمالين مع قيام المانع من الوصل»، وذلك عند توافر الترابط القويّ بين الجملتين، لكنه يفصل بينهما لعدم صحّة إشتراك الجملة الثانية في حكم الأولى، لاختلال المعنى .

مواضع الوصل :

يجب الوصل بين الجملتين في ثلاثة مواضع :

الأول - أن يكون بين الجملتين «كمالُ الانقطاع» مع إيهام الفصل خلاف المراد. ويعني ذلك أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاءً، لكنّه يضطرّ

إلى الوصل؛ لأن الفصل يوهم المخاطب بخلاف مقصود المتكلم. كأن يجري بينك وبين شخص حديث، ثم تقصد أن تنفي شيئاً تقدم في ذلك الحديث وتدعو لمخاطبك في الوقت نفسه، فتقول: «لا، وسدّد الله خطأك». فـ«لا» هنا ردٌ لكلام سابق، كأن يكون مخاطباً قد سألك: «هل الأمر كذلك؟»، فتقول: «لا»، أي: ليس الأمر كذلك. وهذه جملة خبرية. ثم تضيف داعياً له: «وسدّد الله خطأك». وهذه جملة إنشائية دعائية. وكأن يسألك ابنك عند مقدّمك من السفر: «أرأيت أخي يا أبتى؟» فتقول: لا، وركاع الله. فـ«لا» هنا قائمة مقام جملة خبرية. و«ركاع الله» جملة إنشائية دعائية. وهكذا فبين الجملتين في المثالين «كمال الانقطاع»: لاختلافهما خبيراً وإنشاءً، ويستلزم ذلك الفصل بينهما، لكنّه وجب الوصل هنا تخلصاً من إيهام خلاف المراد، وهو أن يتسلط النفي على الجملة بعده لو ترك الوصل فيقال: «لا سدّد الله خطأك» و«لا ركاع الله» فيكون التعبير في الحالين دعاءً على المخاطب بدلاً من الدعاء له. ومثله ما يقال عن أن أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - مرّ برجل في يده ثوب، فقال له: أتبيع هذا؟ فقال الرجل: «لا - يرحمك الله» فقال الصديق: «لا تقل هكذا، بل قل: لا، ويرحمك الله».

الثاني - أن يكون بين الجملتين «توسط بين الكمالين» مع عدم وجود مانع من الوصل. ويكون ذلك عندما تتفق الجملتان خبيراً أو إنشاءً لفظاً ومعنى، أو معنى فقط، مع جامع بينهما. وقد تبين علماء البلاغة ثمانى صور لهذا الأمر:

1 - أن تكون الجملتان خبر يتبين لفظاً ومعنى، كقوله سبحانه: «وقل جاء الحق وزهق الباطل»، وقوله سبحانه: «إن الأبرار لفي نعيم وإن

الفجَارَ لفي جحيم».

2 - أن تكون الجملتان إنشائيتين لفظاً ومعنى، كقوله سبحانه: «كَلُوا واشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا وقوله سبحانه: «فَادِعُ وَاسْتَقِمُّ كَمَا أَمَرْتُ» .

3 - أن تكون الجملتان خبريتين معنى (ولفظاهما إنشائيان)، كقواك : «أَلَمْ أَخْبِرْكَ بِمَا حَدَّثَ وَأَلَمْ أَنْصَحْكَ بِاجْتِنَابِ أَمْثَالِ ذَلِكَ؟». ومعنى ذلك : أَخْبِرْتِكَ بِمَا حَدَّثَ وَنَصَحْتِكَ بِاجْتِنَابِ أَمْثَالِ ذَلِكَ؛ فالجملتان خبرٌ معنىً إنشَاءً لفظاً .

4 - أن تكون الجملتان خبريتين معنى (ولفظ الأولى خبر ولفظ الثانية إنشاء)، كقوله سبحانه : «إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ، وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ». ومعنى ذلك : إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ؛ فالجملة الثانية إنشائية لفظاً وخبرية معنى .

5 - أن تكون الجملتان خبريتين معنى (ولفظ الأولى إنشاء ولفظ الثانية خبر)، كقوله سبحانه : «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَأَوَى، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى». على معنى : وَجَدَكَ يَتِيماً فَأَوَاكَ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَاكَ. وقوله سبحانه : «أَلَمْ يَأْخُذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ». على معنى : أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ .

6 - أن تكون الجملتان إنشائيتين معنى (واللفظان خبران)، كقواك : «شَافَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ». على معنى : لِيَشْفِكَ اللَّهُ وَيُعَافِكَ .

7 - أن تكون الجملتان إنشائيتين معنى (ولفظ الأولى إنشاء والثانية خبر)، كما تقول : «زَرَهُ وَتَعَرَّفَ مَا يَأْتِيكَ مِنْهُ». على معنى : زَرَهُ وَاعْرَفَ مَا يَأْتِيكَ مِنْهُ، وكقواك : «قَمَّ اللَّيْلَ، وَتَصَوَّمَ النَّهَارَ». على معنى : قَمَّ اللَّيْلَ،

وصمُّ النهار .

8 - أن تكون الجملتان إنشائيتين معنى (ولفظ الأولى خبر والثانية إنشاء)، كقوله سبحانه : «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» عطف جملته «قولوا» على جملة «لا تعبدون»؛ لكونهما إنشائيتين معنى، ولفظ الأولى خبر بمعنى «لا تعبدوا».

الثالث - أن يكون للجملته الأولى محلٌّ من الإعراب ويراد إشراك الجملته الثانية فيه، حيث لا مانع منه .

وقد تكون الأولى خبر مبتدأ كقولك : «زيدٌ يقرأ ويكتب»، وجملة يكتب معطوفة على جملة يقرأ في محل رفع. وقد تكون خبر إن أو إحدى أخواتها كقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : «إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ» .

محسِّنات الوصل :

تبيِّن البلاغيون أوضاعاً أنسوا أن الوصل يزداد فيها حسناً وروعة. ومن ذلك :

1 - تناسب الجملتين في الاسمىة والفعلىة - وتناسب الاسمىة فى نوع المسند من حيث كونه مفرداً أو جملةً أو ظرفاً - وتناسب الفعليتين فى نوع الفعل :

- مثال تناسب الجملتين من الاسمىة وفى كون المسند مفرداً قولهم فى المثل : «الأخذُ سُرِّيظى والقضاءُ ضُرِّيظى»؛ أى يأخذ الدين

ويبتلعه، فإذا طوابٍ للقضاء، أضطرتته. فكلُّ من الجملتين اسمية،
والمسند في كلِّ منهما مفرد. وكذا قول الشاعر الأندلسي الرمادي :
من حاكمٍ بيني وبينَ عَنولِي الشجورُ شجوي ، والعويلُ عويلي
الشاهد في قوله : «الشجورُ شجوي ، والعويلُ عويلي» .

- ومثال تناسب الجملتين في الاسمية وفي كون المسند جملة قولهم
في المثل : «يَدَاكَ أَرْكَتَا ، وَقُوكَ نَفَخَ». وقول أهل زماننا : «العصفورُ
يتسلى والصيادُ يتقلّى». حسن الوصلُ هاهنا لتناسب الجملتين في
الاسمية وفي كون المسند في كلِّ منهما جملة فعلية .

- ومثال تناسب الجملتين في الاسمية، وفي كون المسند ظرفاً قولك :
«أنت مني وأنا منك» .

- ومثال تناسب الجملتين في الفعلية وفي كون الفعل ماضياً قوله
سبحانه : «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ».

- ومثال تناسب الجملتين في الفعلية وفي كون الفعل مضارعاً قوله
سبحانه : «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ»، وقوله
سبحانه : «يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ» .

2 - تناسب الجملتين في الإطلاق والتقييد :

- مثال تناسب الجملتين في التقييد قولُ أبي بكر الصديق رضي الله
عنه عندما انتقل الرسولُ الكريمُ عليه الصلاة والسلامُ إلى ربِّه : «بأبي
أنتَ وأمي طِبْتَ حَيًّا ، وطِبْتَ مَيِّتًا». والشاهد قوله «طبت حياً، وطبت
ميتاً»، حيثُ حسنُ الوصل بين الجملتين لتناسبهما في التقييد، إذ

قُيدت كلٌّ منهما بـ «الحال»

ومثاله أيضاً قولك لصديقك : «أعرفُك عندما تعرفُ، وأعرفُك عندما لا تعرفُ، وأعرفُك عندما تكون بينَ بينَ». فقد حسن الوصل لتناسب الجمل في التقييد بالظرف .

– أمّا أمثلةُ التناسب في الإطلاق فكثيرةٌ كقول أبي نواس :

نسيبك مَنْ ناسبتَ بالودِّ قلبهُ وجاركَ مَنْ صافيتَ لا مَنْ تُصاقبُ
وقول الآخر :

وترمينني بالطرفِ ، أي أنت مذنبٌ وتقليبني ، لكن إياك لا أقلي
العدول عن التناسب لغرض بلاغي :

ذكرنا أن ثمة أوضاعاً يزداد الوصلُ فيها حسناً، ورأينا أن هذه الأوضاع تدور في فلك التناسب بين الجملتين في بعض النواحي. ويحسن إن نشير هاهنا إلى أن هذا التناسب ليس مطلقاً في تحقيقه حسن الوصل بين الجملتين، فقد يُعدل عنه لأغراض بلاغية منها :

1 – حكاية الحال الماضية واستحضار الصّور الغريبة في الذهن، كما في قوله سبحانه : «فَفَرِّقَا كَذِبُكُمْ وفَرِّقَا تَقْتُلُونَ». فالتكذيب حدث في الماضي والقتل حدث في الماضي، لكنّه عبّر عن القتل بلفظ «المضارعة» لفظاعة الأمر وقصدا استحضار صورته البغيضة في النفوس. وهكذا تلحظ أن التناسب بين الفعلين عدلٌ عنه لغرض بلاغيّ هو حكاية الحال الماضية وتمثيل صورتها أمام البصيرة كأنّها تجري الآن، والذي يسرّ ذلك وأمكن منه هو الفعل المضارع «تقتلون». ومثله

قوله سبحانه «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»

2 - إفادة التجدد في إحدى الجملتين والثبوت في الأخرى، كقوله سبحانه

: «أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ». كانوا يزعمون أن مجيئه لهم بالحق أمر حادث، وأن اللعب حالة دائمة لإبراهيم عليه السلام .

وهكذا استفهموا عن حدوث مجيئه لهم بالحق بالجملة الفعلية، لإفادتها التجدد والحدوث؛ وعن كونه من العابثين بالجملة الاسمية، لإفادتها الثبوت والديموم .

ومثله قوله سبحانه : «يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ». فقد قصد بالجملة الأولى التجدد والحدوث، وبالثانية «الثبوت والديموم» .

ومحصلة القول في هذا الشأن : أن التناسب بين الجملتين إنما يعد من محسنات الوصل عندما يتفق ومراد المتكلم، أما عندما يخالف هذا المراد فلا يعد من الأمور التي تضيف على الوصل طلاوة وحسناً .

أسئلة وإجاباتها حول الفصل والوصل (1)

- حدد سبب الفصل والوصل فيما يأتي

- 1 - إنما الدنيا فناءً ليس للدنيا ثبوتُ
- 2 - أخطُ مع الدهر إذا ماخطا واجر مع الدهر كما يجري
- 3 - قال سبحانه : «استغفروا ربكم إنه كان غفّاراً»
- 4 - قال سبحانه : «يسبغ له فيها بالغدو والأصال رجالاً لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله».
- 5 - حكمُ المنية في البرية جاري ماهذه الدنيا بدار قرارٍ
- 6 - استعدّ أخي للسفر، حزم أمتعتك
- 7 - قال سبحانه : «فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً».
- 8 - مَنْ للمحافل والجافل والسرى فقدت بفقدك نيراً لا يطلعُ
- 9 - يظنّ أحمد أنني أكرهه أراه مخطئاً في تصوّره هذا
- 10 - قال سبحانه : «إنّ الأبرار لفي نعيم وإنّ الفجار لفي جحيم»

- الإجابات :

- 1 - فصل بين صدر البيت وعجزه: لكمال الاتصال بين الجملتين؛ فإنّ الثانية تأكيد للأولى .
- 2 - وصل بين الجملتين؛ لما بينهما من التوسط بين الكمالين مع عدم المانع من العطف؛ فقد اتفقنا إنشاءً ووجدت بينهما مناسبة
- 3 - فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من كمال الانقطاع لاختلافهما خبيراً

وإنشاء؛ أو لما بينهما من شبه كمال الاتصال؛ فإنه يصح أن تكون الثانية جواباً عن سؤال مقدّر نشأ عن الأولى؛ فكأنهم تساءلوا : وهل للاستغفار من نتيجة ؟ - فأجاب : إنه كان غفّاراً .

4 - فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من شبه كمال الاتصال؛ إذ يصح أن تكون الثانية جواباً عن سؤال ناشئ عن الأولى .

5 - فصل العجز عن الصدر؛ لما بينهما من كمال الاتصال؛ إذ أن الثانية بمثابة التوكيد المعنوي للأولى .

6 - فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من كمال الاتصال؛ إذ أن الثانية من الأولى بمثابة عطف البيان .

7 - وصل بين الجملتين؛ لما بينهما من التوسط بين الكمالين، حيث اتفقتا إنشاءً مع التناسب التام بين المفردات .

8 - فصل بين الصدر والعجز؛ لما بينهما من كمال الانقطاع المتمثل في اختلافهما خيراً وإنشاءً .

9 - فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من شبه كمال الانقطاع؛ إذ يوهم عطف جملة «أراه مخطئاً» على جملة «يظن» أن جملة «أراه» معطوفة على جملة «أنني أكرهه» لقربها منها، فتكون من مظنونات أحمد، وهو غير مراد .

10 - وصل بين الجملتين، لما بينهما من التوسط بين الكمالين المتمثل في اتفاقهما خيراً لفظاً ومعنى مع المناسبة التامة بين مفرداتهما .

أسئلة واجاباتها حول الفصل والوصل (2)

- حدّد سبب الفصل والوصل فيما يأتي :

- 1 - اصبر على كيد الحسود لا تضجر من مكائده .
- 2 - قال سبحانه : «وترى الجبال تحسبها جامدة» .
- 3 - فما الحداثة عن حلم بمانعةٍ قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
- 4 - أنت حسنُ السيرة تصنع المعروف وتغيث الملهوف .
- 5 - قال سبحانه : «وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأنّ لم يسمعها كأنّ في أذنيه وقراً» .
- 6 - ظلّ يسعى إلى المعالي يجِدُ والعلا لا تُنال إلاّ بكدٍ
- 7 - لا طلبنُ بالةٍ لك حاجةٍ قلمُ البليغِ بغير حظٍّ مغزَلُ
- 8 - قال سبحانه : «وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيٌ يوحى» .
- 9 - قال سبحانه : «والله يعلمُ وأنتم لا تعلمون» .
- 10 - قال سبحانه : «يدبّر الأمرَ يفصلُ الآياتِ لقومٍ يعقلون» .

- الإجابات :

- 1 - فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من كمال الاتصال المتمثل في أنّ الثانية بمثابة التوكيد اللفظي للأولى .
- 2 - فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من كمال الاتصال المتمثل في أنّ الثانية بمثابة بدل اشتمال من الأولى .
- 3 - فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من شبه كمال الاتصال المتمثل في أنّ

- الثانية بمثابة الجواب عن سؤال ناشيء عن الأولى ، وكأنّ سائلاً
سأل: وكيف لا تحول حداثة السنّ دون العقل ؟ - فأجاب : قد يوجد
الحلم ...
- 4 - فصلت الثانية عن الأولى؛ لما بينهما من كمال الاتّصال؛ إذ إنّها بيانٌ
لها .
- 5 - فصلت الجملتان الثانية والثالثة عن الأولى؛ لأنّ كلّاً منهما بمثابة
التوكيد المعنويّ للأولى ، فبينهما كمال الاتصال .
- 6 - فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من التوسط بين الكمالين المتمثّل في
اتفاقهما خبراً ، ووجود المناسبة، وعدم وجود مانع العطف .
- 7 - فصل بين الصدر والعجز؛ لما بينهما من شبه كمال الاتّصال المتمثّل
في أن العجز بمثابة الجواب عن سؤال ناشيء عن الصدر، فكانّ سائلاً
سأل : ولمّ لا ينبغي طلب الحاجة بالآلة ؟ - فأجاب : قلم البليغ ..
- 8 - فصل بين الجملتين؛ لما بينهما من كمال الاتّصال؛ إذ الثانية بمثابة
التوكيد المعنويّ للأولى، لأنّ تقرير كونه وحيّاً نفياً لأن يكون عن هوى .
- 9 - وصل بين الجملتين؛ لما بينهما من التّوسط بين الكمالين بوجود
المناسبة، وعدم وجود المانع من العطف .
- 10- فصل بين الجملتين ؛ لما بينهما من كمال الاتّصال المتمثّل في أنّ
الثانية بدل بعض من كلّ .

- أَسْئَلُهُ تَطَلُّبَ إِجَابَتِهَا عَلَيَّ نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ :
- حَدَّدَ سَبَبَ الْفِصْلِ وَالْوَصْلِ فِيمَا يَأْتِي :
- 1 - قَالَ سُبْحَانَهُ : « قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ » .
- 2 - قَالَ سُبْحَانَهُ : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يَخَادِعُونَ اللَّهَ » .
- 3 - لا ، وَطَيَّبَ اللَّهُ ثَرَاهُ .
- 4 - قَالَ سُبْحَانَهُ : « وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ » .
- 5 - قَالَ سُبْحَانَهُ : « وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بِيَعْضِكُمْ بَعْضًا أَيْحِبُّ أَحَدِكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا » .
- 6 - قَالَ سُبْحَانَهُ : « وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ » .
- 7 - قَالَ سُبْحَانَهُ : « سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ » .
- 8 - أَخُوكَ فِي الْبَيْتِ ، السَّمَاءُ صَافِيَةٌ .
- 9 - قَالَ سُبْحَانَهُ : « لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » .
- 10 - يَزْعَمُ صَدِيقِي أَنِّي أَحْسَدُهُ عَلَى مَا عِنْدَهُ أَرَاهُ مَخْطُئًا فِي هَذَا .

تقديم فى دلالة المساواة والإيجاز والإطناب :

كلّ ما يقصد الإنسان إلى التعبير عنه وإيصاله إلى الآخرين من المعاني والإنفعالات يمكنه أن يعبر عنه بثلاث طرائق :

(أ) المساواة، وهي أن يكون لفظ المتكلم بمقدار أصل مراده لا يزيد عنه ولا ينقص.

(ب) الإيجاز ، وهو أن يكون لفظ المتكلم ناقصاً عن أصل مراده، لكنّه مؤدّ لدلالته الكاملة.

(جـ) الإطناب، وهو أن يكون اللفظ زائداً عن أصل المراد، لفائدة إضافية.

وفى مقدور البليغ أن يختار الطريقة التي يشاء، على شرط أن يجيء هذا الاختيار مطابقاً لمقتضى حال المخاطب. فمقام المساواة يقتضي منه أن يجعل ألفاظه مساوية لمعانيه، ومقام الإيجاز يقتضي منه إنقاص مقدار ألفاظه عن معانيه، ومقام الإطناب يملئ عليه أن يجعل ألفاظه أكثر من معانيه. لكلّ مقام مقالته المناسب.

فقدينا هاهنا، إذًا، ثلاثة موضوعات :

أولاً : المساواة - ثانياً : الإيجاز - ثالثاً : الإطناب ويقتضي المقام أن نفصل القول في كلّ منها.

أولاً - المساواة :

لا تبعّد الدلالة الاصطلاحية لـ «المساواة» عن دلالتها اللغوية.

فـ «المساواة» في اللغة مصدرُ الفعل «ساوى بين الشيئين» إذا ماثل بينهما. ومن ثمَّ فإنَّ «المساواة» - من حيث هي أسلوب - حال للكلام يتطابق فيها اللفظُ والمعنى من حيث المقدار. وتُعرف المساواة بين المعنى والعبارة التي تُختار لتأديته بالقياس إلى كلام الأوساط من النَّاس الذين لم يرتقوا إلى مرتبة البلاغة ولم ينحطوا إلى دركِ العيِّ والفهاهة. فإن ماثل مقدارُ تعبيرك عن معنى من المعاني مقدارَ التعبير عن هذا المعنى لدى أوساط النَّاس، فطر يقنك هذه «مساواة». ويجعل علماء البلاغة من صور المساواة في الأساليب قوله سبحانه: «مَا تَقْدَمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ». وقوله سبحانه: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَمْلِهِ». وقوله سبحانه: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ».

ومن صور المساواة في الشعر قول النابغة:

فإنَّكَ كالليلِ الَّذي هو مدرِكِي وإنْ خلتُ أنْ المنتهى عنكَ واسعٌ
وقول أبي نؤيب الهذلي:

والنفسُ راعبةٌ إذا رغبَها وإذا تردُّ إلى قليلٍ تقنعُ

والملاحظ في هذه الأمثلة تكافؤ بين المعنى والمبنى في المقدار، دون زيادة أو نقصان.

ومساواة اللفظ للمعنى معلّم من معالم البلاغة وميسم من مياسم البراعة لا يتأتى إلا لأفذاذ البلغاء وأساطين الكلام.

والمساواة هي المقدار الوسط، والمستوى الذي تنسب إليه طرائق التعبير

الأخرى، فما نقص عن مقدار «المساواة» دون إخلال بالمراد سمي «إيجازاً» وما زاد عنه لفائدة سمي «إطناباً».

ثانياً - الإيجاز :

تقول العربُ : «أوجز الكلام : قلّ، وأوجز الرجلُ كلامه : قلّه». وقد أسلفنا أن «الإيجاز» هو أن يكون اللفظ ناقصاً عن أصل المراد مؤدياً لدلالته الكاملة. ويعني ذلك تكثيف اللفظ وتركيزه على نحو تخرج فيه العبارة مُثَقَلَةً بالدلالة مشبعة بالمعنى وقد رأي في العرب صورة مثلى للبيان العالي، وأنسوا فيه جمالية أعلوا من شأنها كثيراً، حتى عدّه بعضهم خير الكلام حين قال :

خيرُ الكلام قليلٌ على كثيرٍ دليلٌ

واشترط علماء البلاغة لقبول الإيجاز وتقضيله أن تؤدي العبارة المعنى دون إنقاص، فإن كان ثمة انتقاص من الدلالة سموا ذلك «إخلالاً» لا «إيجازاً». ومن أمثلة الإخلال عندهم قول الحارث بن حلزة اليشكريّ :

والعيشُ خيرٌ في ظلا لِ النَّوْكِ مَمَّنْ عاشَ كدأ

فما أراد الشاعر قوله هو : إن العيش الهانئ الرغيد مع الحمق خيرٌ من العيش الشاقّ المجهد مع العقل. لكنّ عبارته لم تسعفه، إذ لا تدلّ دلالة واضحة على هذا المراد؛ ذلك أنه ذكر العيش على الإطلاق ودون تحديد لنوع معين منه؛ ممّا أوقعه في نقيصة الإخلال.

ولا تسمي طريقة تعبيره هذه «إيجازاً»؛ لأنها قصرت عن أداء مراده من التعبير. ويجعلون من الإخلال أيضاً قول عروة بن الورد :

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ومقتلهم عند الوغى كان أعذراً
أراد عروة أن يقول : عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السلم، لكن
عبارته لا تدل على ذلك؛ مما أوقعه في نقضية «الإخلال».

نوعاً الإيجاز :

للإيجاز نوعان، هما :

1- إيجاز القصر، ويسمونه «إيجاز البلاغة». ويتحقق بأداء المعاني الكثيرة
بالألفاظ القليلة دون حذف. وهذا الضرب هو الذي تطمح إليه أبصار
البلغاء، وتتوق إليه قلوبهم، وهو الحلبه التي يتنافس فيها المتنافسون.
وللقرآن الكريم الحظ الأوفر من هذه الخصلة. ومن صور الإيجاز في
الذكر الحكيم قوله سبحانه : «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ، وَأَعْرِضْ عَنِ
الْجَاهِلِينَ». فتحت كل من هذه التعابير القصار تنطوي دلالة كبيرة
يستلزم تحديدها فضلاً من الكلام. وتأمل ما يقول القاموس المحيط
في مادة «العفو» : «العفو : عفو الله، جل وعز، عن خلقه، والصفح،
وترك عقوبة المستحق، والمحو، والامحاء، وأحل المال وأطيبه، وخيار
الشيء وأجوده، والفضل، والمعروف...». واست إخالك إلا أدركت بعض
الدلالات الكثيرة لهذه الآية الكريمة.

ومما هو مضرب المثل في هذا الضرب من الإيجاز قوله سبحانه : «في
القصاص حياة». فقد تضمنت هذه الجملة من المعاني ما تنوء بحمله الجمل
الكثيرة. إذ جعلت في قتل القاتل حياة للناس. أما كيف يكون في
القصاص حياة فواضح من أن الإنسان حين يضع في حسابه أنه متى

قتل اقتصى منه فقتل تفادي القتل وامتنع عنه أيما امتناع. وفي هذا حياة له وحياة لمن هم أن يقتله، وحياة لمجموعة كبيرة لا يعرف لها عدو. وهكذا تنطوي الآية الكريمة على دلالة كبيرة دون أن يكون فيها حذف. وإنه لا يدانيها في بلاغة الإيجاز قول العرب «القتل أنفى للقتل». وقام نفر من علماء البلاغة بعقد مقارنة بين الآية الكريمة وقول العرب، وانتهوا إلى تفوق النص الكريم على النص العربي لأمر، أهمها :

1 - حروف النص القرآني المفوظة عشرة وحروف النص العربي أربعة عشر، فهو أقل لفظاً وأوفي معنى.

2 - يوضح النص القرآني المطلوب وهو «الحياة»، فيكون أجزر عن القتل بغير حق؛ لكونه أدعى إلى الامتصاص، بينما يدل النص العربي على «الحياة» لزوماً لأنصاً، وفرق بين التصريح بالمطلوب والإيماء إليه من بعيد.

3 - يفيد تنكير كلمة «حياة» في النص القرآني كونها حياة عظيمة، إذ هي حياة للجميع، وليس ذلك في النص العربي.

4 - يفيد النص القرآني أن القصاص سبب في الحياة في كل الأزمان والأمكنة ولدى كل الأفراد، في حين أن القتل في النص العربي ربما لا يكون أنفى للقتل.

5 - سلامة النص القرآني من التكرار ووقوع النص العربي فيه.

6 - أدخل النص القرآني «في» على «القصاص»، وهذه الصيغة تجعل

القصاص كالمنيع الذي لا يتوقف للحياة، وليس في النصّ العربيّ شيءٌ من هذا.

7- تحلّي النصّ القرآنيّ بزينة «الطباق» بين «القصاص والحياة»، وخلا النصّ العربيّ من ذلك.

8- يفوح من النصّ القرآني عبيرُ عدالة السّماء؛ إذ مؤدّي الأثر الكريم هكذا : في نوع من القتل حياةً عظيمة. ففيه، من ثمّ، وعيُ الأشياء بكلّ أبعادها. أمّا النصّ العربيّ فتفوح منه رائحة ظلم الجاهلية وتعميماتها التي لا تبقى ولا تذر.

9- ثمة فرق هائل تتلمسه البصيرة المستتيرة بين «القصاص» الموحى بجناية الجاني على نفسه وبين «القتل» الذي قد ينصرف إلى غير الجاني.

ومن الإيجاز قوله سبحانه : «فلما استياسوا منه خلصوا نجياً». هذه الآية التي حار في فصاحتها جميع البلغاء.

ومن صوره الرائعة في الشعر قول الشريف الرضيّ قوماً بالشجاعة في أثناء وصفهم بالغرام :

ما لُوا إلى شَعْبِ الرِّحَالِ وأسندوا أيدي الطعانِ إلى قلوبِ تخفُّقُ

2- إيجاز الحذف، ويتحقّق بأداء المعنى مع حذف شيء من التركيب تدلّ عليه قرينة. والجزء المحذوف أنواع كثيرة. فإمّا أن يكون.

1- حزمًا، كقوله سبحانه : «ولم أك بغياً»، حيث حُذفت نون «أكن» تخفيفاً.

2- أو اسماً مضافاً، كقوله سبحانه : «واسأل القرية»، أي : «أهل القرية». وكقوله سبحانه : «حرمت عليكم الميتة»، أي : تناولها. وقوله سبحانه : «حرمتنا عليهم طيبات أحلت لهم»، أي : «تناول» طيبات.

3- أو اسماً مضافاً إليه، كقوله سبحانه : «وواعدنا موسى ثلاثين ليلةً وأتممناها بعشر»، أي : بعشر «ليال». وقوله سبحانه : «لله الأمر من قبل ومن بعده»، أي : من قبل «ذلك» ومن بعده.

4- أو اسماً مضافاً، كقوله سبحانه : «وعندهم قاصرات الطرف أتراب»، أي : «حور» قاصرات الطرف. وقوله سبحانه : «ومن تاب وعمل صالحاً»، أي : «عملاً صالحاً». وقوله سبحانه : «أن أعمل سابقات»، أي : «درعاً» سابقات.

5- أو اسماً صفة - وهو قليل في كلام العرب، كقوله سبحانه : «وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا»، أي : كل سفينة «صالحة». وقوله سبحانه : «فزادتهم رجساً إلى رجسهم» أي : مضافاً إلى رجسهم.

6- أو شرطاً، كقوله سبحانه : «اتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ»، أي : فَإِنْ تَتَّبِعُونِي يُحِبُّكُمُ اللَّهُ.

7- وجواب شرط، وهو نوعان :

(أ) أن يُحذف لمجرد الاختصار، كقوله سبحانه : «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أي : أعرضوا. وكقوله سبحانه : «وَلَوْ أَنْ قَرَأْنَا سِيرَتَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى» أي : لكان هذا القرآن.

(ب) أن يُحذف للدلالة على أنه شيء لا يحيط به الوصف وأن العبارة عاجزة عن تصديده، لتذهب النفس في تصوّره كلّ مذهب، كقوله سبحانه : «وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوها وفُتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين». حذف جواب الشرط هنا لتتخيّل النفس ما شاعت أن تتخيّل مطلقاً العنان لا يعوق تصوّرها تعبيراً أيّاً كانت قدرته على التصوير. والتصوّر البشريّ مقيدٌ بمعطيات الحسّ من المرئيّ والمسموع، ومن ثم يظلّ التعبير بون الغاية. ألم يقل المصطفى صلّي الله عليه وسلّم مشيراً إلى الجنة : «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»، منبهاً على قصور تصوّر البشر.

ومن هذا أيضاً قوله سبحانه : «ولو ترى إذ وقفوا على النار». وقوله سبحانه : «ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم».

8- أو مسنداً، كقوله سبحانه : «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقرأن الله»، أي : خلقهنّ الله.

9- و مسنداً إليه - كما في قول حاتم الطائي :

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
أي : حشرجت «النفس» يوماً.

10- أو متعلقاً، كقوله سبحانه : « لا يُسألُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسألُونَ » أي :
عَمَّا يَفْعَلُونَ.

11- أو جملةً، كقوله سبحانه : « كان النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ »،
أي : فاختلفوا، فبعثت. وكقوله سبحانه : « فقلنا اضربْ بِعَصَاكَ
الحجرَ فانفجرتُ »، أي : فاضرب بها فانفجرت.

12- عدد من الجمل، كقوله سبحانه : « أنا أَنبَيْتُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأرسلون يوسفُ
أَيُّهَا الصَّديقُ ». أي : فأرسلونِ إلى يوسف لأستعبره الرؤيا، فأرسلوه
إليه، فاتاه، فقال له : يا يوسف.

وجهان للحذف :

يستخدم البلقاء الحذف على وجهين :

1- أن يقيموا مقام المحذوف شيئاً يدلّ عليه، كقوله سبحانه : « وإن يكذبوك
فقد كذبت رسلٌ من قبلك » لا تكون جملة « فقد كذبت رسلٌ » جواب
الشرط؛ لأن جواب الشرط ينبغي أن يترتب مضمونه على مضمون
الشرط، وليس الأمر كذلك هنا؛ لأن تكذيب الرسل سابق لتكذيب
النبي عليه الصلاة والسلام. وجملة « فقد كذبت » علة للجواب المحذوف،
وهو « الصبر على الابتلاء ». ويمكن تقدير الكلام هكذا :

« وإن يكذبوك - فاصبر ولا تحزن - فقد كذبت رسلٌ من قبلك »،
فحالك كحالهم. فهذه، إذاً، دعوة للتأسي وتعزية النفس.

2- ألا يقيموا مقام المحذوف شيئاً يدلّ عليه، بل يتركوا أمر إدراكه إلى
القرينة الدالة. وفي هذه الحال يُستدلّ على الحذف بأدلة منها :

1- العقل والعرف، كما في قوله سبحانه : «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المَيْتَةُ»، أي : حُرِّمَ عليكم أكلها والانتفاع بها. وقد دلّ العقل على أنّ في الكلام حذفاً، وحدّد العرف نوع المحذوف، وهو «الأكل والانتفاع»، إذ شأن الناس أن يستفيدوا من المذبوح المحلّل في هذين الأمرين.

2- العقل والشروع في الفعل، كما إذا قال القاريء : «باسم الله»؛ أي : باسم الله اقرأ. حيث دلّ العقل على أنّ في الكلام حذفاً لحاجة الجار والمجرور إلى التعليق، ودلّ الشروع في الفعل (وهو هنا القراءة) على خصوص المحذوف وهو «أمراً». وكذا الأمر في تقدير متعلّق بالبسملة عند البدء بكلّ فعل.

3- العقل وحده، حيث يُعتمد عليه في تبيين الحذف وفي تحديد المحذوف، كما في قوله سبحانه : «وجاء ربُّك». أي أمر ربك. قال الرّمخشري : «إنّ تمثيلاً لظهور آيات اقتداره وتبيين آثار قهره وسلطانه مُثّلت حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلّها ووزرائه».

4- ارتباط الكلام بمناسبة معيّنة، كقولك لمن أعرس : «بالرفاء والبنين»، أي : بالرفاء والبنين أعرست. وكقولك لمن أتى من فريضة الحجّ «حجاً مبروراً وسعيّاً مشكوراً» أي : «حججت حجاً مبروراً وسعيت سعيّاً مشكوراً».

ثالثاً - الإطناب :

الإطناب - كما قدّمنا - أن يكون اللفظُ زائداً على أصل المراد لفائدة. ويتحقق هذا حين يؤدي المتكلم معناه بعبارة زائدة عما يستحق أداءً هذا المعنى وتوصيله حسب متعارف أوساط الناس؛ بمعنى أن تكون عبارته التي يوصل بها هذا المعنى أطول من عبارة متوسطي الناس عن هذا المعنى نفسه، لو حدث أنهم عبّروا عنه.

وشرط زيادة العبارة أن تكون لفائدة. ومثال ذلك من الذكر الحكيم قوله سبحانه حكاية عن زكريا عليه السلام : «ربّ إني وهنّ العظم مني واشتعل الرأسُ شيباً».

مثل هذا المعنى يمكن أن يؤدي حسب متعارف الأوساط بأن يقول سيّدنا زكريا عليه السلام : «ربّ إني كبرتُ». هذه الألفاظ الثلاثة هي التي يستحقها أصل المراد، وما زاد عن ذلك داعية إلى وصف العبارة بـ «الإطناب» على غرار ما جاء النصّ القرآني. ولكنّ هذه الزيادة يقتضيها موقفُ بثّ الشكاية واستدراار الرحمة واستعطاف الباري، جلّ وعلا.

ومثال «الإطناب» أيضاً قوله سبحانه : «وما تلك بيمينك يا موسى قال : هي عصاي أتوكأ عليها وأهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى». فمقول كليم الله - عليه السلام - يمكن تأديته بلفظٍ أقلّ في متعارف الأوساط، كأن يقال : «هي عصا» لكنّ هذه الزيادة في العبارة يقتضيها مقام التكلّم مع الحبيب، حيث يثير المتكلم من الأحاديث ما لزم وما لم يلزم لإطالة أمد الحديث والظفر بالمشاهدة. وعن هذا المعنى صدرتُ حين قلتُ أخاطب مدينة الرقة :

جَارَةَ الشَّطِّ، حَدَّثِينَا وَزَيْدِي فَحَدِيثُ الْعَشَّاقِ شَوْقاً يَزِيدُ
وقد تكون الزيادة في اللفظ لغير فائدة، فلا تسمي «إطناباً» بل هي
أحد شيئين :

1- تطويل، وذلك حين تكون الزيادة في الكلام غير متعيّنة، كقول عديّ بن
زيد العبادي يصور فعل الزبأ بجذيمة بن الأبرش :

وقد دت الأديم لراهشيهِ وألّسى قولها كذباً وميناً

قدّدت : قطّعت. والراهشان : العرقان في بطن الذراع. والشاهد
قوله: «كذباً وميناً» فالكذب والمين بمعنى واحد، ولا فائدة في الجمع
بينهما، وليس في مقدورنا أن نحدّد الزائد منهما، إذ في مقدورنا
حذف أيّ منهما دون تغيير المعنى. ومن ثمّ يسمي هذا «تطويلاً».

ومثله أيضاً قول الشاعر :

ألا حبّذا هندٌ وأرضٌ بها هندٌ وهندٌ أتى من دونها النأيُّ والبُعدُ

فالنأيُّ والبعد بمعنى واحد، وليس في مقدورنا تعيين الزائد منهما

2- الحشو، وذلك حين يكون في مقدورنا تعيين الزائد. وهو ضربان :

(أ) حشو مفسد للمعنى، وهو زيادة متعيّنة دون فائدة، كزيادة لفظ

«الندي» في قول المتنبي يرثي غلاماً.

ولافضلَ فيها للشجاعة والنديّ وصبرِ الفتى لولا لقاء شعوبِ

شعوب : اسمُ المنية. يريد الشاعر أن يقول إن الذي جمل

الشجاعة والكرم والصبر في الشدائد هو صعوبة الموت؛

فصعوبة الموت وكره الناس إياه هما اللذان جعلاً للشجاعة
والبذل والصبر هذه القيمة التي نعرفها.

وهذا الاستنتاج صحيح بالنسبة إلى الشجاعة والصبر، وغير
صحيح بالنسبة إلى الندى. فلا فضل حقيقة للشجاعة عندما
يتيقن الشجاع بعدم الهلاك، ولا فضل حقيقة للصبر عندما
يتيقن الصابر بزوال المكروه. والفضل كل الفضل للرجل الذي
يبذل ماله وهو متيقن بالخلود وعارف حاجته الدائمة إلى المال.
وهكذا فإن إدراج «الندى» في سياق الحديث عن الشجاعة
والصبر في هذا المقام لا يستقيم، وهو حشو مفسد للمعنى.

(ب) حشو غير مفسد، كلفظ «قبله» في قول زهير بن أبي سلمى :

وأعلمُ علمَ اليومِ والأمسِ قبلَهُ ولكنني عن علمِ ما في غدٍ عمي
فقوله «قبله» زيادة متعينة دون فائدة؛ لأن لفظ الأمس يدلّ هو
نفسه على القبليّة، فلا حاجة إلى التّديل عليها بلفظ «قبله».
ومادام المعنى لا يبطل بوجود هذا اللفظ، فهو إذاً «حشو غير
مفسد». ومثله قول الشاعر :

ذكرتُ أخِي فعادني صداعُ الرّأسِ والوصبِ

فالمعروف أنّ الصداع لا يكون في غير الرّأس، ومن ثم
فإضافته إلى الرّأس زيادة متعينة، لكنّ المعنى لا يبطل بذكرها،
وهكذا فلفظ «الرّأس» في البيت «حشو غير مفسد».

أنواع الإطناب :

للإطناب أنواع كثيرة، ولعل أهمها ما يأتي :

1- الإيضاح بعد الإبهام، إذ يعتمد البلغاء أحياناً إلى طريقة في عرض معانيهم يأتون فيها بالمعنى مبهماً أولاً، وموضجاً ثانياً. وذلك ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين : إحداهما مبهمة، والأخرى موضحة، فيكون كعرض الحسنة في لباسين متغايرين، يبرز كل منهما جانباً من جمالها. ولهذه الطريقة جمالية أخرى، وهي تمكين المعنى في النفس؛ وذلك لأن المعنى إذا ألقى مبهماً تاقت النفس إلى معرفته موضحاً، فتتنبه إلى ما يأتي بعد ذلك، فإذا جاعها كما تشتتهي تمكّن لديها فضل تمكّن، وكان شعورها به أتم. وقد يحقق جماليته ثالثة، وهي إكمال لذّة العلم بهذا المعنى؛ وذلك لأن الشيء الذي يُعلم دفعة واحدة لا يسبق حصول اللذّة به ألم، وإذا علم جزء منه دون آخر تشوّقت النفس إلى تعرف المجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذّة، ويسبب حرمانها من الباقي ألم، حتى إذا علمت الجزء المجهول حصلت لها لذّة أخرى، ومعلوم من أحوال النفس أن اللذّة بعد الألم أقوى من اللذّة التي لم يسبقها ألم.

ومن أمثلة الإطناب القائم على الإيضاح بعد الإبهام قوله سبحانه: «يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على على تجارة تتجيكُم من عذاب أليم : تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم». وقوله سبحانه: «ربّ أشرح لي صدري»، فإن «أشرح» يفيد طلب شرح شيء ما له، وقوله «صدري» يفيد تفسيره، وقوله سبحانه: «وقضينا

إليه ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَابَرَ هَوْلَاءِ مَقْطُوعِ مُصْبِحِينَ». جاء «الأمر» مبهماً أولاً، ثُمَّ وَضِحَ وَبَيَّنَّ فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ : «أَنْ دَابَرَ هَوْلَاءِ»، وفي ذلك توجيةٌ للذهن إلى معرفته وتفخيم لشأن المبيّن وتمكينه في النفس.

2- التّوشيع، وهو أن يُؤتى في آخر الكلام بمثنى مفسرٍ باسمين ثانيهما معطوف على الأول. وبذلك يرى المعنى في صورتين، يخرج فيهما من الإبهام إلى الإيضاح. وأصل «التوشيع» في اللغة : لفّ القطن المندوف. فكانهم جعلوا التعبير عن المعنى الواحد بالمثنى المفسرٍ باسمين بمنزلة لفّ القطن بعد الندف.

ومن أمثلة التوشيع في الشعر قول الشاعر :

سَقَّتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرَهَا شَبِيهَةٌ خَدَيْهَا بِغَيْرِ رَقِيبِ

فما زلتُ في لَيْلَيْنِ : شَعْرٍ وَظَلْمَةٍ وَشَمْسَيْنِ : مِنْ خَمْرِ وَوَجْهِ حَبِيبِ

والشاهد هنا قوله : «لَيْلَيْنِ : شَعْرٍ وَظَلْمَةٍ» و«شَمْسَيْنِ : خَمْرِ وَوَجْهِ

حَبِيبِ».

وقول البحترى :

لَمَّا مَشَيْتَ بِذِي الْأَرَاكِ تَشَابَهَتْ أُعْطَافُ قُضْبَانٍ بِهِ وَقَدْ وَدِ

فِي حَلَّتِي صَبِيرٍ وَرَوْضٍ فَالتَقَى وَشِيَانٍ : وَشِيُّ بِي وَوَشِيُّ بُرُودِ

وَسَقَرْنَ فَاْمْتَلَأَتْ عَيْونَ رَاقِهَا وَرِدَانٍ : وَرْدُ جَنِي وَوَرْدُ خُلُودِ

قال في البيت الثاني : «وشيانٍ : وشيُّ بي ووشيُّ بُرُودِ»، وقال في

الثالث : «وردانٍ : وردُ جنى ووردُ خلودِ».

3- عطف الخاصّ على العامّ للتّنبية على فضله حتى كأنّه ليس من جنسه، كقوله سبحانه: «حافظُوا على الصَّلواتِ والصَّلَاةِ الوَسْطِيّ». وكقوله سبحانه: «من كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَملائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ»، بالذّكر، مع أنّهما من الملائكة؛ لفضلهما كأنهما من جنسٍ آخر.

4- عطف العامّ على الخاصّ للدلالة على الاهتمام بالخاصّ بذكره مرّتين، كقوله سبحانه: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ»، وقوله سبحانه: «وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ».

5- الإيغال، وهو ختم الكلام بما يفيد نكتةً يتمّ المعنى من دونها، كالمبالغة في التشبيه أو تحقيقه، أو زيادة الحثّ والترغيب. وأصل «الإيغال» في اللغة: الإبعاد في الأمر والوصول فيه إلى غاية بعيدة.

ومن الإيغال الذي يفيد المبالغة في التشبيه قول الخنساء:

وإنّ صخرًا لتاتمّ الهدأة به كأنّه علمٌ في رأسه نارٌ

. العلم: الجبل. شبهت صخرًا بالجبل في الظهور والارتفاع، وكان يكفيها ذلك تطاولاً وفخراً، لكنّها لم تكتف بهذا القدر بل مضت حتى جعلت في رأس الجبل ناراً، مبالغة في الظهور والوضوح والاشتهار. ومهما يكن، فإنّ قول الخنساء «في رأسه نار» إيغالٌ للمبالغة في التشبيه.

ومن الإيغال الذي يفيد تحقيق التشبيه قول زهير بن أبي سلمى:

كانتُ فُتاتَ العَيْنِ في منزلٍ نَزَلنَ به حَبُّ الغنّاءِ لم يحطُّ

شبه زهير قطع الصّوف الصغيرة في منازلهنّ بحبّ الغنّاء، وزاد

على ذلك بأن جعل حب الغنا غير محطّم؛ لأن الغنا أحمر الظاهر أبيض الباطن، فلا يشبهه الصّوف الأحمر إلا حين يكون غير محطّم. وهكذا فقوله «لم يحطم» إيغال تمّ المراد من دونه، ولكن جيء به لئلا تكون هي تحقيق التشبيه.

6- التكرير، وهو ذكر الشيء مرتين أو أكثر لأغراض :

(أ) التأكيد وتقرير المعنى في النفس، كقوله سبحانه : «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ». أكد الردع والإنذار بتكريرهما، ليكون ذلك أوقع للمعنى في النفس وأبلغ تأثيراً فيها. ومثل ذلك أيضاً قوله سبحانه : «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا». دُكر التعبير نفسه مرتين ليقع في روع الإنسان وجود اليسر مع العسر، وما أجمل ما قال المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا غَلَبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ »؛ إذ «العسر» المعروف واحدٌ في التعبيرين، أمّا «اليسر» المنكّر في التعبيرين فليس واحداً، بل هما «يسران».

(ب) ملاينة المخاطب لقبول مضمون الخطاب، كقوله سبحانه : «وقال الذي آمنَ يا قوم اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرُّشَادِ، يا قوم إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ»، كرّر هذا المؤمن قوله «يا قوم» تلييناً لقلوبهم وإظهاراً لإخلاصه لهم في النصّح؛ ليتلقوا الكلام منه بالقبول.

(ج) قصد الاستقصاء والاستيعاب، كقولك: «مشيتُ المدينة شبراً شبراً، وتعرفتُ أعلامها علماً علماً». والتكرير في المثالين لقصد بيان الاستيعاب والشمول.

(د) التتويه بشأن المتحدث عنه أو النيل منه :

الأول كقولهم : «الكرِيمُ ابنُ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ ابنِ الكَرِيمِ
يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ».
والثاني كقول جرير يهجو الفرزدق :

هو القينُ وابنُ القينِ لاقينَ مثله لَفَطَحَ المساحي أو لجدلِ الأدهم

القين : الحدّاد. المساحي : جمع مسحاة : أداة تسوى بها الأرض. وفتحها: تسويتُها وتعريضُها. والأدهم : جمع أدهم، القيد. كرر لفظ «قين» ثلاث مرّات للنيل من مهجوه، وإظهار أنه حدّاد ابن حدّاد، متمكّن من صنعته، مستعزق في شؤونها، ولا شأن له بمعالي الأمور.

(هـ) المبالغة في التوجّع والتحسّر، كقول الحُسَيْن بن مطير الأسدي :

فياقبرَ معنٍ، أنتَ أوّلُ حُفْرَةٍ من الأرضِ حُطَّتْ للسّماحةِ موضعاً
وياقبرَ معنٍ، كيفَ وارىتَ جودهُ وقد كانَ منه البرُّ والبحرُ مترعاً
كرّر الشاعرُ تعبير «ياقبرَ معنٍ»؛ تعبيراً عن توجّعه وتحسّره.

(و) وصلّ الكلام، حيث يكرّر ما قد بعدُ لنلا يجيء الكلام مبتوراً لاطلاوة فيه، كما في قوله سبحانه : «يا أبتُ إنّي رأيتُ أحدَ

بقوم يحبُّهم ويحبُّونه أذلةً على المؤمنين أعزَّةً على الكافرين». زاد سبحانه «أعزَّةً على الكافرين» ليفهم أن تذللهم للمؤمنين ليس ناشئاً عن ضعف وعجز، وقوله سبحانه: «محمدٌ رسول الله والذين معه أشدُّاءٌ على الكفار رحماً بينهم». زاد سبحانه «رحماء بينهم»؛ ليفهم أن شدتَّهم على الكفار ليست جبلةً لهم وخلقاً لا يستطيعون منه فكاكاً.

ومنه في المنظوم قول طرفة بن العبد يمدح قتادة بن مسلمة الحنفي ويدعوله :

فسقى ديارك غير مفسدها صوبُ الربيع وديمة تهمي

الديمة : المطر ينوم وقتاً تهمي : تسيل. لأن المطر قد يفسد الديار ويأتي عليها، تحرز عن ذلك بقوله «غير مفسدها».

8- التتميم، وهو أن يؤتى في كلام لايوهم خلاف المقصود بزيادة لغرض بلاغي كالمبالغة، كما في قوله سبحانه : «ويطعمون الطعام على حبه» أي : مع حبه. وقد زيد قوله سبحانه «على حبه» للتدليل على فرط سخائهم؛ لأن الجود الحقيقي لا يكون حتى تجود وما لديك قليل، وقد يكون الغرض البلاغي تقليل المدّة، كما في قوله سبحانه : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً». الإسراء في الليل دائماً، فزيدت «ليلاً» للدلالة على تقليل مدّة الإسراء وأنه كان في بعض الليل؛ فالتنكير فيه يدل على معنى البعضية.

9- التذييل، وهو تعقيبُ جملةٍ بأخرى تتضمن معناها؛ تأكيداً لها. وهو قسمان:

(أ) قسم يجري مجرى المثل لاستقلاله بمعناه وشيوع استعماله، كقوله سبحانه: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا». فقوله سبحانه «إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» تذييل مستقل بمعناه جار مجرى المثل، وقد جيء به تأكيداً لمفهوم ما قبله.

ومنه في الشعر قول الحطيئة:

نَزود فتى يُعطي على الحمدِ مالهَ ومن يُعطِ أثمانَ المحامدِ يُحمدُ

قول الحطيئة «ومن يعطِ أثمانَ المحامدِ يُحمدُ» تذييل مستقل بمعناه جار مجرى المثل، أكد مضمون ما قبله وسوغ قبوله.

وقول النابغة:

ولستَ بمُستَبقٍ أخاً لا تلمهُ على شعثٍ، أيّ الرّجالِ المهذبُ

دلّ صدر البيت على نفي وجود الكامل من الرجال، وأنّ الإنسان لا يستطيع الاحتفاظ بصديقه إلا بقبول ما فيه من عيوب ونقائص، وجاء عجز البيت ليحقق هذا ويقرّه؛ فأبي الرجال الخالص من كلّ العيوب.

(ب) لا يجري مجرى المثل، حيث لا يستقلّ بمعناه بل تتوقف دلالاته على ما قبله، كقوله سبحانه: «ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا، وَهَلْ يَجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ». أفاد مطلع الآية الكريمة أنّ هذا الجزاء سببه كفرهم، ومن ثمّ فقوله سبحانه: «وهل يجازي إلاّ

الكفور» تذييل أريد منه تأكيد مدلول الجملة السابقة. وهو لا يجري مجرى المثل؛ لأنه يعتمد في دلالاته على ما قبله، ومعناه على هذا: وهل يجازى ذلك الجزاء هذا في أحد رأيين.

جمالية التذييل :

يقول بعض علماء البلاغة عن التذييل : «ولهُ في الكلام موقع جليل ومكان شريف خطير؛ لأنّ المعنى يزداد به انشراحاً، والمقصد اتضاحاً.... وينبغي أن يُستعمل في المواطن الجامعة والمواقف الحافلة؛ لأنّ تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكرّرت الألفاظ على المعنى الواحد تأكّد عند الذهن اللّحن، وصحّ للكلي البليد» (التلخيص في علوم البلاغة - شرح اليرقوتي ط 2- دون نسبة).

10 - الاعتراض، وهو أ يُؤتى في تضاعيف الكلام بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب؛ لفرض من الأغراض. وأهم هذه الأغراض :

(أ) التنزيه، كما في قوله سبحانه : «ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون». قوله «سبحانه» اعتراض جيء به في تضاعيف الكلام لقصد تنزيهه تعالى عما يقولون.

(ب) الدعاء، كما في قول عوف بن محمّ الشيباني يشكو كبيره وضعفه :

إنّ الثمانين - وبُلغَتْها - قد أحوجت سَمعي إلى ترْجُمانٍ
ترْجُمان : مفسرٌ ومُكرّر. وقوله «وبُلغَتْها» اعتراضٌ في

تضاعيف الكلام؛ قصداً إلى الدعاء لمخاطبه أن يوصله
البارئ سبحانه إلى سنِّ الثمانين التي بلغها الشاعر. والوار
اعتراضية، لا عاطفة ولا حالة.

وقول المتنبي :

وتحتقر الدنيا احتقاراً مجرباً يرى كل ما فيها، وحاشاك، فانيا
قوله «وحاشاك» اعتراض على سبيل الدعاء، وهو رائع في
موضعه.

(ج) التثنية، كقول الشاعر :

واعلم، فعلم المرء ينفعه، أن سوف يأتي كل ما قدرا
قوله «فعلم المرء ينفعه» اعتراض جيء به في تضاعيف
الكلام؛ قصداً إلى التثنية على فضيلة العلم ومنزلته، مما يزيد
المخاطب إقبالاً عليه.

(د) تخصيص أحد الأمرين بزيادة التوكيد في أمرٍ علق بهما، كقوله
سبحانه : «ووصينا الإنسان بالدينه - حملته أمه وهنا على
وهن وقصائله في عامين - أن اشكر لي ولوالديك». فقوله
سبحانه «أن اشكر لي» تفسير لقوله سبحانه «ووصينا
الإنسان»، وقد جاءت جملة «حملته أمه» معترضة بين المفسر
والمفسر تخصيصاً للوالدة بزيادة توكيد حقها العظيم.

(هـ) الاستعفاف، كقول المتنبي :

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنتي لرأيت فيه جهنما

قوله «ياجنّتي» اعتراض؛ جيء به للاستعفاف والمطابقة
مع جهنم.

(ر) التّهويل، كقوله سبحانه: «وإنه لَقَسَمٌ - لو تعلمونَ - عظيم».
قوله سبحانه «لو تعلمون» اعتراض جيء للتّهويل وإعلاء شأن
القسم.

(و) بيان السبب لأمر فيه غرابة - كما في قول ابن ميادة :

فلا هجرةٌ يبديو، وفي اليأس راحةٌ ولا وصلَةٌ يبسلونا فنكارمه

فقوله فلا هجرةٌ يبديو يوحي بأن هجر الحبيب أحد
مطلوبيته، ولأن من المستغرب أن يطلب المحب هجر المحبوب
جاء قوله «وفي اليأس راحة»؛ ليوضح سبب طلبه ظهور
هجره؛ فهذا القول إذاً اعتراض أريد منه بيان سبب الأمر
الغريب.

أسلفنا أن الاعتراض قد يكون بجملة، وقد جاءت الأمثلة المتقدمة لتدل
على ذلك. وقد يكون الاعتراض بأكثر من جملة، كما أشرنا قبل. ومن
صوره في الذكر الحكيم قوله سبحانه: «فَأْتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ - إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ - نَسَاؤُكُمْ حَرِثٌ لَكُمْ». فقوله سبحانه
«إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» اعتراض بين المفسر «فَأْتَوْهُنَّ...»
ومفسره «نَسَاؤُكُمْ حَرِثٌ لَكُمْ»، وهو أكثر من جملة. ومنه أيضاً قوله سبحانه
حكاية عن أم مريم عليها السلام: «قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى - وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى - وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ». قوله سبحانه

«والله أعلم... وليس الذكر...» ليس من كلام أمّ مريم؛ فهو اعتراضٌ في
تضاعيف الكلام بأكثر من جملة.

جماليّات الإيجاز والإطناب :

لم تكن كلمة علماء البلاغة واحدة بشأن فضل الإيجاز والإطناب. إذ
رجّح فريق منهم جانب الإيجاز، وبينوا أنّ مبعث فضله أنّه معلّمٌ تمكّن في
الفصاحة ورسوخ قدم في ميدان ملكة البلاغة، وأنّه يحقّق للنفس المتلقية
ملاذ كثيرة دفعة واحدة، إذ يأتيها ما يشبه الشعاع الغامر من مصدر
ضئيل، فيفعل فيها الأفاعيل، وانتصر آخرون للإطناب مؤيدين مذهبهم
بأنّ النطق في أساسه تعبيرٌ وبيانٌ، والبيان لا يكون إلا بالإشباع،
والإشباع لا يقع إلا بالإقناع. وعند هؤلاء أنّ أفضل الكلام أبينه، وأبينه
أشدّه إحاطةً بالمعاني، ولا يحاط بالمعاني إحاطةً تامّةً إلا بالاستقصاء
والإطناب. ومضى فريق ثالث إلى القول إنّ لكلّ مقام مقالاً، فللايجاز
مواضع وللإطناب مواضع، والحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة
إلى الإطناب في موضعه. وقالوا إنّ كتب السلطان في الأمور العظيمة
وتفخيم مواقع النعم المتجددة أو في الترغيب في الطاعة والتّحذير من
العصيان ينبغي أن تكون مشبعة مستقصاة، وعلى الجملة فإنّ الذوق المميّز
هو الحاكم الأوّل في استجادة الجميل واستقباح القبيح في كلّ الأساليب.

أسئلة وإجاباتها حول الإيجاز والإطناب والمساواة (1)

- حدد فيما يأتي الطريقة التي أتى عليها الكلام من إيجاز أو إطناب أو مساواة:

1- فهمتُ المسألة 2- قال سبحانه: «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ».

3- قال سبحانه: «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا».

4- قال سبحانه: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ».

5- مقتلُ المرءِ بينَ فكيه.

6- لا توقظ الفتنة، دعها نائمة.

7- قال سبحانه: «تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يَوْسُفَ».

8- اقرأ المحاضرات كلها، واللغة العربية.

9- قال سبحانه: «فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ

فَانفَلِقْ».

10- كلَّ ابنِ آدمَ خطأً.

الإجابات :

- 1- فيه مساواة؛ إذ جاء اللفظُ على قدر المعنى دون زيادة أو نقصان.
- 2- في هذه الآية الكريمة إطناب؛ إذ صرَّحَ بأمهات الممكنات؛ ليكون ذلك دليلاً على القدرة، وكان في الإمكان تلخيص هذا بالقول : إنَّ في خلق كلِّ ممكنٍ لآياتٍ للعقلاء، لكنَّ التَّفصيل هنا مفيدٌ؛ ابتغاءً لفت الأنظار إلى باهر صنعه وأطيف تدبيره، سبحانه.
- 3- فيه إطناب بالانتميم؛ إذ إنَّ «على حبه» فضلةٌ أريد بها المبالغة في مدحهم بالسَّخاء إذا المعنى : يطعمونه مع حبِّهم واشتغائهم له.
- 4- فيه مساواة؛ لأن اللفظ على قدر المعنى.
- 5- فيه إيجاز بالقصر؛ لأنَّ ألفاظه أقلَّ كثيراً من معانيه.
- 6- فيه تكرير؛ إذ إنَّ الجملتين بمعنى واحد لقصد الزجر والردع.
- 7- فيه إيجاز بالحذف؛ حيث حذف منه حرف «لا» إذ الأصل : لاتفتأ.
- 8- فيه إطناب بذكر الخاصِّ بع العام؛ لبيان فضل الخاصِّ.
- 9- فيه إيجاز بالحذف؛ حيث حذف منه جملة؛ إذ الأصل : فضرب فانفلق.
- 10- فيه إيجاز قصر؛ لتضمن اللفظ القصير المعنى الكثير.

أسئلة وإجاباتها حول الإيجاز والإطناب والمساواة (2)

– حدّد فيما يأتي الطريقة التي أتى عليها الكلام من إيجاز أو إطناب أو مساواة :

- 1- كلّ الناس – إلا من عصم ربك – مبتلّون بداء الحرص.
- 2- ممّن تعلّمت الجدّ والاجتهاد؟
- 3- إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاريه
- 4- قال سبحانه : «فقلنا اذهباً إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً».
- 5- جوزي المذنب بما اغترف، وهل يجازى إلا المذنب.
- 6- أكرمت أولادي وبناتي ووالدي وأفراد أسرتي.
- 7- قال سبحانه : «أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون. أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون. أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون».
- 8- قال سبحانه : « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعته».
- 9- قال أعرابيٌّ لآخر : «إن شككت في فاسأل قلبك عن قلبي».
- 10- لكلّ شيء إذا ماتم نقصان

الإجابات :

- 1- فيه إطناب بالاحتراس.
- 2- فيه تطويل؛ لأن الزائد غير متعين في كلمتي «الجد والاجتهاد».
- 3- فيه إطناب بالتذييل، وقوله : «وأيّ الناس تصفو مشاربه» جار مجرى المثل.
- 4- فيه إيجاز بحذف جملتين، فتقدير؛ فذهبا بالرسالة فكذبوهما.
- 5- فيه إطناب بالتذييل، وليس جارياً مجرى المثل؛ لتوقفه على ما قبله.
- 6- فيه إطناب بذكر العام بعد الخاص اهتماماً بالخاص.
- 7- فيه إطناب بالتكرار، للتأكيد والإنذار والتهديد.
- 8- فيه إطناب بالاحتراس في قوله : «وهو مؤمن».
- 9- فيه إيجاز القصر؛ إذ يتضمّن سؤال القلب عن القلب معاني عصبية على الحصر.
- 10- فيه إطناب بالاحتراس.

أسئلة وإجاباتها حول الإيجاز والإطناب والمساواة⁽³⁾

- حدّد فيما يأتي الطّريقة التي أتى عليها الكلام من إيجاز أو إطناب أو مساواة :

- 1- « البخيلُ بعيدٌ من الله بعيدٌ من الناس بعيدٌ من الجنة ».
- 2- واحرصْ على حفظِ القلوبِ مِنَ الأذى إنَّ الزجاجةَ كسرها لا يُشعبُ
- 3- إنَّ امرأً أحسنَ إليك، وصانَ حرمتك، وحفظَ سرّك، إنّه جديرٌ بثقتك به.
- 4- كان عمر - رضي الله تعالى عنه - ثاني الخلفاء الراشدين.
- 5- قال سبحانه : «ولكنّ البرّ من اتقى».
- 6- قال سبحانه : «والشفعُ والوترُ والليلُ إذا يسرّ هل في ذلك قسَمٌ لذي حجر».
- 7- نجح محمدٌ باجتهاده، وما ينجح إلا الجائون.
- 8- نذرُ الكلامِ مِنَ الحياءِ تخالُهُ ضمناً وليسَ بجسمه سُقْمٌ
- 9- أمسي وأصبحُ من تذكاركُم وصبا يرثي لي المشفقان : الأهلُ والولدُ
- 10- قال سبحانه : «وقضينا ذلك الأمرَ أنْ دابرَ هؤلاء مقطوعٌ مُصبحين».

الإجابات :

- 1- فيه إطناب بالترديد.
- 2- فيه إطناب بالتذييل الجاري مجرى المثل.
- 3- فيه إطناب بالتكرير لطول الفصل.
- 4- فيه إطناب بالاعتراض؛ لقصد الدعاء.
- 5- فيه إيجاز بحذف المضاف؛ إذ أصلُ الكلام: ولكنَّ ذا البرِّ من اتقى.
- 6- فيه إيجاز بالحذف؛ لحذف جواب القسم؛ إذ تقدير الكلام: وحقُّ هؤلاء لأعدبنَّ أولئك.
- 7- فيه إطناب بالتذييل غير الجاري مجرى المثل لتوقفه على ما قبله.
- 8- فيه إطناب بالتكميل، بذكر «من الحياء»؛ لدفع توهم أن قلة الكلام بسبب العري.
- 9- فيه إطناب بالتوسيع؛ لغرض الإيضاح بعد الإبهام.
- 10- فيه إطناب بالإيضاح بعد الإبهام؛ لعرض المعنى في صورتين مختلفتين.

المحتويات

3	تقديم
11	إطالة على تاريخ التأليف البلاغي عند العرب
23	الفصاحة والبلاغة (تحديد وبيان)
51	الكتاب الأول : علم المعاني
53	مقدمة في تعريف علم المعاني ومباحثه
56	المبحث الأول : أحوال الإسناد الخبري
57	- طرفا الكلام : المسند إليه والمسند
57	- النسبة بين هذين الطرفين
59	- تقسيم الكلام تبعاً للنسبة على خبر وإنشاء
59	- الفروق الأساسية بين الخبر والإنشاء
65	- احتمال الخبر للصدق والكذب
65	- الخبر الصادق والخبر الكاذب
66	- الإسناد الخبري «تعريفه»
67	- صور طرفي الإسناد
68	- مواضع المسند إليه والمسند في سياق الجملة العربية
70	- قصد المخبر في إلقاء الخبر
71	- خروج الخبر عن غرضيه الأساسيين
73	- أحوال متلقي الخبر
75	- أحوال متلقي الخبر تحدد صيغ الخبر الملقى إليه : المقال
78	- إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر
81	- مؤكّدات الخبر
83	- أسئلة وأجوبتها

89	المبحث الثاني : أحوال المسند إليه
91	- حذف المسند إليه
96	- ذكر المسند إليه
99	- تعريف المسند إليه
100	- إيراد المسند إليه ضميراً
102	- إيراده علماً
105	- إيراده اسم إشارة
108	- إيراده اسماً موصولاً
113	- إيراده معرفاً بـ «أل»
117	- إيراده معرفاً بالإضافة
121	- تكثير المسند إليه
124	- تقييد المسند إليه
124	- إيراد المسند إليه متبوعاً بوصف
126	- إيراده مؤكداً
127	- إيراده مبدلاً منه
128	- إيراده متبوعاً بعطف بيان
129	- إيراده متبوعاً بعطف نسق
132	- إيراده معقباً بضمير فصل
133	- تقديم المسند إليه
141	- تأخير المسند إليه
141	- تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في المسند إليه
143	- وضع المضمر موضع المظهر
145	- وضع المظهر موضع المضمر
150	- تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر في غير المسند إليه
150	- الالتفات
153	- أسلوب الحكيم

- 155 - القَلْبُ
- 159 - التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي
- 160 - التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل
- 161 - مخالفة السياق في صيغ الأفعال
- 163 - أسئلة وأجوبتها

186 المبحث الثالث : أحوال المسند

- 187 - المسند ومواضعه
- 187 - أحوال المسند - وهي :
- 188 أولاً : ذكر المسند
- 189 ثانياً : ترك المسند
- 191 ثالثاً : إيراد المسند فعلاً
- 192 رابعاً : إيراد المسند اسماً
- 193 خامساً : إيراد المسند الفعل وما يشبهه مقيداً بأحد المفاعيل ونحوها
- 193 سادساً : إيراد المسند فعلاً غير مقيد بشيء مما تقدم
- 194 سابعاً : إيراد المسند فعلاً مقيداً بالشرط :
- 195 - الفرق بين «إن» و«إذا» و«لو»
- 196 - الأغراض البلاغية لاستخدام «إن» في مقام الجزم بوقوع الشرط
- 199 - استخدام «إذا» في الشرط المشكوك في ثبوته أو نفيه
- 200 - العدول عن استقبالية جملتي الشرط والجواب لفظاً ومعنى إلى استقباليتهما معنى فقط
- 202 - الأغراض البلاغية لدخول «لو» على الجملة المضارعية
- 203 ثامناً : إيراد المسند معرفة
- 205 تاسعاً : إيراد المسند نكرة
- 206 عاشراً : إيراد المسند مقدماً

209 - أسئلة وأجوبتها

215 المبحث الرابع : أحوال متعلقات الفعل

216 - نواعي تقديم بعض المعولات علي بعض

222 - أغراض تقديم المفعول ونحوه على الفعل

225 - أسئلة وأجوبتها

230 المبحث الخامس : أسلوب القصر

231 - تعريف القصر لغة واصطلاحاً

231 - مكونات أسلوب القصر

231 - موضوعات البحث في هذا الأسلوب :

232 1 - تقسيم القصر تبعاً لغرض المتكلم

233 2 - تقسيم القصر تبعاً لحال المقصود

234 3 - تقسيم القصر الإضافي تبعاً لحال المخاطب

234 4 - طرق القصر

240 5 - مواقع القصر في الجملة

241 6 - الأغراض البلاغية للقصر

243 - أسئلة وأجوبتها

247 المبحث السادس : الأساليب الإنشائية

248 - الإنشاء لغة واصطلاحاً

248 - قسم الإنشاء (غير الطلبي - الطلبي)

250 - الإنشاء الطلبي وأنواعه :

251 1 - الأمر (صيغة - خروج صيغة عن دلالتها الأصلية)

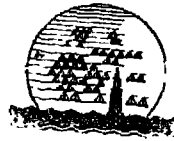
258 2 - النهي (صيغته - الدلالات المجازية لصيغته)

263 3 - الاستفهام (أنوات الاستفهام : الهمزة - هل - أنواته الأخر -

الدلالات المجازية لأدوات الاستفهام

- 280 4 - التَّمَنِّي (صيفته - استخدام ليت في الترجي لغرض بلاغي)
- 287 5 - النداء (صيغ النداء - تنزيل البعيد منزلة القريب - تنزيل القريب منزلة البعيد - خروج النداء عن دلالاته الحقيقية إلى دلالات مجازية)
- 293 - وقوع الخبر موقع الإنشاء والأغراض البلاغية لذلك
- 295 - أسئلة وأجوبتها
- 297 المبحث السابع : الفَصْلُ والوَصْلُ
- 298 - تمهيد في حاجة البليغ إلى إدراك مواطن الفصل والوصل في الكلام
- 298 - تعريف الفصل والوصل
- 299 - شرط قبول الوصل وجود الجهة الجامعة
- 299 - تأتي بلاغة الوصل بـ «الواو» دون بقية حروف العطف
- 300 - مواضع الفصل :
- 1 - كمال الاتصال
- 2 - كمال الانقطاع
- 3 - شبه كمال الاتصال
- 4 - شبه كمال الانقطاع
- 5 - التوسط بين الكمالين
- 306 - مواضع الوصل
- 1 - كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المراد
- 2 - التوسط بين الكمالين مع عدم وجود مانع من الوصل
- 3 - إشراك الجملة الثانية في المحل الإعرابي للأولى
- 309 - محسنات الوصل
- 311 - العدول عن تناسب الجمل المتصلة لغرض بلاغي
- 313 - أسئلة وأجوبتها

- 318 **المبحث الثامن : المعني وطولُ العبارة عنه :**
 المساواة - الإيجاز - الإطناب
- 319 - تقديم في دلالة المساواة والإيجاز والإطناب
- 319 - المساواة (حَدًّا - أمثلة لها)
- 321 - الإيجاز (نوعاه : إيجاز القصر - إيجاز الحذف - وجها المحذف)
- 329 - الإطناب (أنواعه : الإيضاح بعد الإبهام - التوشيح - عطف الخاص على العام - عطف العام على الخاص - الإيغال - التكرير وأغراضه - والتكميل أو الاحتراس - التتميم - التذييل وقسماه وجمالياته - الاعتراض وأغراضه)
- 343 - أسئلة وأجوبتها



المعرفة حق طبيعي لكل انسان

إن الجامعة المفتوحة ، وهي تنطلق من مبدأ ديمقراطية التعليم .
واشترائية الثقافة وضرورة القضاء على احتكار العلم والمعرفة ، والحد
من القيود التي تعيق الرغبة في مواصلة التحصيل العلمي وتنمية المهارات
والقدرات العلمية والعملية ، إذ تضع هذا الكتاب بين يدي القارئ ،
لتأمل أن يحقق هدف التعليم عن بعد ويصبح كتاب التعليم المفتوح ، في
المستقبل القريب ، هو المرجع ، والمرشد ، والمكتبة التي تزور كل بيت .
ولا يخفى على أحد أن تحقيق الأهداف سالفة الذكر ليست امرا سهلا
ولكنها ممكنة التحقيق ، إذ يجب أن يتميز الكتاب بوضوح الحقائق
وسهولة فهمها على الرغم من عمق الفكرة ، وبأن يكون سلس الأسلوب
وشموليا في عرضه للمادة وفي تناول جوانبها المختلفة بحيث يصبح هو
الاستاذ والمكتبة في آن واحد .
وحتى نحقق هذه الغاية نرجو أن يجد القارئ في هذا الكتاب ما يعينه
على مواصلة مسيرته التعليمية وتحقيق أهدافه وطموحاته .

والله نسأل أن يوفق الجميع

« الجامعة المفتوحة »